جـــــــامعة غـــــــرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

التّبادل التّجاري بين إقليمي توات والسّودان الغربي وأثره الاجتماعي والثّقافي (999-1317هـ/1591- 1900م)

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر:

إعداد الطالب: ابراهيم حامد لمين

المشرف: الدكتور : محمد حوتية

الرقم	الأساتذة	الرّتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د ناصر الدين سعيدوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضواً مناقشاً
04	أ.د بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	عضواً مناقشاً
05	أ.د صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي:

1436- 1437 هـ/ 2015 - 2016 م

جـــــــامعة غـــــــــرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

التّبادل التّجاري بين إقليمي توات والسّودان الغربي وأثره الاجتماعي والثّقافي (999-1317هـ/1591- 1900م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر:

إعداد الطالب: ابراهيم حامد لمين

المشرف: الدكتور : محمد حوتية

الرقم	الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د ناصر الدين سعيدوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضواً مناقشاً
04	أ.د بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	عضواً مناقشاً
05	أ.د صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي:

1436- 1437 هـ/ 2015 - 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور محمد الصالح حوتيه على إشرافه على هذا البحث، وحرصه الدّؤوب والمتواصل، ومتابعته لكل مراحل البحث، وتذليل كل الصعاب من بداية البحث إلى نهايته ؛ فكان وبحق السراج الذي أنار لي السبيل في هذه الدراسة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير للدكتور بوسليم صالح على ما أفادني به من توجيهات ومصادر، وأشكر الدكتور ألحمدي أحمد من جامعة وهران على توجيهاته ونصائحه وما أفادني به من مصادر ومراجع، وأشكر الدكتور جعفري مبارك من جامعة أدرار على ما أمدّني به من مصادر ومراجع مهمة عن منطقة الأزواد تدخل في صلب الدراسة، كما أشكر الأستاذ الدكتور جعفري أحمد أبا الصافي رئيس مخبر المخطوطات الجزائرية بغرب إفريقيا بجامعة أدرار على ما وجدته منه من ترحيب وإعانة في البحث من خلال أعداد من المجلة التي يصدرها المخبر، ومعلومات مهمة عن إفريقيا الغربية زادت من قيمة البحث.

وأتقدم بالشكر للأساتذة: بابا عبد الله، محمد بورشي، مولاي محمد، عبد القادر بلعالم ابن الشيخ محمد باي بلعالم؛ على حرصهم ودعمهم المتواصل في انجاز هذا البحث، كما أشكر أرباب خزائن المخطوطات بأدرار؛ خاصة عقباوي عزيز صاحب مكتبة الركب النبوي بأقبلي ، والشيخ حامد لمين عبد الله ؛ أمين مكتبة الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله بآولف، ومحمود محمد بن عبد الله صاحب خزانة محمد عبد الله بن الحاج عبد الرحمان (العالم بولحية الفزاري)بآولف.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى روح العالم حمد أبولحية الفزاري ، وإلى روح العلّامة الشيخ محمد باي بلعالم رحمة الله عليهما ، وإلى جميع علماء وأعلام الجزائر إعظاما وإكبارا.

إلى والديّ الكريمين إجلالا واعترافا بالتضحيات التي بذلوها من أجلي طوال مشواري الدراسي، وإلى إخوتي وأخواتي وجميع أفراد عائلتي صغيرا وكبيرا.

إلى جميع أساتذتي ومشايخي عبر جميع المستويات والأطوار في المدرسة النظامية والقرآنية فخرا واعتزازا.

إلى زملاء الدراسة في دفعة ماجستير تاريخ حديث ومعاصر بجامعة غرداية 2012م محبة ووفاءً.

إلى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد شكرا وتقديرا

ابراهيم

- المختصرات باللغة العربية:

الكلمة	اختصارها	الكلمة	اختصارها
جزء	ج	القرن	ق
صفحة	ص	وجه	و
طبعة	ط	ظهر	ظ
تحقيق	تح	دون تاريخ نشر	د.ت
ترجمة	تر	دون مكان نشر	د.م.ن
تعريب	تع	توفي	ت
هجري	هـ	عدد	ع
ميلادي	م		

- المختصرات باللغة الفرنسية:

Op.cit	Opus citatum
p	page

– مقدمة.

-التعريف بالموضوع:

تميز إقليم توات الجزائري بموقع استراتيجي ممتاز في وسط الصحراء؛ يربط الأقطار المغاربية الثلاث (تونس والجزائر والمغرب الأقصى) بممالك إفريقيا جنوب الصحراء؛ كونه يقع في طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء من شمال بلاد المغرب إلى إفريقيا جنوب الصحراء؛ وهذا ما أعطى منطقة توات حركية تجارية وانتعاش علمي ثقافي كبير ، يظهر جليا في كتابة من زار المنطقة من رحالة وعلماء ، أمثال: ابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزان والعيّاشي والأغواطي وغيرهم، وتركز تواصل إقليم توات كثيرا مع حواضر السودان الغربي بفعل حركة القوافل التجارية وازدهار الأسواق؛ وهو ما أحدث نتائج وآثار واضحة اجتماعيا وثقافيا، فامتزجت القبائل العربية والأمازيغية والزنجية ، وتوزّعت بين منطقتي توات والسودان الغربي مثل قبيلة كنتة، وقبيلة فلّان، وقبائل الطوارق، وظهر علماء ربطوا بين توات والسودان الغربي في الفترة الحديثة أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلي، ومحمد بن أبَّ المزمري، وعبد الرحمان التنلاني ، فانتشرت العلوم الإسلامية ، والتصوف، واللغة العربية، وتوطّد الإسلام وانتشر في السودان الغربي ؛ لذلك جاء موضوعنا" **التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي (999-1317هـ/1591- 1900م)**" الذي من خلاله سنحاول رصد ملامح هذا التواصل الاقتصادي ونتائجه.

-إشكالية الدراسة:

ينضوي هذا البحث تحت إشكالية رئيسية وهي: كيف كان يتم التبادل التجاري بين إقليم توات والسودان الغربي خلال الفترة المختارة ؟ وماهي آثار ونتائج هذا التبادل الاجتماعية الثقافية ؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية هي :

-ما أصل تسمية توات ؟ والسودان الغربي؟ وماهي أهم الخصائص الطبيعية والجغرافية؟

-ما هي أبرز المراحل التي تميز الخلفية التاريخية لتوات والسودان الغربي؟

-كيف كان الواقع الإقتصادي لإقليم توات خلال الفترة(999-1317هـ/1591-1900م)؟

-ماهي المسالك التجارية الرابطة بين توات والسودان الغربي؟ وما هي أبرز الأسواق التجارية ؟

-كيف كانت طرق التعامل المتداولة ؟ وما هي أدوات القياس والمكاييل والموازين والعملة المستعملة في توات والسودان الغربي؟

-ما هي أبرز القبائل التي كان لها دورا بارزا في التواصل الإقتصادي بين توات والسودان الغربي؟

-ما هي آثار ونتائج هذا التبادل التجاري الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

-ما هي أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة؟

-الإطار الزمني للموضوع:

يحدد الإطار الزمني للموضوع بالفترة الممتدة مابين (**999-1317هـ/1591- 1900م**) حيث تبدأ الدراسة سنة999هـ/ 1591م، وهو تاريخ سقوط مملكة السنغاي ببلاد السودان الغربي على يد الجيش المغربي، وتعتبر مرحلة جديدة في الحياة الاقتصادية باستحواذ المغرب على مناجم الملح والذهب من جهة، وتحول المنطقة من حكم المملكة الواحدة إلى إمارات ودويلات متفرقة متنازعة فيما بينها من جهة أخرى،كما ظهرت عصبية القبيلة والزعامة الصوفية، مثل الدور الكبير للشيخ سيدي المختار الكبير وقبيلة كنته.

وتنتهي الدراسة سنة 1317هـ/ 1900م وهي مرحلة تعرض إقليم توات والسودان الغربي للاستعمار الفرنسي؛ فاحتُلت تنبكتو الحاضرة الثقافية والاقتصادية سنة 1894م، و وقعت توات تحت الإحتلال الفرنسي سنة 1900م، وبذلك شهدت بداية القرن العشرين الميلادي مرحلة اقتصادية جديدة بدخول فرنسا؛ التي كان لها الأثر السلبي الواضح في عملية التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي بحيث سعت إلى القضاء على تجارة القوافل، بإطلاقها لمشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء ، في محاولة منها للربط بين مستعمراتها شمال وجنوب الصحراء الإفريقية من جهة، وتسهيل نقل البضائع مع إغراق السوق المحلية بالمنتجات الأوروبية من جهة أخرى.

-الدراسات السابقة:

من بين الدراسات السابقة التي اطلعنا عليها، فوضحت لي الفكرة عن موضوع التواصل الاقتصادي بين توات و السودان الغربي كتاب بعنوان آل كنتة في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة للأستاذ الدكتور محمد الصالح حوتيه؛ وهو عبارة عن أطروحة ماجستير، تطرق الباحث في الفصل الثاني منها للحياة الاقتصادية لقبيلة كنته المتواجدة في منطقة توات والأزواد؛ حيث تطرق في هذا الفصل إلى نشاط قبيلة كنتة التجاري بين توات والأزواد مبينا المسالك التي كانت تسلكها هذه القوافل بين توات والسودان الغربي .
وهناك دراسة أخرى لنفس الباحث بعنوان توات والأزواد وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تطرق الباحث في فصلها الثالث المعنون بـ الحرف والتبادل التجاري بين توات والسودان الغربي ؛ إلى جملة الحرف والصناعات التقليدية التي كانت منتشرة بين توات والأزواد الذي يعتبر جزء من أجزاء السودان الغربي ،وتطرق أيضا إلى ذكر بعض القوافل التي كانت تربط توات بالأزواد إقتصاديا.

كما تطرق فرج محمود فرج في كتابه إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، إلى التجارة الداخلية والخارجية لإقليم توات، فذكر التجارة الداخلية و السلع والبضائع ، إضافة إلى الأسواق التي كانت منتشرة داخل منطقة توات، وفي تطرقه للتجارة الخارجية ذكر علاقات توات الإقتصادية مع الشمال ومع إفريقيا جنوب الصحراء، موضحا دور توات الاقتصادي كهمزة وصل في تجارة القوافل القادمة من الشمال نحو إفريقيا جنوب الصحراء.

وتعرفنا كذلك على أطروحة دكتوراه للباحثة هرباش زاجية بعنوان: الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12-13هـ/18-19م، وتطرقت لأهم مقومات توات الاقتصادية، وأبرز الأسواق المنتشرة في توات .

وحاولنا في هذه الدراسة الجمع بين الدراسة الاقتصادية لتوات وربطها بالسودان الغربي؛ بالتطرق لأهم المبادلات التجارية، ثم حاولنا إظهار النتائج والآثار الاجتماعية والثقافية لهذا التبادل، وبذلك سعينا إلى الجمع بين دراسة توات والسودان الغربي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

-دوافع اختيار الموضوع:

لقد جاء اختيارنا لموضوع التبادل التجاري بين إقليم توات والسودان الغربي ونتائجه الاجتماعية والثقافية نتيجة جملة من الأسباب والدوافع الموضوعية والشخصية أهمها:

- المساهمة في نفض الغبار عن المصادر المحلية المخطوطة ، التي تُعنى بتاريخ توات والسودان الغربي وتمكين الباحثين والدارسين من التعرف عليها والإستفادة منها كل في مجاله.
- إثراء وتنويع الكتابات التاريخية حول منطق ة توات خاصة الجانب الاقتصادي، وإبراز دور الدراسات المحلية باعتبارها رافدا من روافد المعرفة ولبنة هامة في صرح التاريخ الوطني والإفريقي.
- توجه معظم الدراسات التاريخية التي عنيت بمنطقة توات بالجزائر إلى الجانب الثقافي والاجتماعي دون التركيز بشكل كبير على الجانب الاقتصادي الذي كان له أثر كبير في تاريخ المنطقة التواتية ويكشف أساليب المعيشة وطرق التكيف مع قساوة الصحراء.
- إطلاعنا على مجموعة من الوثائق والرسائل المخطوطة بخزائن المخطوطات بإقليم توات تبرز مختلف مجالات التواصل بين توات والسودان الغربي، حفزني على هذا الموضوع.
- وما زاد من تشجيعي هو موافقة الأستاذ الدكتور محمد الصالح حوتية في اختيار هذه الدراسة كونه متخصص بتاريخ توات وإفريقيا جنوب الصحراء، إضافة إلى دعمه وحرصه المتواصل في إنجاز هذا العمل.

-الهدف من الدراسة:

يبين البحث الواقع الاقتصادي لتوات خلال المرحلة ما بين (999-1317هـ/1591- 1900م) والعناصر الفاعلة فيه، إضافة إلى التعرف على الكيفق التي كانت تتم بها عملية التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي، مع أهم مسالك القوافل ، وأبرز السلع والبضائع المتبادلة، إضافة إلى العملة ، وكيفية التعامل التجاري، مع توضيح القبائل التي كان لها دور في تنشيط الحركة التجارية بين توات والسودان الغربي،

وتهدف الدراسة أيضا إلى توضيح آثار ونتائج هذا التواصل الاقتصادي على الإقليمين اقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا.

-خطة البحث :

اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة بحث تتكون من أربعة فصول ، كل واحدٍ منها يحتوي على مبحثين أو ثلاث ، حيث تناولنا في الفصل الأول التعريف باقليم توات والسودان الغربي؛ متطرقا فيه إلى أصل تسمية توات والسودان الغربي؛ موضحا الروايات المختلفة في ذلك ،إضافة إلى الخصائص الطبيعة والجغرافية للإقليمين من حيث الموقع والتضاريس والأودية والثروة المائية، كما تطرقنا أيضا إلى الإطار البشري لتوات والسودان الغربي؛ معرجا على القبائل المكونة للمجتمع التواتي، ومجتمع السودان الغربي. وفي آخر هذا الفصل تطرقت للخلفية التاريخية لكل من توات والسودان الغربي موضحا من خلالها العمق التاريخي وكرونولوجيا أهم الأحداث في تاريخ منطقة توات والسودان الغربي.

أما الفصل الثاني تطرقنا فيه للواقع الاقتصادي لإقليم توات، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث ؛ في المبحث الأول وضحنا فيه الزراعة والرعي وتربية الحيوانات متطرقا لنظام السقي بالفقارة ؛ التي تثبت خبرة سكان توات في استغلال الموارد المائية والتكيف مع الصحراء ، كما بيّنا المحاصيل الزراعية التي تنتج في توات وأهميتها في التجارة إضافة إلى الرعي وتربية بعض الماشية في البساتين والمنازل. وفي المبحث الثاني حاولنا توضيح الحرف والصناعات التقليدية ؛ من صناعة السعف والليف والصناعة الطينية وصناعة الجلود والصناعة النسيجية وصناعة الحلي وغيرها. وفي المبحث الثالث من هذا الفصل أشرنا إلى النشاط التجاري داخل وخارج إقليم توات ، بذكر الأسواق الداخلية المزدهرة في تديكلت، وتوات، وقورارة، وتوضيح الأسواق الخارجية المرتبطة تجاريا بتوات خاصة أسواق الشمال ، مع ذكر الطرق والمسالك التي تعبرها القوافل التجارية.

أما الفصل الثالث فقد خصّصناه للتجارة بين توات والسودان الغربي وجزّأناه إلى ثلاث مباحث رئيسية ؛ ففي المبحث الأول تحدثنا عن المسالك والطرق التي تربط إقليم توات بالسودان الغربي؛ معرّجين على أهم

الصعوبات التي تواجه القوافل في الطريق، كما تطرقنا إلى الأسواق المزدهرة تجاريا المتمركزة بالسودان الغربي. وفي المبحث الثاني تناولنا بالدراسة أهم السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري ، وأوردنا في المبحث الثالث العملة المتداولة ، وأدوات القياس إضافة إلى المكاييل والموازين التي كانت تستعمل تجاريا بين تجار توات والسودان الغربي.

أما الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة فقد خصصناه لنتائج وآثار التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي ، وقسمناه إلى مبحثين؛ ففي المبحث الأول أوردنا النتائج والآثار الاجتماعية ؛ متحدثين عن هجرة القبائل العربية وتنقل الزنوج الأفارقة وما ترتب عنه من نتائج . وفي المبحث الثاني تطرقت الى الآثار والنتائج الثقافية ؛ متحدثين عن الرحلات العلمية لعلماء توات نحو السودان الغربي وأشرت إلى الطرق الصوفية التي وصلت السودان الغربي عن طريق مشايخ وتجار توات ، ثم تطرقنا إلى ركب الحجيج وما نتج عنه من احتكاكات علمية بين العلماء وطلبه العلم لكِلا الإقليمين.

وفي الأخير ختمنا البحث بخاتمة بينا فيها النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

– نقد المصادر والمراجع:

– المصادر المخطوطة:

– درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: لمؤلفه محمد بن عبد الحق البكري ، لم يحقق بعد، حدّد فيه المؤلف موقع توات وأصل تسميتها، ومختلف أعلامها والقبائل المتوافدة على توات من عرب وأمازيغ، وتحدثنا أيضا عن الصراعات القبلية في توات، وتطرق إلى السقي بالفقارة وكيفية حفرها؛ فهو يقدم دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية عن منطقة توات.

– **جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني:** لنفس المؤلف، يضم تراجم لعدد كبير من أعلام توات خاصة الفقهاء والقضاة.

– **تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط**: لنفس المؤلف، يتكون من ثماني ورقات، ويتطرق إلى تاريخ توات من عهد دولة الموحدين إلى غاية الاحتلال الفرنسي لتوات، وركز على قصر تمنطيط وتطوره التاريخي.

– **غنية المقتصد فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل**: لمؤلفه عبد العزيز بن محمد البلبالي، ويعرف المخطوط بالغُنية، جمع فيه المؤلف مئات المسائل والفتاوى، احتفظت لنا بمعلومات قيمة عن الواقع العلمي والاجتماعي والاقتصادي بتوات خلال القرن 19م، أفادتنا كثيرا في البحث خاصة الجانب الاقتصادي لتوات؛ حيث ورد في هذا المخطوط المعاملات التجارية المنتشرة في توات، كوجود العملة والمقايضة، وذكر أيضا بعض المنتوجات الفلاحية والحرف والمهن مثل مهنة كيال الماء"الكيال"، كما توضح الغُنية التواصل الاقتصادي والعلمي بين إقليم توات وحواضر المغرب الأقصى، كفاس، وتفلالت، ودرعة، وكذلك علاقات توات الاقتصادية والعلمية بين توات وحواضر السودان الغربي.

– **نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي** : لمؤلفها الشيخ باي بن عمر بن محمد بن الشيخ المختار الكنتي وهي عبارة عن مخطوط يضم 392 ورقة ، عثرنا على نسخة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بآولف ولاية أدرار، وكاتب النسخة دون اسمه في آخر المخطوط وهو محمد التهامي بن عبد القادر بن الحاج أبي بكر. جمع المؤلف في النوازل فتاويه وآرائه الفقهية على المذهب المالكي احتفظت بمعلومات قيمة في شتى المجالات عن منطقة الأزواد بالسودان الغربي، فهي تعتبر مصدرا تاريخيا مهما ، ومصدرا من مصادر الفتوى في منطقة الأزواد.

– **الطرائف والتلائد لمؤلفه الشيخ سيدي محمد بن المختار الكبير ت. 1179هـ/1765م**، توجد نسخة من المخطوط في خزانة الركب النبوي بأقبلي آولف ونسخة أخرى بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم – رحمه الله– وتضمن المخطوط معلومات مهمة عن الطريقة القادرية وحياة سيدي المختار الكبير الكنتي وقبيلة كنته ودورها في منطقة الأزواد .

–الرسائل المخطوطة:

كما اعتمدنا على بعض الرسائل المخطوطة التي وصلت إليها مثل الرسالة التي بعثها أحمد البكاي من تنبكتو إلى أحمد حمدي حَبّادي بتديكلت آولف خلال القرن 13هـ/19م. ورسالة أخري توجد بخزانة أهل العبد بتيندوف من دون ترقيم من محمد إلى أبيه (بابا) جاء فيها تعرض قافلة من توات إلى قطاع طرق من أولاد المولات وتوضح مدى الخطر الذي يواجه القوافل التواتية في الطريق إلى السودان الغربي .

-المصادر المطبوعة:

- رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار: لابن بطوطة ، يعتبر من أهم مصادر كتب الرحلات ،حيث ربط المؤلف بين دول المغرب وممالك إفريقيا جنوب الصحراء فزار تغازي، تنبكتو، جني، مالي، كوكو، تكدا، بلاد الهقار، توات ، سجلماسة. وأعطى المؤلف من خلال رحلته معلومات عن الوضع العام للمدن التي زارها وشاهدها. وتوضح رحلة ابن بطوطة عمق التواصل بين طرفي الصحراء.

- وصف إفريقيا: للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، تطرق في كتابه لإقليم توات بتيجورارين وسماه تيكورارين ، وذكر قصوره كما تحدث عن تسابيت ووصف مبانيها وعاداتها وتقاليدها وحركتها التجارية، كما زار الحسن الوزان بلاد السودان الغربي وتحدث عن تنبكتو وازدهارها العلمي والتجاري، وزار ولاته وجني ومالي وأقدز وكاتسينا وبرنو. إضافة إلى تطرقه لتجارة القوافل القادمة من الشمال نحو إفريقيا جنوب الصحراء والصعوبات التي تواجهها من ندرة المياه وهجمات قطاع الطرق.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر: لمؤلفه عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر تاريخي مهم لما اشتمل عليه من تاريخ ووصف وتحليل للحوادث التاريخية ، يتكون من ثمانية أجزاء؛ الجزء الأخير مخصص للفهارس، وتحدث ابن خلدون في الجزء السادس والسابع عن بلاد توات مخصصا حديثه على تيجورارين وتمنطيط وما يميزهما. وذكر أيضا السودان الغربي معتمدا على كتابات سابقيه البكري والإدريسي، ومن قابلهم من التجار الذين يترددون على هذه المناطق ، فقد ذكر ترتيب سلاطين مملكة مالي، والطرق التجارية متطرقا إلى الطريق التي يمر على توات ووصفه بأنه أكثر أمنا عن باقي الطرق. ويتضح

لنا من هذا المصدر موسوعية ابن خلدون فإضافة إلى كونه مؤرخا جمع علوما أخرى كعلم الاجتماع والأدب والدين والفلسفة والأنساب.

- **تاريخ السودان:** لمؤلفه عبد الرحمان السعدي توفي 1066هـ/1655م مصدر مهم في تاريخ السودان الغربي حيث تحدث عن ممالكه مثل السنغاي ومالي ونشأة حاضرة تنبكتو وتطرق لذكر قبائل الطوارق والفلّان وحملة المنصور الذهبي على السنغاي وحكم بشوات المغرب الأقصى لها، كما ترجم السعدي للكثير من أعلام السودان الغربي.

- **تاريخ الفتاش** : لمؤلفه محمد بن محمود كعت، الذي أرخ فيه لمملكة السنغاي في عهد الأسيقيين وكان قاضيا بها، متحدثا عن تنبكتو وحملة المنصور الذهبي عليها .

- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** : لمؤلفه احمد بابا التنبكتي ، وهو عبارة عن معجم لتراجم العلماء والأعلام في كل من المغرب والأندلس وبلاد السودان الغربي خلال القرنين 10-11هـ/16-17م.

- **كنته الشرقيون:** لبول مارتي وعربه محمد محمود ولد ودادي ، استفدت من هذه الدراسة كثيرا في بحثي لأنه تتبع بالدراسة والتحليل قبيلة كنته تاريخها وفروعها وأعطى تراجم مفصلة لشيوخها ، كما تحدث عن المراكز العلمية والحواضر التي أسسها كنته في الصحراء وتعبر إرثا مشتركا بين توات والسودان الغربي.

- **من عرب مالي البرابيش (بنو حسان):** لنفس المؤلف، وعربه محمد محمود ولد ودادي تطرق فيه لتاريخ قبيلة البرابيش وأماكن تواجدهم ، واستفد منه في إعطائي خلفية تاريخية اجتماعية لسكان الأزواد ، كما تعرفت من خلاله على بعض الحواضر الاقتصادية مثل: تاودني وأروان.

- المصادر المطبوعة الفرنسية:

– الواحات الصحراوية: لمارتان، (Martin : Les Oasis Sahariennes) تعرضت هذه الدراسة لتاريخ توات من ماقبل التاريخ إلى غاية الاحتلال الفرنسي، مركزا على الجانب الاقتصادي، كما وجدت في هذا الكتاب إحصائيات كثيرة استقاها من السجلات الرسمية للملحقات الإدارية لم أجدها في غيره؛ بحيث اهتم بالمنتوجات الزراعية، والحرف التقليدية، واهتم بالموازين والمكاييل ونظام سقي الفقارة وابرز الأسواق المزدهرة والسلع التجارية .كما ذكر أهم المبادلات التجارية لإقليم توات مع السودان الغربي.

– أربعة قرون من تاريخ المغرب من 1504 إلى 1902م: لنفس المؤلف.

(Quatre siècles d'histoire Marocaines au Sahara de 1504 a 1902)

تطرق فيه مارتان لتاريخ إقليم توات سياسيا واقتصاديا من خلال ما وصل إليه من مخطوطات وروايات شفوية أخذها عن القائد مولاي هاشم بن أحمد، وتطرق أيضا لنظام سقي الفقارة العجيب كما عبر عنه. وكذلك المنتوجات الزراعية والحركة التجارية في توات.

– التديكلت: لـ فوانو (Voinot Louis : Le Tidikelt) ،دراسة خصصها لمنطقة تديكلت آولف وعين صالح باقليم توات، من الناحية الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، تضمنت معلومات قيمة حول الفقّارة والغطاء النباتي والعادات والتقاليد الاجتماعية؛ مستندا في كتابه على الروايات الشفوية ومشاهداته في منطقة تديكلت .

ودائما نأخذ من المصادر الفرنسية بحذر، ونقارنها مع المصادر المحلية المخطوطة والروايات الشفوية؛ لأن الكتابات الفرنسية تحاول دائما تجميل وجه الاستعمار في ظل السلطة الاستعمارية على أقاليم توات، وقد تهدف في بعض الأحيان إلى تمجيد قبيلة أو فئة على حساب أخرى لخدمة أهدافها الاستيطانية.

– المراجع المطبوعة العربية:

– **إقليم توات خلال القرن 18و19م** : لمؤلفه فرج محمود فرج، وهو أول دراسة أكاديمية لإقليم توات وعنيت بتنظيم الإقليم إداريا، وسياسيا، واجتماعيا، واهتمت بالجانب الثقافي وروّاد الحركة العلمية في توات، واستفدت في دراستنا هذه فيما أوردته هذه الدراسة، وما تطرق إليه من النشاط الزراعي، والحرف، والصناعات التقليدية، والتجارة بنوعيها الداخلي والخارجي؛ مبرزا ازدهار أسواق إقليم توات . وأورد فرج محمود فرج معلومات في ملاحق الكتاب حول قافلة أولاد سيد الشيخ ، وقافلة المشرية نحو توات سنة 1900م ؛آخذاً المعلومات من جريدة المبشر ، وتمكنت من الحصول على الجريدة من أرشيف ولاية وهران .

-**الرحلة العلية لإقليم توات:** للشيخ محمد باي بلعالم ، وهي دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية علمية لإقليم توات في جزأين، تطرق فيهما المؤلف إلى ترجمة معظم أعلام منطقة توات، وعاداتها وتقاليدها، والزوايا والمدارس العلمية ودورها بإقليم توات، إضافة إلى منتوجاتها الزراعية وفقّاراتها، كما تطرق إلى مقاومة الاستعمار بتوات في معركة الدغامشة و إنغر وجمع في كتابه –رحمه الله– مقاطعات إقليم توات الثلاث: تيجورارين، توات الوسطى ، وتديكلت مع ذكر جميع قصورهم وزواياهم.

– **قبيلة فلّان:** لنفس المؤلف تطرق فيه إلى دراسة قبيلة فلان؛ التي ربطت بين توات والسودان الغربي، بحيث ترجم لأعلام فلّان في توات وإفريقيا جنوب الصحراء مبرزا دورهم الثقافي والاجتماعي في منطقة توات معتمدا على ما اطّلع عليه من المخطوطات والمصادر التاريخية، وبمن التقى بهم في رحلاته المتعددة إلى بلاد شنقيط و المملكة العربية السعودية ، فاعتمدنا على هذا الكتاب في دراسة وتأريخ قبيلة فلان في دراستنا كما استفدت من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الشيخ محمد باي بلعالم – رحمه الله– ووجدتها في مكتبته.

– **توات والأزواد:** لمؤلفه الدكتور محمد الصالح حوتيه في جزأين، وهي دراسة قيمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن منطقة توات والأزواد ، وضحت لي هذه الدراسة الخطوط العريضة لإنجاز هذا البحث، فقد اهتم الباحث في كتابه بموقع إقليم توات والأزواد، ومقوماتهما الاقتصادية في المجال الزراعي والصناعي والتجاري؛ مبرزا التواصل الاقتصادي المزدهر بين توات والأزواد؛ معرجا على المقاييس والمكاييل

والأوزان والعملة التي كانت منتشرة في توات والأزواد، كما ترجم للعديد من العلماء مبرزا دورهم العلمي والثقافي .

- **آل كنتة:** لنفس المؤلف وهو كتاب حاز السبق في دراسة قبيلة كنته بالجزائر متتبعا أهم المحطات التاريخية في نشأة هذه القبيلة وتفرعها في توات والأزواد، مبرزا الدور السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي لهذه القبيلة في الصحراء الكبرى، و تطرق إلى الجانب الاقتصادي وذكر أهم الطرق والمسالك التي كانت تتبعها قوافل كنته بتوات والأزواد، إضافة إلى أهم المبادلات والعملة واستفدت من هذه الدراسة في إثراء هذا البحث.

- **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ** : لمؤلفه مبارك جعفري، تتبع في هذا الكتاب – أطروحة ماجستير– العلاقات العلمية بين توات والسودان الغربي؛ موضحا أهم العلماء الذين كان لهم دور كبير في هذا التواصل.

- **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشرالميلادي:** لنفس المؤلف وهي أطروحة دكتوراه قيمة ساهمت في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للأزواد بذكر القبائل والعادات والتقاليد وأهم الحواضر الاقتصادية والمبادلات التجارية للأزواد مع حواضر المغرب وإفريقيا. واستفدنا من هذه الدراسة خاصة في الحواضر الاقتصادية المزدهرة بالسودان الغربي والعلاقات فيما بينها، كما كان لي مع المؤلف معرفة خاصة، واستفدت منه كثيرا وأمدني ببعض المصادر التي اعتمد عليها في رسالته لأنه زار منطقة الأزواد وتحصل على مصادر مهمة عربية وأجنبية .

-**الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرن 12-13هـ/18-19م** : لهرباش زاجية، وهذه الدراسة أطروحة دكتوراه تطرقت فيها الباحثة لدراسة دقيقة للوضع الاقتصادي لتوات من خلال ما استنتجته وما حملته نوازل الغنية للبلبالي، واستفدنا من هذه الدراسة في الفصل الثاني؛ حيث تطرقت للواقع الاقتصادي لإقليم توات من خلال السقي بالفقارة، والمنتوجات الزراعية والحرف، وتطرقت الباحثة إلى أسواق توات بأقاليمها الثلاث: تيجورارين، توات الوسطى، وتديكلت.

- **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية:** لمؤلفه مهدي رزق الله أحمد ، وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ نوقشت في جامعة الأزهر ، استفدت من هذا الكتاب خاصة في العلاقات الثقافية والتجارية بين بلاد السودان وبلدان المغرب ، ويبرز أهمية ومكانة العلماء المغاربة في السودان الغربي، ودورهم في إثراء الحركة العلمية ،كما ترجم لبعض الشخصيات العلمية التي كانت لها مساهمة فعالة في المجال العلمي والثقافي بالمغرب العربي والسودان الغربي.

- **سكان تديكلت والاتكال على النفس** : لمؤلفه الحاج التومي سعيدان، جمع في هذا الكتاب مختلف المعلومات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافة المحلية، والعادات، والتقاليد، وركز على مقاومة الاستعمار الفرنسي في معركة الفقيقيرة، والدغامشة، وإنغر؛ مبرزا شجاعة المجاهدين في تديكلت بالرغم من قلة أسلحتهم وعدم تكافئها مع فرنسا والمؤلف –رحمه الله– شاعر ومجاهد وباحث في التاريخ ومزدوج اللغة العربية والفرنسية، جمع كل اهتماماته وبحوثه وما وصل إليه من معلومات عن تديكلت في هذا الكتاب الذي يبرز وبحق الخصائص الاجتماعية، والثقافة المحلية، والجانب الاقتصادي لتديكلت بتوات.

كما اعتمدنا على بعض المقالات العلمية في المجلّات والملتقيات مثل: مقال للدكتور مقلاتي عبد الله بعنوان علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي، ومقال للدكتور خير الدين شترة بعنوان المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، وهما مقالان في الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، في أفريل 2009م.

واعتمدت على مقابلتين الأولى مع والدي الشيخ حامد لمين عبد الرحمان ؛ لأنه إضافة إلى معرفته بالعلوم الشرعية التي أخذها عن والده و عن الشيخ محمد باي بلعالم –رحمه الله– الذي أجازه، عنده اهتمام بالمجال التاريخي والأنساب أخذها عن والده عبد الرحمن بن البركة حمد لمين، وأخذها عن مولاي عبد الرحمان هيباوي ت 1996م –رحمه الله – شيخ زاوية مولاي هيبة بآولف.

واعتمدنا كذلك على مقابلة شفوية مع حبّادي أحمد حفيد أحمد حمدي حبّادي، يحتفظ بالعديد من المعلومات التي تؤرخ لعائلته، ودورها العلمي والاقتصادي في منطقة آولف إضافة إلى احتفاظه بعديد الرسائل والتقاييد التي كانت ترِد إلى جده أحمد حمدي حبّادي من تنبكتو بالسودان الغربي ومن توات.

-المنهج المتبع:

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي؛ من خلال وصفنا للأحداث والواقع الاجتماعي والاقتصادي لتوات والسودان الغربي، وتحليل بعض الظواهر والخروج منها ببعض النتائج ، إضافة إلى المنهج الاستدلالي الذي يعتمد على الحقائق والشواهد التاريخية؛ لتوضيح هذه الدراسة التي تبرز التواصل الاقتصادي بين توات والسودان الغربي و نتائجه، واستعنت بالمنهج الاقتصادي الكمي في الجانب الاقتصادي من البحث من خلال ذكر بعض الأرقام والإحصائيات الاقتصادية، مثل كمية بعض المبادلات التجارية والمحاصيل الزراعية وأعداد النخيل، وبعض الإحصائيات للعملة والمكاييل والموازين المستعملة بتوات والسودان الغربي.

-صعوبات البحث:

واجهتني عدة صعوبات في انجاز هذا البحث منها ما يواجه كل باحث مبتدئ؛ كصعوبة التحكم في الموضوع والإلمام بجوانبه، وبمنهجية البحث التاريخي، واستغلال الوقت خاصة في جمع المادة العلمية. كما واجهتني صعوبات أخرى منها تناثر بعض المعلومات التي تخص صلب الموضوع في بعض المخطوطات الفقهية ، إضافة إلى صعوبة قراءة بعض المخطوطات، واهتراء أوراقها وصعوبة مصطلحاتها، هذا ناهيك عن امتناع بعض أصحاب الخزائن من اطلاعنا على بعض التقاييد والمخطوطات التي تثبت التبادل التجاري والواقع الاقتصادي لتوات خوفا من إظهارها وأحداث مشاكل بسببها ، وكذلك صعوبة الوصول إلى مصادر السودان الغربي خاصة المحلية منها بسبب تردي الأوضاع الأمنية التي تمنع من التنقل إلى دول السودان الغربي، كما وجدت صعوبة في كثرة الترجمة للمصادر والمراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها وكذلك واجهتني صعوبة التوفيق بين مشاغل العمل ومسؤولية البحث العلمي.

-الفصل الأول: التعريف بإقليمي توات والسودان الغربي.

-المبحث الأول: التعـــريف بتوات.

أ – أصل التسمية و الخصائص الجغرافية.

ب – السكان.

ج – الخلفية التاريخية لإقليم توات.

-المبحث الثاني: التعريف بالسودان الغربي.

أ– أصل التسمية والخصائص الجغرافية.

ب– السكان.

ج– الخلفية التاريخية للسودان الغربي.

– المبحث الأول: التعريف بتوات.

أ– أصل التسمية والخصائص الجغرافية:

1– أصل التسمية:

اختلفت الروايات حول أصل تسمية توات، فمنها ما يرجعها إلى أصول بربرية، والبعض يؤكد على أنها عربية، وهناك من يورد حادثة تاريخية ويسقطها على مدلول اللفظ. ومن أقدم المصادر التي ذكرت الإقليم بهذا الاسم (توات) كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار" للرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة (ت 779هـ/ 1378م) الذي زار المنطقة سنة 754 هـ/1353م[1] . ثم توالت بعده المصادر في ذكر توات كابن خلدون (ت 808 هـ / 1406م) و العيّاشي (ت .ق 11هـ/ 17م)[2] ، وغيرهم، ومن هنا سنحاول تسليط الضوء على آراء مؤرخين، وشهادات الرحالة واللغويين و منها:

- رواية السعدي: ذكر عبد الرحمان السعدي في كتابه تاريخ السودان؛ أن سلطان مالي (كنكان موسى)[3] في طريقه إلى الحج أصاب مرضٌ بعضَ أصحابه يعرف بتوات في لغتهم، فتركهم السلطان وسار بمن معه، ومن تبقى استوطنوا هناك، فحمل المكان اسم المرض فأصبحت تعرف بتوات.
- رواية محمد بن عمر (ت. ق 13 هـ/ 19م): يقول صاحب هذه الرواية و هو من المؤرخين المحليين: أنه لما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب وصل بعض رجاله منطقة توات، ودخلوها سنة 62هـ/681م

---

[1] – محمد بن عبد الله ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غريب الأمصار و عجائب الأسفار،تح.محمد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1987 م ، ص712.

[2] – مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال ق 12هـ ، دار السبيل ، الجزائر، ط1، 2009م، ص 03.

[3]– هو منسى موسى أبي بكر، تولى حكم مملكة مالي سنة 1312م، امتدت في عهده مملكة مالي لتسيطر على طريق الذهب و الملح، قام برحلة إلى البقاع المقدسة، استمر حكمه مدة 25 سنة توفي سنة 1337م. ينظر: جوزيف يوان: الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي: دار الكتاب المصري، القاهرة،دت، ص ص72، 76.

فسألهم عن هذه البلاد، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب؟ فأجابوه بأنه تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة و حذفت الياء في آخر الكلمة للتخفيف[1]

- رواية محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي (ت 1374هـ / 1855م): يذكر القاضي و المؤرخ محمد بن عبد الكريم البكراوي[2] في مخطوطه "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام أن المهدي بن تومرت[3] ملك الدولة الموحدية أرسل قائديه علي بن الطيب و الطاهر بن الطيب سنة 518هـ /1124 م لقبض الأتوات لكن أهل توات تحججوا بالضعف وقلة الذهب والفضة، فأمر عامله أن يقبض الرطب والعنب، ثم باع ما جمعه إلى القبائل البدوية بالغرب من تلمسان، وفي العام الموالي أمر عامله بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلا و وزنا فعرف هذا القطر بأهل توات.
- رواية محمد الأنصاري: يرى صاحب كتاب "فهرسة الرصاع" أن أصل التسمية هي لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين لسكان الصحراء[4] .
- رواية مولاي أحمد الإدريسي الطاهري (ت 1399 هـ/ 1979م): يرى بأن توات سميت بهذا الاسم؛ لأنها تواتي للعبادة، ولهذا سكنها الكثير من العلماء والأولياء والصالحين، اتخذوها مقرا للخلوة و التعبد[5].
- آراء المؤرخين و الرحلة الأوروبيين:

---

[1] – محمد بن عمر البوداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة أحمد ديدي، تمنطيط،أدرار، الجزائر، الورقة 03و .

[2] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، ادرار، الجزائر، الورقة 103 و.

[3] – هو محمد بن تومرت الملقب بالمهدي إحدى بطون قبائل المصامدة، ولد سنة 485هـ/ 1092م حيث شب على حب العلم التقى به عبد المؤمن بن علي بالقرب من ديار ملالة في بلاد المصامدة فأعجب بعلمه و لازمه، و وافقه على فكرة الخروج على الدولة المرابطية، حيث بعث دعوته من بلاد المصامدة و لقب أتباعه بالموحدين و لقنهم عقائد التوحيد باللسان البربري، و جهز لهم جيشا استطاع به دخول مراكش سنة 516هـ، توفي سنة 524هـ/ 1130م. ينظر أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح، جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م ص ص 71-88.

[4] – محمد الأنصاري الرصاع: فهرست الرصاع ، طبعة حجرية، تونس ، 1967م، ص 127.

[5] – مولاي أحمد الطاهري الإدريسي:نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار،الجزائر، الورقة 12 و.

هذه الرواية نظر لها مؤرخون أوروبيون فرنسيون على الخصوص من بينهم مارتان(A.G.P.Martin) الذي يرى أن اسم توات (TOUAT)هو مفرد المصطلح البربري وا (OUA) المتطابق بدوره مع المقطع الإغريقي (OA)، الذي يشير إلى (OASIS) أي بمعنى الواحات[1]، و يدعم هذا الرأي في نظرهم ما شاع من تعبير مشابه على اللسان الأمازيغي الزناتي مثل: توان عبو (TOUA'N EBBOU) و معناها واحة الماء، وهذا التركيب موجود في اللهجة الزناتية، والخلاصة أن لفظ توات الأمازيغ الأصل يعني الواحات[2] ، وهي تتطابق و وقوع الإقليم ضمن واحات الحوض الشرقي لواد الساورة.

تبدو هذه الرواية مضطربة، إذ تحاول الربط بين ثلاث معطيات متباعدة علميا هي الإغريقية والفرنسية والبربرية (الزناتية)، و هي تنظير استعماري، يحاول إيجاد علاقة مُفترضة بين قبائل شمال إفريقيا البربرية وسكان جنوب أوروبا.

بالرغم من الاختلاف الواضح بين الروايات السابقة في تفسير أصل تسمية توات ما بين اشتقاق لغوي و تأصيل اصطلاحي، إلا أن الأرجح و الأقرب إلى الصواب هو أن اسم توات أمازيغي قديم[3] قِدَم قبائل زنّاتة التي خطت الإقليم و عمرته ثم أعقبها قبائل بني معقل العربية التي ساهمت في تعريبه وانصهر ساكنته في بوتقة واحدة، فلا تمايز واضحا إلا ما احتفظت به أسماء القصور، و معظمها لا يزال يحمل إلى اليوم أسماء أمازيغية مثل طلمين (النوق)، تسابيت (المكان المعزول) تينيلان (مكان الأحرار)، أدرار (الجبل) تامست

---

[1] – منذ احتلال الجزائر تم بذل معرفي بخصوص الصحراء عامة و توات خاصة من قبل فرنسيين معظمهم ضباط في الجيش لأهداف سياسية إستراتيجية تخدم أغراضهم الاستعمارية، توج بظهور كتاب الصحراء الكبرى للعسكري (DAUMAS) سنة 1856م و توالت كتابات(DEPORTER)، و (LACROIX) ، ثم (MARTIN) الذي نشر كتابين هما: الواحات الصحراوية، و أربعة قرون من تاريخ المغرب. ينظر رشيد بليل: قصور قورارا، و أولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي و المناقب و الأخبار المحلية، تر. عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، 2008م، ص 38.

Martin(A.G.P): Quatre siècles d'histoire Marocaines au Sahara de 1504 a 1902, au Maroc de 1894 a 1912, Librairie Félix Alcan, paris, 1923, pp 2.

[2]– Mario vivarer: Au sujet de Touat , Librairie Michelruff, Alger, 1896,p28 .

[3] – أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 02، ص 159.

(النار)، تيلولين (منبت الكلأ)، سالي (علّاق الراحلة)، رقّان (الجمل الراقد)، تيط (العين)، إينغر (الشعبة) و غيرها كثير.[1]

وهذا ما يجعل الأصل الأمازيغي أقرب وأقوى من العربي لأن معظم القصور بداخله أمازيغية. فكيف يكون الفرع بربريا بينما الأصل عربي؟. إضافة إلى ما يدعم أن توات اسما أمازيغيا هو أن معظم القصور تبدأ ألفاظها بحرف التاء مثل: تمنطيط، تماسخت، تاوريرت، تيميمون، تيط. و هي ذات معنى أمازيغي و هو ما يثبت أن تكون توات ذات أصل أمازيغي.

2- الموقع والخصائص الجغرافية :

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الجزائر، وهو جزء من الصحراء الكبرى الممتدة على عرض إفريقيا الشمالية يضم ثلاث مقاطعات كبرى وهي: تيجورارين، توات، تيديكلت، و يحد الإقليم من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير و واد الساورة، و من الغرب عرق شاش و واد مسعود، و من الجنوب صحراء تنزروفت وهضبة مويدر، ومن الشرق والشمال العرق الشرقي وهضبة تادمايت، أما فلكيا فيقع الإقليم بين خطي طول 1^0 شرقا و 3^0 غربا، و بين دائرتي عرض 20^0 إلى 30^0 شمالا، و بالتالي فإن خط غرينتش و دائرة مدار السرطان يتقاطعان بإقليم توات[2] .

وقد حدد المؤرخ محمد بن عبد الكريم[3] أبعاد الإقليم بالنسبة للأقاليم المحاذية له..."بينها و بين سجلماسة ثلاثة عشر يوما، وغربا عشرون يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرون يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا و من ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع إسراعا لبلد الأبيض سيد الشيخ..."

يتوزع الإقليم على ثلاثة مناطق من الشمال إلى الجنوب و هي على النحو التالي:

---

[1] – محمد باي بالعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات و ما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ج1 ، 2005 م ، ص 09.

[2] – مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 32.ينظر ملحق الخرائط، الخريطة رقم01، ص148.

[3] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري: المصدر السابق الورقة 101 و

–منطقة تيجورارين: تقع في شمال توات، يحدّها من الشمال والشمال الشرقي العرق الغربي الكبير الذي يفصلها عن الأطلس الصحراوي، ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن الشرق الحوض الشرقي لوادي الساورة[1] ، وكلمة تيجورارين ذات أصل أمازيغي بمعنى (المخيّم)[2].

حظيت منطقة تيجورارين باهتمام المؤرخين، الذين وصفوا قصورها البالغ عددها ثلاثمائة قصر حسب ابن خلدون[3]، وخمسون قصرا أو أكثر من مائة قرية عند حسن الوزان[4] ،أما الفشتالي فقد وصف تيجورارين بأنها: "أعظم اشتهارا وأشد شوكة وأخشن جانبا وأعظم أقاليم المغرب وأكثرها اسما وأفصحها خطة ...[5]" و لقد عرّج الفشتالي على رواية ابن خلدون التي عددت قصور توات بثلاث مائة قصر، واعتبر هذا العدد شيئا قليلا مقارنة بما دلت عليه الأخبار التي تلقاها من الجنود الذين شاركوا في هذا الاعتداء الذي شهده إقليم توات 991هـ / 1583- 1584م[6].

تنتشر أعداد كبيرة من القصور في تيجورارين بين تبلكوزة في الشمال و المطارفة في الجنوب، تتوزع على الترتيب في مقاطعات رئيسية و هي: تينركوك، أولاد سعيد، تيميمون[7]، طلمين، أقروت، لمطارفة.

---

1 - Bisson (Jean): Le Gourara, étude de Géographie Humaine, université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire N^0 03, 1995, P 8.

2 – رشيد بليل، المرجع السابق، ص 37.

3 – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ، تح. خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت ، ج7،2001م، ص 77.

4 – حسن الوزان: وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ج2، ط2، 1983م، ص 133.

5 – أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في موالينا الشرفاء، تح. عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف، المغرب، د.ت، ص 73.

6 – المصدر نفسه، ص 75.

7 – هي عاصمة تيجورارين، اعتبرها عبد الرحمن بن إدريس التينيلاني (ت 1233هـ/1818م) قاعدة قرى قورارة. ينظر: عبد الرحمن بن إدريس التينيلاني: الرحلة من توات إلى الجزائر مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار،الورقة 1 و.

و وصفها ابن الدين الأغواطي: بأنها" الممر الهام للرحل نحو الشمال و منه [...]منازلها متراصة مبنية بالطين و الطوب ذات اسواق عامرة مشهورة، أما سكانها فهم مزيج من أجناس مختلفة، فهناك البشرة البيضاء و الحمراء و السوداء". ينظر: أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1 ، 1990م ، ص 257.

– منطقة توات الوسطى: هي مصدر التسمية الجامعة لإقليم توات، تتوسط الإقليم و تبدأ من أعالي قصور تسابيت (عريان الرأس شمالا) إلى غاية اينتهنت (رقان) جنوبا[1]. تشتمل على سلسلة مترابطة المقاطعات، كل مقاطعة تحتوي على عدة قصور أهمها تسابيت [2]، بودة[3]، تيمي[4]، تمنطيط[5]، فنوغيل، زاوية كنتة، أنزجمير، سالي، رقان[6].

– منطقة تيدكلت: اسم تديكلت هو اسم أمازيغي (بربري) معناه بالعربية (كف اليد)[7]. تقع منطقة تديكلت بين توات الوسطى و هضبة تادمايت شمالا و هضبة مويدرا جنوبا[8]، و حَدّدها الشيخ محمد باي بلعالم بقوله: " الإقليم من فقارة الزوى شرق عين صالح إلى قصر تيمقطن" [9]، و تضم حاليا جزء من ولاية أدرار –آولف– وجزء من ولاية تمنراست – عين صالح و إينغر– وهي موزعة على اثنتي عشرة واحة، تشمل

---

[1] – محمد باي بلعالم، الرجع السابق، ج1 ص 9.

[2] – ذكرها الحسن الوزان (ت 957هـ/ 1550م) باسم تسبت، و اعتبرها من الأقاليم المأهولة في الصحراء، تضم أربع قصور و قرى عديدة، أما أرضها فتنبت التمر و قليلا من الشعير، ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1 ، ص 9.

[3] – وصفها ابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م) في رحلته بأنها " من أكبر قرى توات، و أرضها رمال وسباخ و تمرها كثير ليس بطيب" ينظر: محمد بن عبد الله ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص713.

[4] – كلمة أمازيغية مركبة من مقطعين، و تعني مكان الأحرار. ينظر: محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1 ص 20.

[5] – اعتبر ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) تمنطيط آخر قصور توات من جهة المشرق و أنها حاضرة ذات تجارة و عمارة، تنطلق من طريقها القوافل نحو بلاد السودان ذهابا و إيابا حيث قال: " ...تسمى تمنطيت، و هو بلد مستبحر في العمران" إلى أن قال : "فتركوا تلك و نهجوا الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيت". ينظر عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق، ج7، ص 77.
أما محمد الطيب بن عبد الرحيم التمنطيطي (ت 1210هـ/1759م) صاحب مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط و قال في وصفها: "فاعلم أن تمنطيط اسم المدينة في إقليم توات وبها قاعدة، فيها العلم والولاية والإمارة والديانة والرياسة ، انتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارة والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني ولا زاهد " ينظر. محمد الطيب بن عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة الحاج محمد البكري، زاوية سيد البكري، أدرار، الجزائر، الورقة 2 و.

[6] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد خلال القرنين 12و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1،2007م، ص 34.

[7]– تومي سعيدان: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005 م، ص 19. ينظر: عبد المجيد قدي: صفحات من تاريخ منطقة آولف، دار الأبحاث الجزائر، ط2، 2007 م، ص18.

[8] – محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ج1، ص 35.

[9] – محمد باي بلعالم المرجع السابق، ج،1 ،ص9.

مجموعة من القصور ممتدة من الشرق إلى الغرب حسب فوانو(voinot)[1]، وهم فقارة الزوى، فقارة العرب، إيقسطن، حاسي لحجار، فقارة الساهلة الفوقانية، الساهلة التحتانية، فقارة مليانة، عين صالح، عين غار، آولف، أقبلي. وأهم قصور الإقليم[2] هو قصر آولف[3] و قصور أقبلي و قصر تيط، و قصور إينغر، و قصور عين صالح[4].

ويتضح لنا استراتيجة وأهمية موقع توات في وسط الصحراء من خلال ملامسة تيجورارين شمالا لتضاريس لبيض سيد الشيخ ومنطقة الساورة وقبائل الشعانبة ، وتلامس توات الوسطى منطقة تافيلالت وسجلماسة وتندوف وموريتانيا ، أما أقصى جنوب توات فهو يلامس السودان الغربي وبلاد الطوارق.

---

[1] -Voinot (Louis) : Le Tidikelt , étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays, Ed Jacques Gandini,1995, P 30.

[2] – للتوسع ينظر محمد الصالح حوتية: المرجع السابق ج1، ص 36.

[3] – آولف كلمة أمازيغية تعني خلية النحل، أو وسط النخلة. ينظر: عبد المجيد قدي: المرجع السابق، ص 18.
ذكرها الأغواطي (ت 1244هـ/ 1828م) في رحلته حيث بسط الحديث عن موقعها و أهميتها إذ اعتبرها "البلدة الرئيسية في واحة توات، و لها نفوذ على المنطقة و السلطان فيها له جنود تضرب بين أيديهم الطبول، و له سلطة توقيع العقوبة و السجن، و هو يمتلك الخيول و الرجال، و لكن ليس له خزانة دراهم". أما بخصوص نباتها و مميزات سكانها فيقول: "و بلدة آولف محاطة بأسوار مبنية بالطين و فيها الماء الوافر و التمر، و للسكان عدد كبير من العبيد" ينظر: أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق،ص ص 257- 258. و يرجع تاريخ اختطاط آولف إلى سنة 164هـ /781م بناء على ما حملته جدران احد مساجدها العتيقة الذي بجانب قصبة الفِزاريين من أولاد محمود وأولاد حمّد لمين ، حيث كان يحتفظ بكتابة تاريخ المسجد كلما أعيد ترميمه، و هو ما يؤكد أن قبيلة الفِزاريين هم أول من بنى هذا المسجد و استقروا بآولف . ينظر: محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج2، ص 333.

[4] – اختلفت الآراء حول اسم عين صالح فمنهم من يقول: انه مرتبط باسم صالح باي (ت 1206هـ/ 1792م) حاكم قسنطينة في العهد العثماني، و هناك من يقول: أنها نسبة لواد كبير كان يسكنه الطوارق و يرعون فيه، وهناك من ينسبها إلى بئر حفره احد الحجاج اسمه صالح فصار يسمى على اسمه، و هناك من يقول أيضا أنها كلمة أمازيغية تبدأ بـ (إن) بدل (عين) مثل إنغر؛ و تعني الشعبة وهذا هو الأرجح لأن معظم القصور عين صالح أمازيغية. ينظر: تومي سعيدان: المرجع السابق، ص 24. محمد باي بلعالم: المرجع السابق ج2، ص 4. عبد الرحمن بن عمر التينيلاني:الرحلة الحجية ، مخطوط خزانة الشيخ باي بلعالم ، آولف، الورقة 3 و. عبد الرحمن الجنتوري: نوازل الجنتوري، مخطوط بخزانة بابا عبد الله، تيمي، أدرار، الجزائر، الورقة 74و.

– الخصائص الطبيعية:

يتميز سطح إقليم توات بالاستواء وقلة المرتفعات في معظم المناطق، وأهم المظاهر التضاريسية نجد العرق، والرق، والسبخة، والهضاب،والحمادة.

- **العروق و الهضاب و السبخات:** تمتد العروق[1] في المناطق الصحراوية الحارة، وأهمها في الإقليم عرق شاش و عرق إقيدي في شرقها، والعرق الغربي الكبير بشمال الإقليم، ويعتبر الرق [2] منطلقا لتحرك الرمال التي تشكل العروق، أما السبخات[3] فتتمثل في سبخة (مكرغان) جنوب اقبلي، وسبخة (أزل ماتي) جنوب رقان، وسبخة تيميمون، وسبخة تمنطيط، و قد وصف ابن بطوطة تضاريس قصر بودة بتوات بقوله: "و أرضها رمال وسباخ "[4]. أما الهضاب فأهمها هضبة تادمايت؛ وهي هضبة صخرية جيرية و ترتفع بـ 836 مترا عن سطح البحر[5].
- **الأودية في توات:** الأودية في الصحراء هي مجاري مائية ترتبط بسقوط الأمطار، أما إقليم توات فتنتهي به الأودية مغذية مياه الآبار و الفقاقير الجوفية[6] و هي واد أمقيدن، واد مسعود، واد قاريت[7]

---

[1] – العرق: هو سطح واسع الأطراف تغطيه كثبان رملية، يتراوح ارتفاعها بين 250، 260 متر. ينظر: محمد الهادي لعروق: أطلس الجزائر و العالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998م، ص 14.

[2] – الرَّق: منطقة مستوية تغطيها الحصى. ينظر: المرجع نفسه، ص 14

[3] – السبخة: هي عبارة عن بحيرة تتبخر مياهها صيفا و تتحول إلى ضاية من الملح تسمى بالشط.

[4] – ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 407.

[5] – عبد الرحمن الضب و آخرون: دليل ولاية أدرار، جمعية الأبحاث و الدراسات التاريخية، أدرار، 2000م ، ص 3.

[6] – الفقارة مجموعة من الآبار المتسلسلة المتّصلة ببعضها البعض تنبع من مكان مرتفع، و ينتهي ماؤها جاريا في ساقية على وجه الأرض، اختلف أصل اسمها؛ فقيل أن أصلها الفجارة من تفجير المياه . ينظر: مولاي احمد الطاهري الإديسي: المصدر السابق، الورقة 57 و. وقيل أنها تشبه لصفة فقارة الظهر أي العمود الفقري. ينظر: محمد بن عمر الجعفر البوداوي: المصدر السابق، ورقة 14 و.

و في لسان العرب: من الفقر وهي آبار تحفر و ينفذ بعضها إلى بعض. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تح. عبد الله عالي الكبير و آخرون، دائرة المعارف القاهرة، ج5، ص 3446.

[7] – فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1977م، ص 02.

–واد أمقيدن[1]: ينتمي لمنطقة تيجورارين مكونا سبخة تيجورارين، أما منبعه فمن المنيعة، و هو امتداد لواد سفور، ويظهر في مجراه الأخير باسم واد شيدون. ذكره العياشي (ت1090هـ/ 1679م) في رحلته باسم واد أمكيدن، مندهشا من غزارة مياهه وكثرة معاطنها، و افتخار السكان به و بمائه العذب حيث يقول: "ومعاطن المياه كثيرة بهذا الوادي، قل ما يخلو يوم من منهل، وماؤه عذب غزير و فيه يقول أعراب ذلك البلد:

واد امكيدن ما نعطش فيه كـل يوم نجـيه على مـاء"[2]

–واد مسعود: يعتبر هذا الوادي امتدادا لواد الساورة من جهة الشمال، و واد الساورة يجمع وادين كبيرين هما: واد قير، و واد زوزوفانا النابع من منطقة فقيق بالمغرب الأقصى[3] .

يعتبر واد قير المغذي الأول الرئيسي لواد مسعود، ينحدر من جبال الأطلس بالمغرب يلتقي مع واد زوزوفانا مكونين رافدا جديدا منطلقا من منطقة إقلي؛ هو واد الساورة الذي يجري نحو الجنوب إلى مشارف إقليم توات، حيث يحمل اسم (وادي مسعود)، و عندما يصل قصور تاسفاوت جنوب غرب تمنطيط يكوّن سبخة كبيرة، وبعد اختراقه لهذه السبخة يتجه نحو رقان[4] حيث ينتهي في صحراء تانزروفت، وقد ذكر ابن خلدون رحلة الوادي الطويلة من منبعه جنوب المغرب الأقصى قائلا: "و ينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير، ينحدر ذهابا إلى القبلة مشرقا بعض الشيء، و يقطع العرق على سمته إلى أن يصل إلى تمنطيت ويسمى لهذا العهد كير و عليه قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويغور في قفارها و يغور في رمالها،

---

[1] – أمقيدن: كلمة بربرية تعني المكان الرطب الذي توجد به المياه. ينظر: رشيد بليل: المرجع السابق، ص 35.

[2] – أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية ماء الموائد، تح. سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبو ظبي، ج 1، 2006 م، ص 107.

[3] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 02.

[4] – كلمة أمازيغية تعني الجمل الكبير الراقد، و ترجع سبب التسمية كونه في رقان مات الجمل الذي كانت تمتطيه تين هنان ملكة العجم، و عليه سمي المكان بهذا الاسم. ينظر: محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص 15.

وهو موضع مقامه قصور ذات نخل تسمى ركان "[1]. أما العياشي فقد وصف واد جير بأنه كبير و من أطول أودية المغرب مسافة ملتف بالأشجار، و ذكر محطة واد الساورة باسم (الأساور) الذي تصل قراه نحو عشرة أيام إلى قريب من توات[2] ، دون تفصيل لمساره و مصبه في أرجاء توات.

– واد قاريت: ينطلق هذا الواد من الشمال الشرقي لتديكلت، مستفيدا من الانحدارات المتتالية لهضبة تادمايت عابرا بعض أجزاء المنطقة، ليصب مياهه بالجهة الجنوبية الغربية للإقليم، حيث يتصل في نهايته بوادي مسعود، و يصبح رافد له[3]، و يعتبر هذا الوادي أقل قيمة إذا ما قورن بالواديين السابقين، نظرا لطبيعة مجراه الأفقي و ندرة روافده. ورغم ورود تلك الأودية إلى الإقليم من جهات متباينة، إلا أن مفعولها ضئيل، بسبب بعد منابعها، واستواء تضاريسها من جهة ، وغلبة الحر و الرمال على المنطقة من جهة أخرى.

ب – السكان:

عاش في الإقليم مزيج مـن الشعـوب و الأجناس و الطوائف، شكلت فسيفساء بشرية يعود السبب في حدوثها إلى الهجرات المتتالية التي عرفها إقليم توات من مختلف الجهات الشمالية و الجنوبية، بالإضافة لوقوعه بين مناطق معروفة باضطراباتها وكثرة الصراعات بداخلها، مما جعله نقطة جذب للسكان الباحثين على السكينة والأمن و الاستقرار، فهجروا إليه منذ أزمنة غابرة فرادى وجماعات[4]، و أهم العناصر السكانية نجد:

[1] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 134

[2] – أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج1، ص 76.

[3] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 02.

[4] – مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 37.

- الأمازيغ أو(البربر)[1]:

هم أقدم من سكن إقليم توات خاصة من الفرع الزناتي، حيث يذكر ابن خلدون: "... بأنهم هم من شيدوا حصون سجلماسة، و قصور توات، و تيجورارين و فجيج..."[2]، وهو ما ذهب إليه أيضا صاحب مخطوط درة الأقلام حيث قال: "بأن زناتة بعد أن انكسرت دولتهم بالمغرب ، فروا إلى الصحراء و نزلوا عند وادي قير و شيدوا قصورهم على شفير مجرى الوادي و اتخذوا البساتين و نحتوا الفقاقير، و بنوا القصور مثل قصور غرميانو، أقبور، الشارف، تيط"[3]. ومن الفروع الزناتية التي جاءت إلى الإقليم أولاد عبد الجليل، ذكوان، آخروم، أولاد عليش و غيرهم ، واستمر توافدهم إلى غاية القرن الثالث عشر للميلاد[4] كما يشير المؤرخ بن بابا حيدة :أن أول من نزل تمنطيط و بنى بها القصر الأول هم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تاجافنت (بن تاشفين) حين انكسرت دولتهم بالمغرب و الأندلس على يد الموحدين فأتوها هاربين إلى أن بلغوا ارض توات، وجدوا بها الجدب وعرفوا أنها ارض أمان لان الجند لا يطيقوا المقام بها، و لا مطمع له فيها، فبنوا للسماء و حفروا الماء واستوطنوا، كان أول قصر بنوه بها و معناه بالعربية المزود[5].

ومن العناصر البربرية الأمازيغية التي تواجدت في المنطقة إلى جانب فرع زنّاتة فرع صنهاجة وهم (الطوارق الملثمون) حيث يقول المؤرخ الجزائري أمبارك الميلي: "أن صنهاجة تتشعب إلى شعبين عظيمين

---

[1] – الأمازيغ أو (البربر) أمة عمرت الشمال الإفريقي من مصر إلى المحيط الأطلسي من ناحية الصحراء بأرض السودان، و هم ينقسمون على قسمين: الحضر و هم الذين يسكنون النواحي الشمالية و السفوح المزروعة. و الرحل و هم الذين يعمرون الصحراء و الواحات و يرجعون في أوصولهم إلى جذعين برنس و مادغيس، و تنحدر قبيلة صنهاجة من برنس، أما زناتة فهي إحدى بطون لواتة التي تنحدر من مادغيس ينظر : عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة العربية، الجزائر ،ج01،2009 م، ص ص 72،73.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 136.

[3] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المصدر السابق، الورقة 5 و.

[4] – المصدر نفسه، الورقة 5 و.

[5] – ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، المصدر السابق، الورقة 16 و.

محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح، فرج محمود فرج: ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م، ص 16.

بقي إحداهما في الجزائر و استوطن الآخر الصحراء و هم الملثمون "[1]. و من أشهر قبائل صنهاجة التي استوطنت إقليم توات قبيلتا (جدالة) و (لمتونة).

وما يدل على قدم نزوح الأمازيغ إلى الإقليم، وبقاء لغتهم متداولة على الرغم من التعريب الذي لحق بالمنطقة بعد انتشار الإسلام خاصة في منطقة قورارة، أسماء القصور الأمازيغية مثل تمنطيط، تيط، فنوغيل، تيطاف... و غيرها. إضافة إلى الآثار و النقوش على الصخور حيث عثر على كتابات عبارة عن رسائل متبادلة بين القوافل التجارية و هي مكتوبة بحروف التيفياغ[2].

- العرب:

تواجد في إقليم توات إلى جانب البربر قبائل عربية كثيرة، قدمت من مختلف الجهات، خلال فترات مختلفة، وأهم هذه القبائل:

- الأشراف: هم المنتسبون لبيت النبوة من نسل فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه و سلم، يمثلون قمة الهرم و هم قسمين: العلويون مثل أبناء الشريف مولاي علي زاوية كنته و تيوريرين، و أبناء مولاي عبد الله الرقاني، أولاد مولاي هيبة.
- الأدارسة: منهم مولاي سليمان بن علي بأولاد أوشن[3]، والشيخ القاضي عبد الله العصنوني [4]. قدم معظمهم من بلاد المغرب بشكل فردي، ومنهم من جاء فارا إلى توات من النزاعات الداخلية على الملك[1].

---

[1] – مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تح. محمد الميلي: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، د.ت ، ص ص 215-216.

[2] -Voinot : Op. cit, PP 204 -206.

[3] – مولاي التهامي الغيتاوي: سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، منشورات ANEP،د.م.ن ، د.ت، ص ص 60- 65.

[4] – هو أبو عبد الله بن أبي بكر العصنوني ولد بتلمسان ، قدِم إلى تمنطيط بتوات سنة 863هـ/1459م، ودرس على شيخها يحي بن يدير. ترأس أحد أطراف السجال الفقهي في نازلة اليهود، مع المغيلي ، لم أعثر في المصادر التي اطلعت عليها تاريخ ميلاده و وفاته رحمه الله.ينظر. إبراهيم بلبالي: التأثير الثقافي لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي. الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 14-15 أفريل 2009م، ص227.

و ازداد عدد الإشراف بتوات بعد أن دخل الملك العلوي مولاي محمد بن مولاي الشريف بن علي العلوي إلى توات رفقة جيشه لمحاولة إخضاعها 1053هـ/ 1654م[2]، و في سنة 1212هـ/ 1797م وجه سلطان المغرب مولاي سليمان إلى قاضي تيمي مبلغ 2500 مثقال ذهبي لتوزيعه على أبناء عمومته من الأشراف العلويين، وبعد الإحصاء ذكر أن عددهم 8088 نسمة[3].

- العرب: كان توافد العرب إلى إقليم توات في فترات متباعدة وتعتبر عرب المعقل أول من وصل إلى توات وتعود أصولها الى اليمن[4] حيث جاوزا القبائل الزناتية و فرضوا سيطرتهم عليهم و فرضوا عليم الأتوات والضرائب[5] ومن البطون العربية في توات هم ذوي منصور واستوطنوا تيجورارين[6]، و كذالك قبائل بنو حسان فكانت لهم فروع في توات أهمها: أولاد داوود و هم خمسة أفخاذ: أولاد علوش، أهل بوردة، ترمز، أولاد زيد، الجعافرة. هؤلاء سكنوا تيجورارين و تمنطيط و كانت لهم نفوذ في هذه الأخيرة خلال القرن 09هـ/ 15م[7].ومن ضمن القاطنين في إقليم توات قبيلة كنتة التي ينتهي نسبها إلى عقبة ابن نافع رضي الله عنه، و تعتبر واحة عزي بمنطقة فنوغيل موطنهم الأول في توات ثم انتشروا داخل الإقليم[8]

كما استقر في إقليم توات قبائل عربية في أزمنة مختلفة، وهم أولاد محمد، المحارزة، أولاد طلحة، أولاد يعيش، أولاد عمر، أولاد ملوك، أولاد غانم، أولاد ريم، أولاد شبل، أولاد حرز الله، بنو فزارة، أولاد منصور، أولاد زنّان، ذويمنيع، أولاد الحاج[9]. بالإضافة إلى قبائل عربية و مستعربة مثل: الزوى، الشعانبة، الجعفريون،

---

[1] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ ، المرجع السابق، ص 42.

[2] -Martain : Op. cit, P 51.

[3]– مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ ، المرجع السابق ص 42.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 77.

[5] – محمد بن عبد الكريم: المصدر السابق، الورقة 101 و. ينظر أيضا: أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق،ج2، ص ص 160، 195.

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 82.

[7] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ ، المرجع السابق، ص 44.

[8] – محمد بن سيدي المختار الكنتي: الرسالة الغلاوية، مخطوط بخزانة الشيخ هيدة، الحي الغربي، ادرار، الجزائر، ورقة 39 و.

[9] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق، ص 44.

الأيوبيون الأنصار ، الأمويون، الفلّان، البرامكة. شكلت هذه القبائل تجمعات سكانية اندمجت مع الأمازيغ و قادت حركة التعريب في منطقة توات[1].

أما المرابطون فهم يلون الشرفاء في الترتيب الطبقي بتوات، كما أنهم ليسوا عنصرا اثنيا[2]؛ بل معظمهم من العرب الذين توافدوا على الإقليم حاملين معهم الإسلام، اخذوا اسم المرابطين من الرباطات التي كانت تقام على الثغور للجهاد و نشر العلم، و أصبحوا يمثلون سكان الزوايا الذين ابتعدوا عن متاع الدنيا وشهواتها، يعتكفون على طلب العلم و نشر تعاليم الإسلام[3]، و هكذا ظهر المرابطون كأفراد أو أسر في مختلف قصور توات ميزهم الزهد و الصلاح. فهذا صاحب القول البسيط يعطي نموذجا عن مرابطي تمنطيط بقوله: "و قصرهم تولته المرابطون أولاد البركة السيد البكري، المشهور بالعلم و الفضل والصلاح، و بقي ذلك في أولاده خلف عن سلف و كان جدهم الأول قبلة، فهم بيت فضل و علم وصلاح و كرم"[4].

ويتوزع المرابطون في أقاليم توات الثلاث؛ تيجورارين، وتوات الوسطى، و تيدكلت ، و كان لهذا الدور الاجتماعي الذي عرف به المرابطون الفضل في إضفاء صفة التوقير والتبجيل، وحف المرابط بهالة من القداسة يرجى منه الخير و حصول البركة.

- الأفارقــة :

استقر الأفارقة في توات إلى جانب الأمازيغ والعرب على فترات متفاوته، وفي ظروف مختلفة، فهناك من دخل توات مجلوبا إليها، ومنهم من دخلها مهاجرا يبتغي أرضا غير أرضه، فالمجلوبون هم أولئك الذين سلبوا من ديارهم مخطوفين ووجدوا أنفسهم في سوق النخاسة للبيع[5] ، ومعظم هؤلاء من القبائل المسلمة

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص ص 45، 46.

[2]– Martain : Op.cit, p 21.

[3]– مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق، ص 45.

[4] – محمد الطيب بن الحاج عبد الرحمن (ابن بابا حيدة): المصدر السابق، الورقة 188 و.

[5]– بخدا مريم: أعلام الزاوية التيلانيه ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11– 12 هـ/ 17 – 18 م ، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار ، 2012– 2013 م ، ص 18.

التي حرَّم الفقهاء في توات بيعهم والمتاجرة بهم، حيث ورد في هذا الصدد سؤال[1] من طرف الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد التمنطيطي البكري إلى شيخه سعيد قدورة الجزائري يستوضحه عن أمر هذه الفئة من الناس ، فبعث الشيخ سعيد قدورة بدوره إلى الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي كان على دراية بهذا الأمر؛كونه ضاق مرارة الذل والعبودية يوم أن خرج من تنبكو مع أهله، وخيرة من العلماء مقهورين ومجرورين، حتى وصلوا إلى بلاط السلطان السعدي المنصور الذهبي بمراكش وعند ما علموا بغزارة علمه وضعوه تحت الإقامة الجبرية[2]؛ لذلك كان جوابه بتحريم هذا الفعل باعتبار هؤلاء الناس جلبوا قهرا من بلادهم[3] ، وقد أوتي بهم من أسواق بلاد الهوسا مثل: كوبر كاتسينا وبرنو وسكوتو خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي[4]، وتعتبر هذه الفئة من المجتمع التواتي ذات أثر كبير خاصة في خدمة الأرض وحرثها [5]وشق الفقاقير، رغم ما كانت تعانيه من تهميش، وكان يطلق عليهم اسم الحراطين[6]، و في اللفظ اختلاف فمنهم من ينسبه إلى خدمة الأرض وحرثها ، كما أطلق عليهم اسم الموالي والعبيد[7].

---

[1]- نسخة من الرسالة موجودة في خزاته أولاد القاضي البكري بتمنطيط، أدرار. ينظر: الملحق رقم 14.

[2]- خير الدين شترة: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصطلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي ، دار ابن طفيل ، الجزائر ، ج1، 2012 م، ص60.

[3] - أحمد بابا التنيكتي: معراج الصعود في حكم مجلوب السود ، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق ، تح. فاطمة الحراق وجون هانويك ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، 2000م ، ط1 ، ص ص 21- 23. ينظر:الناصري السلاوي :المصدر السابق، ج 5، ص131.

[4]- حسن الوزان :وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص ص 159 - 179.

[5]- شبايبي ياسين: المرجع السابق ، ص179.

[6] - مبروك مقدم: مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، دار هومة، الجزائر، ج1، 2008م، ص74.

[7]-أحمد الطاهري االادريسي: نسيم النفحات ، المصدر السابق ، ص 27.

ج – الخلفية التاريخية لإقليم توات:

تدل أغلب الشواهد التي عُثر عليها بالمنطقة، من أدوات حجرية وهياكل عظمية متواجدة بمنطقة تيجورارين وتديكلت أن الإنسان عاش بالإقليم ابتداءً من فترة العصور الحجرية القديمة[1]، وفي العهد الروماني دفعت السياسة التوسعية الرومانية في شمال أفريقيا البربر إلى التوغل في الصحراء[2].

ومع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بدأ الإسلام يصل إلى توات عن طريق التجار المسلمين أثناء مرورهم بتوات قادمين من الشمال باتجاه السودان. وجاء توافد القبائل العربية ابتداءً من القرن الثاني للهجرة حيث وصلت قبيلة من بنو فزارة – أبناء حمّد لمين وأبناء محمود– إلى تديكلت واستوطنت بآولف وبالضبط في زاوية حينون سنة 164هـ/780م[3] حيث أسسوا أول قصر بآولف سُمي بقصر بزاوية حينون وبنو به المسجد العتيق– مسجد المرابطين– تعاقب على إمامته أبناء عبد الحميد الفزاري منذ تأسيسه إلى غاية محمد عبد الله بن الحاج عبد الرحمان وابنه أحمد محمود الفزاري ، حيث كان لهم دور كبير في توطيد الإسلام في المنطقة ونشر العلوم الشرعية[4]. ومع نهاية القرن 4هـ/10م توافدت أعداد من الأمازيغ (البربر) إلى توات، خاصة إلى منطقة بودة، وعلى حافة واد مسعود المار بالمنطقة حفروا الفقاقير وأقاموا البساتين وبنو القصور منها: بموسى، ثربز، مكرة، غرميانو... وغيرها[5].

1 _ مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق، ص 70.

2 _عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ج1 ط5،1996 م ، ص109.

3 _ محمد باي بلعالم : المرجع السابق،ج2، 333.

4 _ مقابلة مع الشيخ حامد لمين عبد الرحمن ، بمنزله بزاوية حينون ، آولف ولاية أدرار ، الجزائر، يوم 20أوت 2014 ، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

5_ محمد بن عبد الكريم: درة الأقلام، المصدر السابق، الورقة 102ظ.

وبعد قيام الدولة المرابطية سنة 434هـ/1042م وتعقبها للفرع الزنّاني فرت أعدد منهم إلى توات، خاصة بعد مقتل أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي صاحب سجلماسة، حيث نزلت قبائل عديدة بمنطقة تيجورارين وتوات الوسطى نذكر منها: أولاد عبد الجليل عام 501هـ/1108م، وأولاد عياش 502هـ/1109م، وأولاد خير الله عام 516هـ/1122م، وأولاد بن يدير 520هـ/1126م، وأولاد حسين 528هـ/1134م... وغيرهم[1]، وبعد سقوط الدولة المرابطية سنة541هـ/1147م على يد الموحدين وصلت جماعة من قبائل اللمتون إلى إقليم توات، وبنو قصر "تيلوت" بتمنطيط، وفي هذا الشأن يقول محمد بن عبد الكريم[2]"... ثم لما انكسرت دولة اللمتون أيضا بالمغرب، جاءت شرذمة منهم تاريخ بضعة وثلاثين وخمسمائة قد نهكتهم حروب الموحدين ...".

وفي عهد الدولة الموحدية بعث الأمير الموحدي المهدي بن تومرت قائديه علي بن الطيب والطاهر بن الطيب إلى توات سنة 518هـ/1124م لقبض الأتوات من أهل الصحراء، لكنهم قالوا: إن أرضنا لا يوجد بها ذهب ولا فضة، فأمر عامله في العام الموالي بقبض خراج الأرض، وأن يبيعه إلى الأعراب النازلين بقرب تلمسان، وفي خلافة يوسف بن علي بن عبد المؤمن أرسل إلى توات سنة 560هـ/1165م قائداً عليها الطاهر بن علي وعلي بن يوسف قاضيا للفصل بين الناس ، وذلك من أجل تنظيم وتسيير أمور الرعية وكان نزولهما بعاصمة الإقليم تمنطيط[3]. ومع سقوط الدولة الموحدية وصراع الدويلات في شمال بلاد المغرب – الحفصية، والزيانية، والمرينية– بسطت قبائل عرب المعقل سيطرتها على الإقليم، خاصة قصور تمنطيط، وتسابيت،وتينجورارين[4].

1_ المصدر نفسه ، الورقة 103و.

2_ محمد بن عبد الكريم: التقييد، المصدر السابق، الورقة 01و.

3_ المصدر نفسه، الورقة01 ظ.

4_ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 78.

كما فرضت على سكانه من القبائل الزناتية دفع الأتوات لهم، ومن منعهم ذلك حاربوه[1]، وبعدما استقرت الأمور للدولة المرينية في المغرب الأقصى، عقد السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق لابنه أبو علي على مدينة سجلماسة ودرعة والصحراء، فدخل أبو علي والي سجلماسة إلى توات 715هـ/1315م ووجد بها عرب المعقل قد تحكموا في جميع شؤونها، لذلك أكثر من تعيين القياد منهم ليتقي شرهم ويضمن ولاءهم، وهو ما أدى إلى استقرار الأوضاع الأمنية في ظل تحكم القبائل العربية في أمور الإقليم واكتفاء الدولة المرينية بجباية الضرائب[2].

وعندما وصل المغيلي[3] إلى توات قادماً من تلمسان سنة 882هـ/1478م، وجد توات مُهملة وتُسير شؤونها من طرف شيوخ القبائل والقصور ولم يكونوا يعرفون أميراً أو قانوناً [4]، أما تمنطيط عاصمة الإقليم فقد وَجَدَ بها اليهود متحكمون في الحياة التجارية للإقليم، وبعد خلاف وقع بينه وبين يهود تمنطيط قام المغيلي بإجلائهم من توات سنة 882هـ/1478م، كما سيطر على كامل إقليم توات ونصب ابنه عبد الجبار قائداً لجيشه وسحب جميع السلطات التي كانت بيد شيوخ القبائل، ووضعها في يد شخص واحد،

1_ محمد بن عبد الكريم: درة الأقلام، المصدر السابق، الورقة103و. انظر أيضا: أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق،ج2، ص160.

2_ محمد بن عبد الكريم: التقييد، المصدر السابق، الورقة2 و. ينظر أيضا:أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ج3، ص107 . ابن خلدون: مصدر سابق، ج 07، ص323.

3_ هو محمد بن عبد الكريم المغيلي، نشأ بتلمسان من قبيلة مغيلة الأمازيغية ، أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وانتقل إلى توات أين اخذ عن الشيخ يحي بن يدير، دخل في خلاف مع القاضي العصنوني حول قضية مقاتلة وهدم كنائس يهود توات، سافر إلى بلاد السودان الغربي؛ حيث درّس وأفتى وأصلح، والتقى بسلاطينها، له مؤلفات عدة نذكر منها: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مغني النبيل، شرح الجمل في المنطق...وغيرها، توفي سنة 909هـ/1504م . عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، ط 2 ،1980م ، ص308.للمزيد ينظر أيضا: أحمد الحمدي: الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م، ص ص20- 30.

4- Martin (A.G.P) : Les Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger , 1908, p128.

وحوَّل العاصمة من تمنطيط إلى قصر بوعلي[1]، وهو ما أدى إلى استقلال توات بشؤونها زمن الإمام المغيلي ولم تخضع لأية دولة أخرى. سافر الإمام المغيلي إلى بلاد السودان لمواصلة رسالته الدعوية، وذلك بعدما نظم الحياة السياسية بتوات، وبعد مقتل ابنه عبد الجبار سنة 890هـ/1485م من طرف اليهود[2]، عاد الإمام المغيلي من بلاد السودان وجهّز جيشا لقتال اليهود، وانتصر عليهم وأجلاهم كليا من حاضرة تمنطيط ثم رجع الإمام المغيلي إلى قصر بوعلي، واستقر هناك إلى أن أدركته المنية سنة 909هـ/1504م[3]، وقصد التخلص من سيطرت الشيخ المغيلي الذي حاول تأسيس إمارة مستقلة بتوات عين السلطان الوطاسي محمد الشيخ عمرو بن عبد الرحمن- شيخ قبيلة أولاد علي بن موسى - بتمنطيط – نقيباً على توات سنة 903هـ/1498م[4].

وفي عهد الدولة السعدية وسلطانها المنصور الذهبي ذو النزعة التوسعية للسيطرة على مناجم الذهب في السودان الغربي، أرسل سنة 990هـ/1582م القائد محمد بن البركة والقائد أحمد بن الحداد، لمطالبة سكان الإقليم بالدخول تحت سلطة السلطان المغربي المنصور الذهبي، لكن سكان الإقليم رفضوا ذلك فوقعت معركة طاحنة بين الجيش المغربي وسكان إقليم تيجورارين دامت ستة أيام، انتهت بانتصار جيش المنصور وارتكابه لمجزرة رهيبة بحق سكان الإقليم، وصفها الفشتالي[5] بقوله"...وتناولتهم السيوف وانطلقت أيدي العساكر بالنهب والعبث في المنازل ..."، وبعدما انتهى الجيش المغربي من تيجورارين وصلت أخبار ما جرى لسكان الإقليم إلى تمنطيط، ولشيخها القائد عمر بن محمد ، الذي قرر بمعية شيوخ القصور التواتية تقديم ولاء الطاعة للسلطان المغربي لتجنب ما حدث لسكان تيجورارين، وعليه تم جمع الضرائب من كافة إقليم

1_ أحمد الحمدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية في توات، عصره وآثاره، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر: 2000/1999 م، ص ص 54 – 55.

2_ محمد بن عبد الكريم: التقييد، المصدر السابق، الورقة 03 .

3_ المصدر نفسه، ص4.

4_ محمد بن عبد الكريم: التقييد، المصدر السابق، الورقة 4 و.

5_ عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح .عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، د.م.ن ، د.ت، ص ص76.

توات ودفعت لممثل السلطان المغربي[1]، وجزاءً لما قام به القائد عمر بن محمد –شيخ قبيلة أولاد علي بن موسى بتمنطيط- لصالح السلطان المغربي فقد عينه قائداً على توات، يشرف على تسيير أمورها الداخلية[2].كما حاولت الدولة العلوية المغربية السيطرة على الإقليم لماله من أهمية اقتصادية، فنزل بتوات السلطان محمد بن الشريف العلوي وحل بعاصمة الإقليم تمنطيط يوم الاثنين 30جمادي الأول 1055هـ/16اكتوبر1640م، وعين القضاة وترك أمور تسيير الإقليم بيد شيوخ القبائل للتفاهم فيما بينهم، فظفر شيوخ تيمي بمنصب القايد، واختار أغلب القياد المقام بتيمي، فرجحت بذلك مقاطعة تيمي وعاصمتها على حساب تمنطيط التي بدأت تشهد تراجعاً لمكانتها السياسية [3].

ونتيجة لغياب سلطة تحمي الإقليم من المشاكل التي كانت تعصف به داخليا – كمشكلة "يحمد وسفيان" أو خارجية كهجمات الأعراب الذين اشتدت وطأتهم على الإقليم- ساءت الأحوال الأمنية للإقليم، وهو ما أشار إليه صاحب التقييد في تاريخ توات وتمنطيط[4] بقوله "...ولذلك كانت في حيز الإهمال عند جل الأمراء، حتى مرج أمرها وأصبحت صيداً للقبائل يملك بالأسبقية..." ، ففي سنة 1218هـ/1803م هاجمت قبائل من الأعراب قصر بني تامر من تيمي، وفي 1223هـ/1808م نزل جيش يحمد وذوي منيع على تمنطيط ، كما نزلوا في سنة 1260هـ/1844م على قصر برينكان فقطعوا جميع النخيل، ونزل جيش سفيان على المطارفة والمعيز، وفي سنة 1275هـ/1859م أغار الأعراب على زاوية تنلان، وأسروا 22 شخصا منهم العبيد والموالي وانتقلوا منها إلى الزاوية البكرية فأخذوا ما يمكن حمله منها من أموال وطعام[5] .

1_ المصدر نفسه، ص77.

2_ محمد بن عبد الكريم: التقييد، المصدر السابق، الورقة4 و.

3_ المصدر نفسه، الورقة4 و.ظ.

4_ المصدر نفسه، الورقة 06.

5_ محمد بن عبد الكريم: التقييد، المصدرالسابق، الورقة 7، 8.

كانت مصلحة المغرب الأقصى من إقليم توات ترى فيه عنصرا اقتصاديا لجلب الضرائب وإهماله من الناحية السياسية والاجتماعية ، فاعتمد على نفسه وعلى القبائل المجاورة له شمالا كأولاد جرير والزوى والشعانبة وهذا ما تعكسه المبادلات التجارية والتبادل والتداخل القبلي الذي شكل نسيجا اجتماعيا موحدا سيعكسه في المستقبل وقوف إقليم توات للتوسع الفرنسي القادم من الشمال ،من لبيض سيد الشيخ وغرداية.

وعندما احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م، تزايد اهتمامها بالصحراء لدواع اقتصادية وأمنية، حيث أرسلت بعثات استكشافية علمية[1] إلى المنطقة، وفي سنة 1317هـ/1899م وصلت أول حملة عسكرية إلى منطقة تيدكلت، التي دخلت في مقاومة باسلة مع سكان عين صالح وإينغر، وتيط، وأقبلي وآولف، انتهت بسقوط إقليم تيدكلت في مارس 1900م، ثم سقطت تيجورارين في فبراير 1901م وبعدها سقطت عاصمة الإقليم أدرار يوم 10 فبراير1902م[2] . وإن المتتبع للمراحل التاريخية لإقليم توات يلاحظ بأن الإقليم كان عبر مراحله عرضة للأطماع الخارجية، كما كان ملاذا أمناً للمضطهدين والفارين من العلماء والشيوخ والملوك.

1_ للمزيد ينظر : دحمان تواتي وآخرون:دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956– 1962، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2008 م، ص ص 9 – 12.

2_ تواتي دحمان وآخرون: المرجع السابق، ص ص 17– 19.

- **المبحث الثاني: التعريف بالسودان الغربي:**

أ- أصل التسمية والخصائص الجغرافية:

1- أصل التسمية : بلاد السودان تعني بلاد السود (أي الجنس الأسود)، و النسبة هنا بالسمة و الجهة، و ذلك في مقابل بلاد البيضان و يقصد بها شمال إفريقيا بالمغرب و الصحراء، وبلاد السودان اسم ومصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الأقاليم الشبه صحراوية في إفريقي، شمال نطاق الغابات الاستوائية، والتي انتشر فيها الإسلام والواقعة جنوب الصحراء الكبرى[1]. كما أن العرب هم أول من أطلق كلمة السودان على الأقاليم التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى[2]، حيث الاصطخري قال عن الشعوب التي تسكن في تلك المناطق أنهم "اشد الأمم سوادا"[3] كما قال عنهم ابن الوردي أنهم "شديدو السواد"[4].

ومن هنا يتسنى لنا أن كلمة السودان أطلقت على الشعوب التي تسكن إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى حسب ما يورد المؤرخون أنها مشتقة من سواد بشرة هؤلاء الشعوب، سميت بلادهم بالسودان. كما أطلق بعض مؤرخي العرب على المنطقة اسم بلاد التكرور حتى أصبحت كلمة التكرور تطلق على السودان الغربي[5].

2- الموقع و الخصائص الجغرافية:

وضع المؤرخون والرحالة العرب تحديدا جغرافيا منذ العصور الوسطى لمنطقة السودان ،بحيث حددها الاصطخري (ت 430هـ)بقوله: "... فإن بلاد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد

---

[1] - نبيلة حسن محمد: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 2013م، ص 68.

[2] - عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،د.ت، ص 14.

[3] - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي (الإصطخري): المسالك و الممالك، تح.محمد جابر عبد العالي الحسني، دار القلم، مصر، 1961م، ص 44.

[4] - زين العابدين بن عمر (ابن الوردي): تتمة المختصر في أخبار البشر، د.د.ن، بيروت، ج1، ط1، 1970م، ص 135.

[5] - الهام محمد علي ذهني: جهاد المماليك في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/ 1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م ، ص 28.

ليس بينه و بين شيء من المماليك اتصال ، غير أن حدا له ينتهي إلى البحر المحيط، و حدا له بينه و بين أرض المغرب و حدا له بينه و بين أرض مصر على ظهر الواحات، و حدا له ينتهي إلى برية "[1] .

ومع بدية العصر الحديث في القرن 16م حددها الحسن الوزان بقوله: "أرض السودان فيبتدئ شرقا بمملكة كاوكة، و يمتد غربا إلى مملكة ولاتة ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا، و ينتهي جنوبا إلى البحر المحيط في مواقع لا نعرف عنها إلا ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة تنبكتو، و هو كثير"[2].

وحدده القلقشندي (756-821هـ/1355-1418م) بـ "أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط، و من الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، و من الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر و برقة و بلاد البربر، من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط"[3]. ومن خلال أقوال المؤرخين و الرحالة العرب يتضح لنا حدود منطقة السودان التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، و من الهامش الجنوبي للصحراء الإفريقية الكبرى شمالا حتى المنطقة الاستوائية جنوبا.

و تقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام:

- السودان الشرقي: و هو يشمل مناطق النيل و روافده جنوب بلاد النوبة.

- السودان الأوسط: و يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

- السودان الغربي: و هو يشمل حوض السنغال و غامبيا و بوركنافاسو (فلتا العليا) و النيجر الأوسط[4].

وموضع الدراسة هو القسم الأخير من بلاد السودان ويسمى أيضا إفريقيا الغربية و بلاد التكرور.

تقع أراضي السودان الغربي ما بين دائرتي عرض: 4^0 و 16^0 درجة شمال خط الاستواء في الجنوب وخطي طول: 13^0 و 17^0 درجة غرب خطي غرينتش، و يحدها من الشمال الصحراء الكبرى، و من

[1] - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي (الإصطخري): المصدر السابق، ص ص 10 - 11.

[2] - الحسن الوزان: المصدر السابق ، ج1، ص 29.

[3] - أبو العباس احمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5، د.ت ، ص 273.

[4] - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م، ص 11.

الشرق الكامرون و بحيرة تشاد، و من الجنوب خليج غينيا بالمحيط الأطلسي، و من الغرب المحيط الأطلسي[1].

- التضاريس: تمتاز تضاريس السودان الغربي بمظهر الأودية و المرتفعات الجبلية ممتدة من غرب نيجيريا شرقا إلى سواحل الأطلسي غربا، و تنقسم هذه التضاريس من الشمال إلى الجنوب كما يلي:
- المنطقة الشمالية: تمتد أطرافها إلى الصحراء الكبرى شمالا، وإلى وادي النيجر الأوسط جنوبا، وتتخلله الهضاب التالية: هضبة التيبسي شرقا، وهضبة الإيفوغاس والأهير في الوسط، وهضاب موريتانيا غربا، وكذلك تعتبر منطقة صحراوية في أغلب مساحتها، و تتخللها بعض الأودية و الواحات الصغيرة المتناثرة[2].
- المنطقة الوسطى: تمتد من غربي بحيرة تشاد شرقا إلى منطقة فوتاتورو السنغالية غربا، تحدها موريتانيا من الشمال، و من الجنوب فوتا جالون، وتكون أجزاؤها الشمالية شريطا زراعيا من أخصب الأراضي في السودان الغربي، و يبلغ متوسط عرضه من الشمال إلى الجنوب حوالي 12 كلم، و يعد من أكثف المناطق سكانا في السودان الغربي، ويشتغل 70% من سكانه بالزراعة وتربية المواشي والصيد.والمنطقة الوسطى من منطقة فوتاتورو بالسنغال؛ هي عبارة عن سهول تتخللها بعض المرتفعات، و تقل فيها نسبة الأمطار كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، حيث تصل كمية الأمطار في أقصى شرق الإقليم إلى 800 ملم سنويا، بينما لا يتجاوز 330 ملم سنويا غربا، و يعد هذا الإقليم زراعيا بالدرجة الأولى ورعويا بالدرجة الثانية، ويتكون الجزء الجنوبي من فوتاتورو من الإستبس و المراعي، وفي فترة الجفاف ينتقل الرعاة بمواشيهم في اتجاه النهر لممارسة نشاطهم[3].

[1] – محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م، ص ص 19– 20.

[2] – نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.م.ن،د.ت، ص 02.

[3] – حاج احمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، أطروحة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010–2011م، ص 15.

- المنطقة الجنوبية: و هي المشرفة على خليج غينيا المطلة على الأطلس، و تضم كتل جبلية عالية منها كتلة فولتاجالون التي يبلغ ارتفاعها 1752 متر، أيضا تضم الهضاب الليبيرية، و هضاب شمال نيجيريا، ثم الأطراف الغربية من سلسلة جبال الآدموا في الكاميرون [1]، و ينحصر بين مرتفعات نيجيريا شرقا و هضبة فوتا جالون غربا، ويوجد في أقصى جنوب هذا الإقليم سهل ساحلي ضيق تتخلله بعض البحيرات الممتدة من جزيرة شيربرو (Sherbro) في سيراليون غربا إلى دلتا نهر النيجر شرقا[2].

تعتبر كتلة الفولتاجالون مصدرا رئيسا للمياه في السودان الغربي، نظرا لكثرة أمطارها، و لطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه، وهناك الهضبة الغينية الليبيرية التي تعتبر الجزء الجنوبي من الفوتاجالون، ومن هذه المناطق الجبلية تنبع أكثر انهار السودان[3]، المتمثلة في:

- نهر النيجر: يعتبر نهر النيجر ثالث انهار إفريقيا بعد النيل، و الكونغو، و هو يمتد في غرب إفريقيا على شكل قوس يبلغ طوله 4200كلم[4]، ينبع من السفوح الشمالية لهضبة الفوتاجالون في أقصى الجنوب الغربي، ويتجه إلى الشمال، ثم إلى الشمال الشرقي حتى تنبكتو، ثم ينحرف إلى الشرق و قبل (جاو) بقليل ينحرف إلى الجنوب و الجنوب الشرقي حتى حدود نيجيريا، فيتجه إلى الجنوب ثم إلى الشرق أين يتصل بجميع روافده ليصب في المحيط الأطلسي بدلتا شاسعة عديدة الفروع[5].

يبتدئ نهر النيجر فيضانه في منتصف جوان و يدوم ثمانين يوما، سواء في الارتفاع أو الانخفاض، ويعمر عند فيضانه سطح الأرض، بما فيها من سهول و وديان، فتمتلئ به وينتقل السكان من طرف إلى طرف

[1] – المرجع نفسه، ص 15.

[2] – محمد عبد الغاني سعودي: إفريقيا، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2004م، ص 222.

[3] – نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، المرجع السابق، ص 16.

[4] – المرجع نفسه، ص 07.

[5] – محمد رياض و كوثر عبد الرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1973م، ص 131.

بواسطة الزوارق[1]. يعتبر نهر النيجر شريانا من شرايين الحياة، والعمران، و المواصلات في السودان الغربي، ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كالسنغال، مرتفعات كبيرة مما سهل على الفرنسيين التوغل في المنطقة [2].

ومنذ أواخر القرن 12هـ/18م، بدأت محاولات وصول الأوروبيين إلى النيجر، و استمرت هذه المحاولات حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي 19م، و في عام 1827م وصل ملاح فرنسي يدعى رونيه كايي (René caillé) إلى تنبكتو قادما من غينيا الفرنسية، ونجح في اختراق الصحراء حتى وصل إلى مراكش، فحققت رحلته نصرا للجمعية الجغرافية الفرنسية. وفي سنة 1854م قام ليرد (Laird) بتكليف من القنصل البريطاني بيكروفت (Beekroft) بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الأدنى، و أراد ليرد (Laird) التأكد من أن نهر (بنوي) هو أقوي و أهم فروع نهر النيجر، وأنه صالح للملاحة والتجارة وطريق هام للمناطق الداخلية[3].

- نهر السنغال: ينبع من هضبة الفوتاجالون في وسط غينيا، ويتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الأطلسي، ليصب عند مدينة (سان لويس) السنغالية يبلغ طوله 1700 كلم[4]، وهو سادس الأنهار الإفريقية طولا وخامسها من حيث مساحة حوضه، يمتاز مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار، ويعتبر القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة و هو المصدر الخصب للأراضي التي يمر بها وينتهي مسار النهر بمصبه في المحيط الأطلسي[5].
- نهر غامبيا: من أهم طرق المواصلات في المنطقة في حدود دولة غامبيا بمسافة 470 كلم، وعرضه 24 كلم[6]، تقع القرى بعيدة عن مجراه للسبب كثرة المستنقعات والغابات على ضفافه، وهو مدخل رئيسي

---

[1] – مار مول كربخال: إفريقيا، تر. محمد حجي و آخرون، مكتبة المعارف، الرباط ، ج1، 1984م، ص 55.

[2] – جمال الدين الداناصوري: جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا و استراليا)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،ج2، 1971 م، ص 318.

[3] – De champ(H):Histoire générale de l'Afrique noir, paris, 1975, Tome 2, P 2.

[4] – نعيم قداح ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، المرجع السابق، ص 06.

[5] – محمد فاضل باري و سعيد إبراهيم: المرجع السابق ص 22.

[6] – محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 255.

للسودان الغربي؛ نظرا لاختراقه منطقة السفانا. تُسْتغَلُّ السهول الخصبة المحيطة بمجرى نهر غامبيا في زراعة الفول السوداني ويصب فالمحيط الأطلسي[1].

- **المنـــاخ:**

يندرج مناخ السودان الغربي ضمن مناخ الإقليم الشبه استوائي؛ الذي يمتاز بارتفاع عام في الحرارة وبزيادة معتبرة في نسبة الرطوبة، نتيجة لوقوعه ما بين خط الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا، وتزداد درجة الحرارة ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الداخل و الشمال خاصة في فصل الصيف. وبذلك يمكن تمييز مناخ السودان الغربي فيما يلي :

- المناخ الصحراوي: الذي يسود المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى ممتد إلى صحاري كل من النيجر، ومالي، السنغال، و يمتاز هذا الإقليم بشدة الحرارة و قلة المياه و ندرة الأمطار.
- الإقليم الساحلي: يمتاز هذا بفصلين مناخيين، إحدهما جاف والآخر ممطر، خاصة في السواحل الموريتانية والسنغالية نظرا لتأثير المحيط الأطلسي.
- المناخ المداري: و يمتاز بارتفاع متوسط حرارته تصل إلى 28^0 ، وله فصلان ممطران و بينهما فصل جاف، ويمتاز بغزارة أمطاره، ويمتد هذا المناخ من غينيا إلى نيجيريا.
- مناخ المرتفعات: و يسود في المناطق الجبلية المرتفعة ومرتفعات الفوتاجالون، و يميل نسبيا إلى البرودة و غزارة الأمطار[2].

[1] – الهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 24.

[2] – حاج احمد نور الدين: المرجع السابق، ص 17.

ب- السكان:

لا شك أنه من الصعوبة بمكان إعطاء صورة مفصّلة لتوزيع قبائل السودان الغربي، من خلال المصادر القديمة، و ذلك لأن المؤرخين لم يمدونا بمعلومات كافية عن القبائل وتوزيع مواطنها، وتكلموا عنها بشكل عام لايوضّح أماكن وجودها بالتحديد، وبعضهم أشار إلى بعض أسمائها، و وجهوا معظم عنايتهم إلى الكلام عن الأحداث السياسية للبلاد على أيامهم[1]، و مع ذلك يمكن أن نميز ثلاثة أصناف مكونة للمجتمع السوداني وهم: قبائل عربية، قبائل أمازيغية (الطوارق)، وقبائل سودانية.

1- القبائل العربية:

- بني حسان: و تم دخولهم إلى السودان الغربي (الأزواد) خلال الصراعات التي اجتاحت المغرب الأقصى مع نهاية دولة الموحدين و بداية عهد بني مرين الذي عرفت فيه الهجرة من الشمال إلى الجنوب دفعا جديدا، وتمكنوا بعد وصولهم من فرض الضرائب على صنهاجة و قبائل السودان وأبرز فروع بني حسان الذين كان لهم شان كبير في الأزواد هم: أولاد دليم و البرابيش.
- أولاد دليم: و يسمون كذلك بأولاد المولات، يتمركزون في الجهة الغربية للأزواد، و يترددون على درعة للتبادل التجاري، و كوّنوا عددا من الإمارات بالأزواد، و كانوا يمارسون السلب و النهب كثيراً[2].
- البرابيش: يسكنون بأعداد كبيرة في ولّاتة و أدرار الموريتاني، و يمتلكون أعدادا هائلة من الإبل، و بقيادة بربش و هو من أبناء حمة ، انتقل هؤلاء إلى أواسط أزواد في نهاية 15م و أواسط القرن 16م، و كانوا أول العناصر التي عرَّبت إيموشاكن[3]، ولهم العديد من الأفخاذ منهم: أولاد عمران، أولاد سعيد، أولاد غانم[4].

---

[1] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص 103.

[2] – أحمد الحمدي: المساهمة العلمية للمختار الكنتي الكبير بأزواد (1142- 1226هـ/ 1729- 1811م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2007- 2008م، ص ص 38-39.

[3] – إيموشاكن: و يطلق عليهم الكتاب العرب مقرشن، و هم الطوارق الذين كانوا أول من بنى تنبكتو، ينظر: عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 36.

[4] – بول مارتي: البرابيش، تر. محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق ، د.ت، ص 17.

ولم تكن حياتهم اليومية تختلف كثيرا عن حياة البدو، فلقد كانوا ينتقلون حسب فصول السنة من السهول إلى المراعي الجبلية القريبة من خيامهم الكبيرة المنسوجة بأشرطة سوداء من شعر الماعز، و الموثوقة إلى الأرض بواسطة حاجز من القصب أو من جذوع الأشجار، و كان النساء يغسلن و ينسجن ويشتغلن بشؤون البيت والرجال، يتعهدن القطيع، ويغزلن أصواف الأغنام. وتتركز التغذية عندهم على مطحون الحبوب والجبن والسمن المستخرج من حليب الماعز أو الإبل[1].

2- القبائل السودانية:

- قبائل الفولّاني: يوجد اختلاف في لفظ كلمة (فلّان) عند قبائل إفريقيا الغربية، وعند العرب، وهناك من غير لفظها تماما إلى لفظ آخر مثل التكارير، والتكارن ،كما جاء في موسوعة – قبائل العرب – لعبد الحكيم الواتلي، إلا أن المتتبع هذا الاختلاف يتضح له بأنه ما هو إلا اختلاف لفظي و شكلي؛ ذلك لأن اختلاف التسمية وارد نتيجة اختلاف اللهجات ففي مالي مثلا تأخذ عدة تسميات مثل: فولبي (Fulbe)، بوللو (Pollo)، تكرور (Tkrur)، فلاني (Fulani)، فلاليت (Falalit)، فولا (Fula)، فلاتنقا (Falatanga)، فلاتة (Falata).

أما عن أصل تسميتهم فيذكر عبد الله فودي أن مصطلح (الفلّاتة) الذي يطلق على الفلّان والفلّانيون هو مصطلح عربي مشتق من الجذر العربي (فلت) فهم قوم يفلتون فينجون بأنفسهم عندما يرون ما يسوؤهم[2]، وذهبت المؤرخة الهام محمد علي ذهني في حديثها عن خصائص الفلّان إذ تذكر: " بأنهم يتشكلون من عدة قبائل متناثرة تحيى حياة رعوية اشتهروا بعدم الخضوع لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون بها رغم أنهم يعيشون في أراضي أولئك الملوك، و ذلك إذا أسيء إليهم هدموا منازلهم وارتحلوا إلى منطقة أخرى[3]. كما أن الضابط الفرنسي (جادن) الذي كان ضابطا بالجيش الفرنسي بإفريقيا في أواخر

[1] – الحمدي أحمد، المرجع السابق، ص 39.

[2] – عبد الحكيم الوائلي: موسوعة قبائل العرب، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2002م، ج4، ط1، ص 1709.

[3] – الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار العرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1993م، ص 38.

القرن الماضي، كان يربط ما بين (فولا) و (التشتت)[1] ذلك أنه لاحظ بأن من خصائص الفلّان العناية بماشيتهم وحبهم الشديد إلى حد الهوس بها، لذا ربط بين لفظ (الفلّان) الذي يدل على الصحراء والتنقل ومهنة الرعي التي اشتهر بها شعب الفلّان عبر تاريخه[2].

اختلف الباحثون في أصل الفلّان، فمنهم من ربطهم بالنوبة، ومنهم من يرى بأنهم عنصر من الأمازيغ استقروا في منطقة أدرار في أعالي السنغال[3]، و هناك من يقول أنهم عرب من حمير، و هناك من روايات تقول أنهم نتيجة احتكاك الزنوج و الحاميين بالعرب و الأمازيغ (البربر) والطوارق أدت إلى تميز (الفولّاني) كجنس له خصائص مجتمعة من كل جنس داخل في تكوينه[4].و بين عامي 1776م و 1786م استطاع الفولّان أن يؤسسوا ثلاث دويلات دينية و هي: فوتاتورو، فوتاجالون، خاسيو، وتتسم هذه الدويلات بالتمسك الصارم بتعاليم الدين الاسلامي[5].و تقطن قبائل الفولاني في المنطقة الواقعة في أعالي النيجر، و السنغال و في سنة 1810م، دعم الفولّانيون في سائر ولايات الهاوسا، و في أواخر القرن 19م اتسع نفوذهم في التسرب شرقا حتى وصلوا إلى منطقة برنو و الكامرون[6].

يشكل الفولاني أكبر تجمع مسلم في السودان الغربي، و قد عُرفوا عبر تاريخهم بأنهم الشعب الداعي للإسلام، فقد حملوا الإسلام في موطنهم فوتاجالون وفوتاتورو على سواحل المحيط الأطلسي، و اتجهوا به

---

[1] – الهام محمد ذهني: المرجع السابق، ص 27.

[2] – كافلام مادهوبا نيكار: الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في داعز بإفريقيا، تر. وتح. أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للنقابة، 1998م، ج1، ط2، ص 67.

[3] – محمد فاضل باري و سعيد ابراهيم: المرجع السابق، ص 25.

[4] – حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني ، مطبعة دار الهلال، الرياض، 1981م ،ص65.

[5] – كولين مفدي، أطلس التاريخ الإفريقي، تر. مختار السويفي، الهيئة المغربية العامة للكتاب، مصر، 1987 م، ص 151.

[6] – فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر. السيد يوسف نصرو، و بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط2،1982م، ص 30.

شرقا حتى بحيرة تشاد[1]، وقد استطاع الشيخ عثمان دان فودي أن يجمعهم وينشر الإسلام الصحيح بينهم، وأن يكوّن مملكة إسلامية شاسعة حتى قضى عليها الاستعمار الفرنسي[2].

- شعب الهوسا: ينتشر هذا الشعب بين الصحراء الكبرى شمالا، وبين نهر بنوي جنوبا، وتنتشر لغة هذا الشعب من تشاد إلى أعالي الفولتا[3]. فكلمة الهوسا تدل على اللغة والناس المتحدثين بها، والولايات التي يتركز فيها الشطر الأكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة، وهناك رأي آخر؛ إلى أن مدلولها الأصلي جغرافي، وأنها اسم للضفة اليسرى لنهر النيجر فهي اسم للمكان، ثم صار ذا دلالة لغوية أكثر منها إثنية[4]، وهذا هو الأقرب للصواب؛ لأنه كان يُظن أنها جنسا قائم بذاته، لكن تبين أن الهاوسا اصطلاح يعني اللغة والسكان والمكان، فهم يمثلون خليطا من شعوب تنتمي إلى أصول مختلفة جمعتهم لغة واحدة، اجتمعوا في صعيد واحد تقاربوا دينياً وثقافياً، فهم يشكلون بهذا التقارب أكبر مجموعة لغوية وحضارية، فهم يسودون من الناحية الاجتماعية والثقافية إفريقيا الغربية[5].

كان للهاوسا سبع إمارات و هي: إمارة دورا (Daura)، زازاو (ZaZaw)، زجزج (ZegZeg)، جوبير (Gobir)، كاتسينا (Katsina)، بيرام (Biram)، رانو (Rano)[6]. دخل مجتمع الهوسا منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام إلى السودان الغربي في العصر الوسيط و ساهمت الحركة الإصلاحية[7] التي قادها عثمان دان فودي الفلاني 1786م، إلى اتساع رقعة الإسلام في المجتمع الهاوساوي، وأصبح يشكل

[1] – أحمد ابراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981م ، ص ص 201– 202.

[2] – شوقي عطاالله الجمل و عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1996م، ص 101.

[3] – نعيم قداح: المرجع السابق، ص 15.

[4] – حسن عيسى عبد الظاهر: المرجع السابق، ص 61.

[5] – المرجع نفسه، ص 61.

[6] – الهام محمد علي ذهني،: المرجع السابق، ص 42.

[7] – المرجع نفسه، ص 42.

أكبر مجموعة مسلمة متماسكة شمال نيجيريا، وتنتشر لغتهم الهاوسا في شمال نيجيريا والنيجر، و تعتبر من أكبر اللغات انتشارا بغرب إفريقيا[1].

- شعب الديولا: وتدل كلمة الديولا على معني التجار، وهم من أصل زنجي اشتهروا بالتجارة، ينتشرون في رقعة كبيرة من السنغال إلى نيجيريا، وبين القرن 14 و17م، هاجروا هجرة عكسية باتجاه تشاد، تاركين على طول الطريق جماعات منهم استقرت بين الزنوج. يجتمع الديولا في جاليات صغيرة، في ثنية النيجر، وفولتا العليا، وساحل الذهب، وقد اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر، ومنهم من بقي على وثنيته، و يمتاز هذا العنصر بالملامح الزنجية الصِّرفة، و يقوم مجتمعهم على نظام الانتساب إلى الأم (مجتمع أموي)[2].
- قبائل الماناديج : ينتشرون في السنغال و النيجر الأعلى، وجمهورية غينيا، والأقسام الشمالية من سيراليون وليبيريا، وساحل العاج، وقد أسّس هذا الشعب قديما مملكة مالي؛ التي سيطرت خلال عدة قرون من العصر الوسيط[3]، وصفهم الحسن الوزان؛ بأنهم أكثر ذكاء واعتبارا من بين جميع السود، وهم أغنياء بفضل تجارتهم؛ إذ يزودون المناطق المجاورة بكثير من المنتجات، ولهم مساجد كثيرة و أيمّة[4]، و يعتمد نظام الماناديج السياسي على قاعدة الشورى، حيث يترأس السلطة السياسية والمعنوية مجلس من الكبار، ومن زعمائهم (ساموري توري) الذي حارب الفرنسيين، وكوّن دولة تمتد من سيراليون إلى النيجر الأعلى[5].
- قبائل البامبرا: ينتشر شعب البامبرا في السنغال، ومملكة مالي، وأعالي النيجر، و يكثرون على الساحل، وكثير منهم يمارس الزراعة[6]، ويعيشون في قرى صغيرة؛ تتألف من أسرة واحدة، ومنازلهم عبارة عن أكواخ

---

[1] – محمد عدنان مراد: المجتمعات الإفريقية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م.ن، 1995م، ص 113.

[2] – نبيلة محمد حسن: المرجع السابق، ص ص 110– 111.

[3] – نعيم قداح: المرجع السابق، ص 15.

[4] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 164– 165.

[5] – نبيلة محمد حسن: المرجع السابق، ص 112.

[6] – المرجع نفسه، ص 110.

مستديرة الشكل تسقف بالقش، ويترأسهم شخص يتولى السلطة السياسية والدينية، و هذا الشخص ينتخب داخل أفراد القبيلة[1].

تمسك البامبرا بوثنيتهم، وأسّسوا مملكة تسمى سيقو (Ségau)، الواقعة في أواسط حوض نهر النيجر، وكانت مملكة وثنية قوية في بدايتها، ولما دبّ الضُّعف في مملكة سيقوا (Ségau)، قضت عليها الإمارات الإسلامية في حوض النيجر ، واستوطنوا عاصمتهم قرابة قرن ونصف، حتى هاجمهم الاستعمار الفرنسي واحتلهم سنة 1893م[2].

3- القبائل الأمازيغية:

- الطوارق (الملثمون): ينتشر الطوارق في الصحراء الكبرى، ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا، إلى حدود السودان؛ مرورا بشمال مالي، وشمال النيجر، وشمال تشاد، وجنوب غربي ليبيا، وجنوب شرق الجزائر. كما تنتشر مجموعات منهم ببركينافاسو ونيجيريا، ونستطيع القول أن الطوارق ينتشرون في وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس وغات في ليبيا، إلى تمنغست بالجزائر وجانت وبرج المختار وتيمياوين على الحدود مع مالي، وإلى تنبكتو بمالي و إلى طاوة بالنيجر و انفيفمي على بحيرة تشاد، ولم يكن هذا موطن الطوارق الأصلي، فقد تزحزح الطوارق من الشمال إلى الجنوب، موغلين في الصحراء، إما هربا بحريتهم من الجيوش التي كانت تهاجم في الشمال (الرومان، الوندال)، و إما اندفاعا نحو إفريقيا؛ لنشر الإسلام والاستيلاء على الممالك و السيطرة عليها[3].

وينتسب الطوارق على – حسب ابن خلدون– إلى قبيلة صنهاجة أحد بطون البربر الأمازيغ. واختلفت الروايات في أصل تسميتهم ؛ فبعض الروايات تقول سموا بالطوارق لأنهم طرقوا الصحراء و توغلوا

---

[1] – محمد فاضل باري و سعيد ابراهيم: المرجع السابق، ص 89.

[2]– محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات و أبحاث ، د.م.ن، ط2، 1989م ، ص ص 17– 18.

[3] –المرجع نفسه، ص 20.ينظر: محمد السعيد بن سعد: المعمّون والملثمون يحاورون الصحراء(الهقار وتديكلت نموذجا)، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية– الجزائر، ع15، المطبعة العربية ، غرداية، 2006م،ص ص207– 208.

فيها، و البعض يرجع ذلك لانتساب البعض منهم إلى طارق بن زياد قائد الجيش الفاتح للأندلس، وهناك رواية أخرى تقول: أنهم سموا (التوارك)؛ لأنهم تركوا الوثنية إلى الإسلام، وذلك عند أول عهدهم بالإسلام وهذا الاسم حُرِّف و أصبح يقال لهم (طوارق).

لكن القول الأرجح أن الطوارق نسبة إلى اسم المنطقة التي تسكن بالقرب منها قبائل الملثمين الغربية من العواصم المغربية في الشمال، وهو وادي ورغة جنوب مراكش (تاركا/Targa) و توجد أيضا في ليبيا جمعها توارك و كلمة (تاركا/Targa) أو (Tarja) معروفة عند جميع الأمازيغ، وتعني الأرض المستقيمة الخصبة، و الطوارق لا يطلقون هذا الاسم على قبائلهم، بل إنهم (كل تماشق)، أو (كل تماهق)، أو (كل تماجق)، و تعني أهل تماشق، وتماشق في اللغة الطارقية تعني الناطقين بالأمازيغية. وهناك اختلاف في نطق الحرف قبل الأخير في كلمة تماشق؛ حيث تنطق على شكل (ج) في النيجر و على شكل (ش) في مالي، و على شكل (ه) في ليبيا و الجزائر[1]. وسموا بالملثمين؛ لأنهم يضعون اللثام على الرأس والوجه، فهو إضافة إلى أنه وقاية من حرارة الصحراء وعواصفها الرملية، وضرورة، وتقليد اجتماعي راسخ توارثته الأجيال منذ آلاف السنين، وهو رمز الرجولة والأَنفة والشجاعة عند الطوارق. ولا يكشفون وجوههم، ولذلك سموهم بالملثمين وتلك عادتهم يتوارثونها خلفا عن سلف[2].

يتكلم الطوارق لغة من أصل أمازيغي، و يقال أنها مشتقة من اللغات السامية القديمة. وتكتب بحروف تسمى تيفيناغ (Tifinagh)، مؤلفة من أربع و عشرين حرفا، وهي تنقش على الحجارة والجلود والخشب، وتستعمل في مناسبات قليلة لتسجيل الملكية أو عقود الزواج. وتكتب من اليمين إلى اليسار أو من فوق إلى تحت.ينقسم الطوارق إلى قبائل أساسية تنتشر في الصحراء أيير، طوارق إيفوغاس، طوارق أوليميدان[3]. وينقسم الطوارق اجتماعيا إلى طبقتين فقط و هما: طبقة السادة و النبلاء و طبقة الموالين و العبيد. و للمرأة

[1] – التنبكتي: الطوارق، منشورات منظمة تامانوت ، د.م.ن، دت، ص ص 20– 21.

[2] – المرجع نفسه، ص21.

[3] – محمد السعيد القشاط: القشاط : المرجع السابق ، ص ص 17–18.ينظر: فيج .جي. دي: المرجع السابق ، ص ص 62– 63.

عند الطوارق قدر كبير من الكرامة و الاحترام، بحيث تساهم في الحياة العامة، و مجلس القبيلة و تقوم بتعليم الأطفال؛ وتحملت المرأة الطارقية أعباء أسرتها لغياب الرجل المتكرر أشهرا و أعواما بسبب تجارة القوافل، أو بحثا عن المراعي الوافرة الكلأ؛ كل هذا أعطى مكانة مرموقة للمرأة الطارقية[1]، وقد لاحظ ذلك الرحالة ابن بطوطة وذهل عن الحرية التي منحها الطوارق لنسائهم[2].

يشتغل الطوارق بتربية الحيوانات خاصة الإبل، و الماعز، و أنواع من الضأن تخص المنطقة ليس لها أصواف، و لها ذيل طويل و أجسامها مغطاة بشعر قصير، ويتخذ الطوارق من ألبان الإبل، و الماعز ولحومها طعامهم الرئيسي ،كما تدهن نساء الطوارق شعورهن وأجسامهن بالسمن. ويقوم العبيد والموالي برعي المواشي و تفقدها، والسهر عليها، كما أن الطوارق دائمي التنقل في الصحراء بحثا على المناطق الممطرة الوافرة العشب والكلأ لرعي مواشيهم[3].

ج – الخلفية التاريخية للسودان الغربي:

قامت في بلاد السودان الغربي عدة ممالك إسلامية، ساهمت وبشكل كبير في نشر الإسلام، وتوطيده بالمنطقة، كما كان لها دور كبير في ربط علاقات بين دول الشمال الإفريقي.

1–مملكة غانا: هي أقدم الممالك الإفريقية في السودان الغربي تأسست حوالي 300م واستمدت اسمها من عاصمتها القديمة غانا واتسعت رقعتها بمرور الزمن. وقد أسست من عصمتها القديمة غانا واتسعت رقعتها بمرور الزمن، وقد أسست هذه المملكة مجموعة من القبائل البربرية المغاربية الزاحفة والمهاجرة من شمال إفريقيا إلى هذه المنطقة وشعوب السنونكي الزنجية خلال القرن الثاني الميلادي وفرضت سيطرتها عليها وحكمت خلال القرن الرابع الميلادي ومدت سلطانها السياسي من منحى نهر النيجر شرقا إلى سواحل

[1] – محمد السعيد بن سعد: المرجع السابق، 208. ينظر: فيج. جي. دي: المرجع السابق ، ص ص 62- 63.

[2] – ابن بطوطة: المصدر السابق،ج2، ص709.

[3] – التنبكتي: المرجع السابق،ص35.

المحيط الأطلسي غربا،والى حافة الصحراء الكبرى شمالا[1].واعتمد اقتصادها على التجارة الصحراوية وعلى استغلال مناجم الذهب في بامبوك وبوري فالجنوب، ومناجم الملح في الشمال . ساهم في توسع مملكة غانا وحماية حدودها جيش دائم يبلغ تعداده أربعة ألاف في أوقات الشدة، كان ملكها يستطيع أن يجند مائتي ألف محارب دون صعوبة[2].

دخل الإسلام إلى غانة منذ زمن مبكر حيث ذكر البكري عند وصفه لمدينة كومبي صالح، بأن بها اثنا عشر مسجدا، وقد عاش فيها كثير من علماء الدين والطلاب وكانت اللغة العربية هي لغة التدريس[3]. كما كان للمرابطين دور في نشر الإسلام في هذه المملكة بعد أن أخضعوها لحكم الإسلام وأصبح ملوك غانة مسلمين[4]. سقطت مملكة غانة على يد قبائل الصوصو في القرن7هـ/13م ، وفرّ مسلمو غانة إلى ولاته وأقاموا بها مركزا تجاريا يعد من أعظم المراكز في السودان الغربي[5].

2-مملكة مالي (1225- 1488م) : تقع مملكة مالي مابين بلاد برنو شرقا، والمحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى وبلاد المغرب شمالا. سكانها بدو رحل دخلوا إلى الإسلام في وقت مبكر من القرن الحادي عشر الميلادي[6] ، وتتألف من خمسة أقاليم وهي:

- إقليم مالي يتوسط الإمبراطورية وقاعدته بانبي اومبامبي.
- إقليم صوصو إلى الغرب من مالي في كانياجا.
- إقليم غانا غرب صوصو وبه مناجم الذهب التي يقصدها تجار سجلماسة وبلدان المغرب الشمالية.

---

[1]- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ص19.

[2]- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، السابق، المرجع ص13.

[3]- مهدي رزق الله أحمد: التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،ط1، 1998م، ص169.

[4]- إبراهيم علي طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر،القاهرة، 1969م، ص53.

[5]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص178.

[6]- عبد القادر زبادية :الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص16.

- إقليم كوكيا شرق إقليم مالي، وقاعدته كوكيا التي تبعد مسافة شهر ونصف من غرب نيجيريا الحالية.
- إقليم التكرور غرب اقليم مكوكيا وقاعدته التكرور[1].

قامت مملكة المالي على يد شعب الماندي، وهم من أوائل الشعوب في المنطقة التي اعتنقت الإسلام، حيث تصدت لقبائل الصوصو الوثنية التي قضت على مملكة غانا، بفضل الزعيم سونديانا كيتا[2]. وبلغت مملكة مالي ذروتها في القوة والسلطان في عهد السلطان منسى موسى[3] (1307م-1332م)، الذي كون علاقات مع عدة جهات خارجية، أشهرها إقليم توات ومصر خاصة بعد رحلته الحجية المشهورة سنة 724هـ/1324م، حيث سلك الطريق الذي يمر على منطقة توات[4].

وقد ظهرت مملكة مالي كأبرز مركز تجاري في السودان الغربي، وأخذ التجار يفدون إليها من الشمال الإفريقي وكل الجهات الأخرى . استمرت هذه المملكة في الازدهار طيلة القرن 8هـ/14م وتوسعت حتى وصلت مناجم ملح تغازة، وامتدت جنوبا حتى أطراف السافانا وشرقا حتى مناجم النحاس والذهب[5]. ويذكر معظم المؤرخين بأن سكان مالي من أكثر زنوج إفريقيا رقيا، وذكاء، وأشهرهم في الصناعات التقليدية، وأشدهم تمسكا بالإسلام، والأمانة، والعدل، والعفة، ونظافة القرى، ويحرصون على أداء صلاة الجمعة، يلبسون الثياب البيضاء، معتنين بحفظ القرآن الكريم كباراً وصغاراً[6].

دخلت مملكة مالي مرحلة الضعف بعد وفاة منسى موسى فاستقلت(جاو) وسيطر الطوارق على مدن أروان، ولاته، وتنبكتو، واستولى (الولف) على المناطق الغربية واستولى (الموشي) على المناطق الجنوبية،

---

[1]- يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص27.

[2]- نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص203.

[3]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص28.

[4]-محمد فاضل علي باري : المرجع السابق ، 83.

[5]-مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص207.

[6]-يحي بوعزيز: المرجع سابق،ص29.

وأصبحت في منتصف القرن 17م مجرد مملكة صغيرة في كانياجا، فورثتها مملكة السنغاي وخلفتها في بسط نفوذها على المنطقة[1].

3-مملكة السنغاي: تأسّست دولة السنغاي في القرن 7هـ على نهر النيجر عند مدينة (دندي)، ثم انتشروا على طول مجرى نهر النيجر، بفضل أسرة حاكمة تسمى أسرة (ديا)، وقد اتخذوا مدينة كوكيا عاصمة لهم، ثم مدينة جاو[2]. اعتنق شعب السنغاي الإسلام منذ القرن 5هـ في عهد مملكة المالي؛ التي ضعفت واستقلت عنها السنغاي في القرن 9 هـ/ 15م. واتخذ ملوكها لقب (سني) [3]، واشتهر منهم سني علي الكبير سنة 869هـ/1464م الذي وسع مملكته وشملت الحواضر التجارية الكبرى كتنبكتو ، وجني[4].

شهدت مملكة السنغاي توسعا وازدهارا كبيرا في حكم أسرة الأسكيا، التي خلفت أسرة سني خاصة في عهد الأسكيا محمد سنة 898هـ/ 1493م الذي ربط علاقات كبيرة مع الأقطار المغاربية، واشتهر بحب الإسلام وتقديره للعلم والعلماء؛ ومنهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي الذي قربه وكان مستشاره ، وعرض عليه العديد من المسائل الدينية يستفيد منها، كان الإمام المغيلي حريصا على أن تكون فتواه وفق الكتاب والسنة وألّف في ذلك مؤلفا سمّاه أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. كما أدخل الأسقيا محمد عدة إصلاحات سياسية وعسكرية، على درجة عالية من التنظيم والقدرة على الإدارة[5].

جاء بعد الأسقيا محمد توري ملوك تنافسوا على حكم الدولة مما أدى إلى ضعف الدولة ؛ ما عرضها للأطماع الخارجية. وفي سنة 1591م غزاها سلطان المغرب مولاي أحمد المنصور الذهبي ، حيث أرسل حملة

---

[1]- جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي ، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ص81.

[2]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص207.

[3]- تدعى هذه العائلة بلسان سنغاي (أيون) أما لفظة سني فقد أطلعها عدد من المؤرخين الذين كانوا قد كتبوا بالعربية تاريخ البلاد تم شاع استعمالها لدى غيرهم ولا ندري كيف شاعت هذه التسمية إذ أن هناك فرقا بين لفظة أيون وسني . ينظر: عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 21 .

[4]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص40.

[5]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص86-96.

بقيادة ضابطه (جودر) للسيطرة على مناجم الذهب، ومناجم الملح في تغازة وتاودني، فدخلت الجيوش الكبيرة إلى مدينة تنبكتو واستولت عليها، ونصب حكم البشوات العسكري المغربي على مملكة السنغاي، واقتيد بعض العلماء إلى مراكش؛ فكان أبرزهم العالم والمؤرخ أحمد بابا التنبكتي. وتعتبر نهاية حكم آل السنغاي بداية مرحلة الانحطاط في كل بلدان الساحل الإفريقي[1].

4-مملكة البرنو: تدخل هذه المملكة ضمن جغرافية السودان الأوسط، ونوردها لعلاقاتها الواسعة والتاريخية مع ممالك السودان الغربي. تقع مملكة البرنو ببحيرة تشاد ونهر الكانوري، والتي تشمل اليوم جمهورية تشاد وقسما من شمال نيجيريا[2]. وقد تألفت هذه المملكة من عدة قبائل أهمها الكانوري، والكري، والكرنبة، والمندرة، والبولالا، والعرب الذين استقروا في هذا الإقليم نازحين من الشمال، ويطلق عليهم اسم الشوا، ويبدو أن منطقة الكانوري وبحيرة تشاد كانت منذ القديم ملتقى امتزاج سكاني ، وأصبحوا يتكلمون بلغة الكانوري؛ التي تعتبر أوسع اللغات انتشارا في هذا الإقليم. وقد وصل الإسلام إلى برنو في وقت مبكر ابتداء من القرن الأول الهجري ، السابع الميلادي؛ وذلك من جهة طرابلس الغرب، وفي القرن 4هـ/10م انتشر الإسلام في جميع مملكة برنو، وانتشرت معه اللغة العربية[3]. وقد دخلت مملكة البرنو فترة التوسع والقوة في أيام السلطان عبد الجليل سيما (1221-1259م)ثم واصل ابنه من بعده روناما الأول (1221-1259م) فامتد نفوذه إلى كل من فزان بليبيا، وبعد فترة من الاضطرابات نتيجة التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة المالكة ومناوئيها، خاصة في عهد السلطان إدريس علومه (1571- 1603م) الذي استطاع أن يثبت الحكم ويربط علاقات مع الدول المجاورة خاصة الدولة العثمانية، والدولة السعدية بالمغرب الأقصى. وازدهرت الحركة التجارية الواردة والصادرة من وإلى مملكة برنو، وقام بتنظيم السلطات

[1]- محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص122.

[2]- جلالي يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر 1999، ص40.

[3]- عثمان برايما بارد، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر ، ط1 ، 2000م، ص 80.

والفصل بينها في المملكة ؛مما جعلها تعرف أزهى فترات حكمها، كما أعطى للفقهاء مكانة هامة في الدولة وبنى المساجد الكبيرة في ربوع مملكة البرنو، وحتى في البقاع المقدسة بنى مقرا لحجاج برنو[1].

وبعد وفاة إدريس علومه خلفه ابنه محمد لمدة 16 عاما، وسار على نفس سياسة والده، ثم تلاه السلطان ابراهيم ، ثم الحاج عمر، وكلاهما أبناء إدريس علومه فسارت الأمور في عهدهم سيرا طبيعيا، ومنتظما. ولم يحل القرن 19م حتى عجزت برنو عن صد الاعتداءات الخارجية خاصة من طرف شعب الفولاني، بزعامة الشيخ عثمان بن الفودي؛ الذي توسع على حساب بلاد الهوسا والبرنو عام1808م، ولم بنقذهم سوى ظهور الشيخ محمد الكانمي الذي أعلن الحرب ضد الفولاني واستعاد منهم برنو، وقام ببناء مدينة كوكيا عام 1821م واتّخذها عاصمة له، وأرجع للمملكة هبتها ومكانتها، وحدث نوع من التفاهم مع مملكة الفولاني مما جعل مملكة البرنو تعيش استقرارا سياسيا.توفي الشيخ محمد الأمين الكانمي عام 1835م، خلفه ملوك أقل قوة منه لم يستطيعوا أن يحافظوا على قوة المملكة، إلى أن داهمها الاحتلال الفرنسي عام 1317هـ/1900م بعد أن اجتاح كل الممالك الأخرى إلى غرب إفريقيا[2].

وفي خاتمة هذا الفصل تعرفنا على الإطار الطبيعي والبشري إضافة إلى لخلفية التاريخية لإقليم توات والسودان الغربي؛ مبرزين أهمية وإستراتيجية الإمكانيات الطبيعية للإقليمين، خاصة القرب الجغرافي الذي يعتبر أهم مقومات التواصل بين إقليم توات والسودان الغربي؛ إقتصاديا وثقافيا وحضاريا، كما ساهم الازدهار الاقتصادي لإقليم توات في تنشيط التبادل التجاري بينه وبين السودان الغربي، وشجع التجار على عبور الصحراء وحمل المنتوجات التواتية الزراعية والحرفية إلى أسواق السودان الغربي . فكيف كان الواقع الإقتصادي لإقليم توات؟ وكيف كان النشاط الزراعي و الحرف والصناعة التقليدية بتوات ؟ وكيف كانت

[1]- أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،ج7، ط1، د.ت، ص ص293-294.

[2]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص149.

الحركة التجارة الداخلية والخارجية لإقليم توات؟ وسنتعرف على كل هذه التساؤلات في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

-الفصل الثاني: الواقع الاقتصادي لإقليم توات خلال الفترة (999 – 1317هـ / 1591 – 1900م) .

-المبحث الأول: الزراعة و الرعي.

– المبحث الثاني: الحرف و الصناعات التقليدية بتوات.

– المبحث الثالث: التجارة الداخلية والخارجية لإقليم توات.

– المبحث الأول: الزراعة و الرعي:

سنتعرف في هذا المبحث لواقع الاقتصاد التواتي وأهم المنتوجات التي كانت تجود بها الأرض ، والتي تنمُّ عن مجهود وعمل تقليدي كان يقوم به السكان ، ولكل موسم زراعي منتوجاته الخاصة، ففي فصل الخريف مثلا يتم جني التمر ويقوم الفلاحون بتهيئة الأرض والاستعداد لزراعة الحبوب والبقوليات وبعض الخضر والفوكه؛ وهكذا على مدار أربعة فصول يكون كل فصل هو بداية لمنتوج ونهاية لمنتوج آخر. وكانت الزراعة في توات هي المورد الغذائي الأساسي لسكان توات من جهة، و تساهم في دعم النشاط التجاري للإقليم من جهة أخرى، كما ساهمت الزراعة في إيجاد بعض الحرف الموسمية الزراعية كصناعة وسائل جَني التمور والحناء والطماطم والتبغ ، و كذلك صناعة السعف و السلال، و الحبال، و المكانس من سعف النخيل[1].

أ –استغلال المياه الجوفية:

تقوم الحياة الزراعية بتوات على استغلال المياه الجوفية عن طريق الفقارة؛ والتي يمكن تعريفها بأنها ساقية من الماء تأخذ ماءها في البداية من تحت الأرض قبل أن تظهر على السطح عندما يسمح بذلك مستوى انخفاض الأرض، مما يجعلها دائمة الجريان و قد ساعد على ذلك طبوغرافية تيدمايت المنحدرة نحو منخفض توات ما أمكن من استغلال العديد من الفقارات[2].

يمكن للفقارة أن تضم حوالي 500 بئر، وتمتد على مسافة طويلة تزيد على 10 كلم، ويزيد عمق الآبار كلما اتجهنا نحو المرتفعات، إذ نجد عمق الآبار الموجودة على مشارف القصر لا تتجاوز 4 أمتار، بينما الآبار التي في عين الفقارة في المرتفعات 35م ،كما هو الحال في فقارة جن الصغار بآولف[3].

---

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 53.

[2] – محمد الصالح حوتية: آل كنته دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق18-19م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2008م ، ص 75- 76 .

[3] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 53.

إن حفر الفقارة في البداية يكون من (أغُوسر) أو (أَغيسرو) والآبار الأولى في الفقارة لا ينتج عنها صرف للمياه، ويزداد صرف المياه بازدياد العمق والاقتراب من الطبقة الحاملة لكميات المياه الباطنية في الأحواض الجوفية[1].

في بداية بناء الفقارة فان المجرى الأول الذي يلي بساتينها يكون مفتوحا على الهواء حسب مستوى ملائم للري مباشرة، وقد اصطلح على تسميته بـ (أغوسر)، يتحدد عادة بين نهاية آبار الفقارة وقصور الواحة، ويكون مغطى بالحجارة لمنع زحف الرمال عليه، وتوضع فوهات تستعمل عادة للسقي، ومن أوّل بئر في أغوسر أو أغيسرو يأخذ العمق في الزيادة؛ ليبدأ مجرى الفقارة بالامتداد تحت سطح الأرض [2].وعلى حسب الزجلاوي [3] أنه من عادة أهل بلد تيجورارين استخراج المياه "حفر آبار متعددة بير ايزاء بير (بئر) وبين البير والبير قامة إلى عشر اذرع أو أكثر، وينتهون بعدد الآبار إلى الثلاث ماية (مائة) أو اقل أو أكثر، وينفذون كل بير إلى التي تليها، ثم يرفعون الماء بعد ذلك نحو الميل و الميل واقل و أكثر..." [4].

وتقسم الفقارة إلى عدّة أقسام وهي:

[1] – مبروك مقدم: المرجع السابق، ج1، ص 134.

[2] –المرجع نفسه، ص 134.

[3] – الزجلاوي : محمد بن عبد الرحمن بن أحميد الزجلاوي و ينتهي نسبه إلى أبو أيوب الأنصاري درس على عدة شيوخ من أهمهم والده الشيخ عبد الرحمن بن أحميد الزجلاوي . رحل في طلب العلم كما كان له تلاميذ منهم الحسن بن بومدين التمنطيطي ، عبد الله بن بومدين بن بوبكر و غيرهم كثير ترك عدة مؤلفات من الوجيز في شرح مختصر خليل و ألفية في غريب القرآن، بالإضافة إلى نوازله في الفقه وهي التي اشتهر بها توفي 23 شوال عام 1212هـ/1797م. ينظر: عبد الحق حميّش ومحفوظ بوكراع: موسوعة تراجم علماء الجزائر(علماء تلمسان وتوات)، دار زمورة للنشر والتوزيع ، الجزائر،2011م، ص 426.محمد باي بلعالم ، المرجع السابق، ج1 ص131.

[4] – محمد بن عبد الرحمن بن أحميد الزجلاوي: نوازل الزجلاوي ، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر، الورقة 4و.

– الفرع أو الكراع: قد تبلغ الفقارة منتهى الارتفاع قبل الحصول على كمية الماء المرغوب فيه، ويصب الحفر في الاتجاه المستقيم، فيضطر الخبير إلى توقيف الامتداد وحفر أبار أخرى على إحدى جانبي الفقارة وتتّصل بها و تسمى الكراع[1].

–تابجّوط: في بعض الأحيان يتعرض العمال أثناء الحفر لحجرة صلبة، فيضطرون لفتح ثقب صغيرة بالحجرة المعترضة ينفذ منها الماء يسمى (تابجوط).

–أغُوسَرْ، أو أغُوسْرو، أو أغيسرو: عند اقتراب ماء الفقارة من الأرض الزراعية أو القصر تتحول الفقارة لساقية على سطح الأرض تسمى أغُوسَر.

–القَسْرية، أو القَسْري: عند نهاية الساقية الأم تكون القسرية، وهي عبارة عن ممرات مستطيلة تُنحَت بعناية، وبطريقة حساب دقيقة على قطعة حجرية من التّافزة مسطحة تسمح بتوزيع الماء حسب الحصص المطلوبة و المحددة لكل مالك[2].

–الماجِن: وهو الحوض الذي تجتمع فيه مياه الفقارة في البستان من أجل السقي، وهو أيضا وحدة قياس في توات له منفذ يسمى (آنْفِيفْ) [3].

يتم توزيع الماء في الفقارة وتقسيمه على المُلّاك بآلة قياس تسمى (الشّقْفة)، وهي عبارة عن اسطوانة نحاسية مفتوحة من الأعلى والأسفل مثقوبة في جوانبها وفق أحجام مختلفة، وهذا الثقب قطره 13 مم على ارتفاع بمقدار 23 مم من مستوى القياس ، ومنسوبه 4 لتر في الدقيقة [4]. يختلف شكل (الشّقفة) وتسميتها من منطقة إلى أخرى، ففي تديكلت على شكل اسطواني، أما توات الوسطى فهي

[1] – مبروك مقدم: المرجع السابق،ج1، ص 19.

[2] – ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم08، ص165.

[3] – زاجية هرباش: الوضع الاقتصادي في توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين12و13 الهجرين 18و19 الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ،جامعة وهران،1432-1433هـ/2011-2012م، ص140.

[4] – عبد المجيد قدى: المرجع السابق، ص 56. ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم09، ص165.

على شكل مستطيل، كما يختلف اسمها أيضا فتسمى القَلْد، أو الحلّافة ، أو القسّامة، و وِحدة القياس هي الحَبَّة، وتعرف أيضا باسم العود في بني ملوك، وأحيانا تُنعت بالماجل والثّمن[1]. وتضم الشّقفة ثقوبا هي في الواقع عبارة عن أجزاء ومضاعفات لحَبَّة (زَيْرَق) وهي: النصف، الثلث، الربع، السدس، ونصف السدس، وربع السدس، وهذا الأخير يساوي 24/1 من الحَبَّة ويسمى بالقيراط، وهو عبارة عن حَبَّة 1/ 576 من حَبَّة الزَّيْرق. وهناك وحدة قياس أخرى تدعى بحَبّة معبود و التي يمكن تجزئتها إلى 24 قيراط، والعلاقة بين حَبّة زيرق وحَبّة معبود هي أن حَبّة زَيْرَق تساوي 24 من حَبّة مَعْبُود.

تخضع الفقارة لنظام صارم في الإدارة والتسيير؛حيث تملك كل فقارة سجلا يسمى عرفا بـ: (الجريدة)أو (الزمَّام) تكون فيه حيازات الأفراد ولا يمكن إحداث تغيير في هذا السجل بدون إظهار عقود البيع الموقّعة من قبل البائع وشاهدين معروفين، ويعهد حفظ هذا السجل إلى إمام القرية في الغالب، والذي يسمى بـ(الشاهد) و يمكن للشاهد الواحد أن يتولى سجل أكثر من فقارة[2].

تتم صيانة الفقارة بصفة دورية مرة كل سنة أو سنتين بحسب الحاجة إلى ذلك، وعلى حسب حالة الفقارة أن كانت جيدة أو قديمة.وتتم وفق خطوات دقيقة لخطورتها و عمق آبارها و تتركز أعمال الصيانة على ما يلي:

- إخراج الأتربة من الفقارة و القيام بتنظيفها.
- التخلص من الرواسب الكلسية لأن المياه تحتوي على أملاح كلسية تتراكم على جدران آبارها الداخلية بمدار الأيام.
- إصلاح الانهيارات بالنسبة للتربة بصورة استعجالية لأنها توقف مجرى الفقارة.

ويشرف على الصيانة مجموعة من العمال كلٌّ له مهمة محددة يقوم بها وهم:

[1] – زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 140.

[2] – قدي عبد المجيد: المرجع السابق، ص57.

–الوَقّاف: وهو بمثابة مسير الأشغال عند القيام بأعمال الصيانة والترميم، وقد استمد تسميته من وقوفِه المستمر على العمال أثناء عملهم بالفقارة[1].

–الخبير: وهو الذي يعين أماكن عَطب الفقارة.

–الكَرّار: وهو الذي يوجه العمال أثناء عملية الصيانة العادية مثل نزع الأتربة، وتنقية المجاري.

–النَزَّال: وهو من ينزل للفقارة و يقوم بملء التراب و الحجارة الموجودة في المجاري بواسطة القِفاف.

–الجَبَّاد: وهو الذي يجذب القِفاف التي ملئت من قبل النزّال.

–القَطّاع: الذي يحفر الآبار، ويقطع الحجارة الصلبة أثناء عملية الحفر[2].

–الكَيّال: تحتاج الفقارة إلى إعادة الكيل باستمرار خاصة مع بداية موسم الحرث، فيقوم بعملية توزيع و تقسيم الماء بمساعد أرباب الفقارة[3].

وفي العادة تتم أعمال صيانة الفقارة في فصل الصيف قبل بدأ موسم الحرث، و تتم صيانة الفقارة بواسطة مجموعة من الوسائل مثل الحبال، وكانت قديما تصنع من ألياف النخل و الجرّارة (البَكرة) والمجرفة، والفؤوس، والقفاف، والمعاول، ويُعتمد في إنارة النفاذات على الشموع والكانكي [4].

ب – الزراعة في توات:

1 –**زراعة النخيل:** إن قيام الزراعة في المناطق الصحراوية لم يكن بالأمر السهل، فقسوة الطبيعة مع فقر وملوحة التربة وندرة المياه،كلها عوامل لا تساعد على قيام زراعة نشيطة، ورغم ذلك فان سكان الإقليم التواتي تمكنوا من تذليل الكثير من الصعوبات، واوجدوا وسط بيئتهم الصحراوية حياة زراعية ناجحة [5]،

[1] – عبد المجيد قدى: المرجع السابق، ص 59.

[2] – زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 156.

[3] – مبروك مقدم: المرجع السابق، ج1، ص 142.

[4] – مبروك مقدم: علاقة الأبجدية التيفيناغية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارات ، دار هومة، الجزائر، ج4، 2008م ،ص ص 30–31.

[5] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 54.

ومن ابرز هذه الزراعة غراسة النخيل؛ التي تتم بأخذ الفسيلة ووضعها في الماء، ثم يبدأ الفلاح بغرسها في أحواض من اجل السقي ، فتنموا الفسائل بطريقة طبيعية، وتمتد جذورها في أحواض لتتغذى وتصبح أكثر قوة في مقاومة الظروف الطبيعية القاسية، وبعد مرور سنتين أو ثلاث على غرس الفسيلة تبدأ في الإنتاج، فتُلَقح النخيل وتتم هذه العملية في شهر فبراير، ثم في شهر جوان بقطع بعض العراجين من النخلة لتخفيف حمولتها من جهة ولتغذية الغنم من جهة أخرى[1].

يبدأ المحصول الأول في الظهور ابتداء من شهر جويلية و يبدأ جنيه في بداية شهر سبتمبر، و بحلول فصل الشتاء تنظف النخيل، وهذا بقطع العراجين المتبقية إضافة إلى الجريد الذي يَبَس والكَرْناف الذي يستعمل كوقود لطهي الطعام أما الجريد فيستعمل كحواجز طبيعية لوقف زحف الرمال [2]. تُقَلّم النخلة و ذلك بقطع الكرناف والجريد الجاف بآلة حادة كالفأس على ارتفاع 10 أو 12 سم من قاعدة (الكَرنافة)، وتقطع الجريدة من منطقة بروز الأشواك وتترك قاعدتها وهي المسمّات بالكرنافة.

و هذه العملية تسهل على الفلاح جني التمور ومنع انتشار الأمراض، ويمكن الاستفادة من بقايا النخلة في بعض الصناعات التقليدية، وتحرق الأجزاء التي لا فائدة منها و ينشر رمادها على تربة البستان لتكون مواد عضوية [3].

يتغير اسم النخلة على حسب سنها، فعندما يُفصل الفسيل من النخلة يسمى بالغرسة وتحتفظ النخلة بهذا الاسم من أربعة إلى خمس سنوات و بعد خمس سنوات تسمى بالعارضة عند إنتاجها الأول للتمر وإنتاج التمر يرتبط بمدى عرضها، حيث يزداد الإنتاج شيئا فشيئا كلما ازداد نموها. و إذا كان مستوى طول النخلة مساويا لقامة الإنسان تسمى (بباكورة) و عندها يكون إنتاجها في مرحلة متقدمة أي يعطي غلة كاملة.ودورة حياة النخلة تكون في المتوسط بين 30 إلى 40 عاما حسب العناية التي

[1] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1،ص 103.

[2]– Martin, Les Oasis Sahariennes,Op.cit, P 29.

[3] – محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ج1،ص 105.

تقدم لها، وتتميز النخلة الكبيرة بانكماش جزعها ويبس جريدها ونقص إنتاجها إلى نصف ما كانت عليه و تسمى بالنخلة الكبيرة[1].

تُصنف التمور حسب نوعيتها إلى ثلاثة أصناف؛ الصنف الأول و هو الجيد يوجه مباشرة إلى عِلية القوم وأغنياء الواحات وهو يقدم عادة للضيوف ، وهو تينكور (تينقور) تينهور، أحرطان، تلمسو، المعروف (بالحميرة) لونها أحمر، تيندكل، تقربوش، المسعودية، و تتميز معظمها بالحلاوة و هي تصدر نحو الخارج[2]. والصنف الثاني و هو الموجه للاستهلاك المحلي و التصدير أيضا و هو: تلمسو، و الحميرة، من النوعية المتوسطة، تيناصر، تقازة، تنمليحة، تزرزاي، ، الدقلة السوداء، الورقلية، لفقير علي، شداخ[3]. وهذه الأصناف المذكورة في الصنف الأول و الثاني هي الأهم في الواحات و التي تتميز قيمتها عن باقي الأصناف، إلى جانب ذلك توجد أنواع أخرى و هي: هكش، عصيان، أدهم، العش، أغراس، ادهم الحاج، أقاز، أغم، أغمو، أغلول، إقنِّقَن، أقل، أحلمود، عيسى بن موسى، أقس، أزروف، باجاوي، بامخلوف، باملیلك، بايمون، بيغل، بنزيم، بلال، بن عيسى، بن ترفي، بن خليان، بن خلف، بن طالب، بنت دوبة، بسكوف، بوعريف، بوجلطة، بوحجيم، بوكزيم، بوكري، بن ودال، الشيخ محمد، الشرفة، دقلة مكد، دقلة نور، الدقلة الصفراء، الدقلة السوداء، دقلة مولاي ادريس، دقلة دجبة، دقلة الجدير، دهير، دقلة محمد، فقوس، فكاري، فلان فزان، قار حمدها، حمد، حمو، الهامل، حمو ناجم، أنقال، أنقلو، ايتيمة، حجول،كونتي، منشار، منتيات، نيوني، عباد، ورقلية، أوجيل، أولادم، اولكار، أم الجلود، أم الطيب، أوزميت، وزان، سمط، سانتي، أصبع السلطان، تعبوت، تيلمهدية، تجار، تدمامت، تفلحان نقار، تخزي، تمدري، تملالت، تانوت، تسركمنت، تسركمت، تصلاح، توربوت، تزيزوات، تازورور، تاقرناف، تيلفيت، تينافت، نيناقشت، تنلغلام، تنغرات، تنبتام، تنبدو، تنبوزيز،

[1] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1،ص 107 .

[2]– Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 298.

[3] – Martin: Op.cit, P 298.

تنبوزيد، تيندقل، تيندكان، تينكسرى، تينركوك، تينكصر، تينميدول، تنمليون، تنمحمد، تنورقلي، تنوجل، زوفانا[1].

أما الصنف الثالث فهو الصنف الرديء يعرف بالحشف، ويسمى أيضا التمور الجافة قبل نضجها وهو موجه لتغذية الأنعام[2].

تعتبر دراسة مارتان (Martin)[3] الميدانية مصدرا هاما في تحديد نسبة إنتاج النخيل حسب نوعية التمور وعدد أشجار النخيل، إضافة إلى دراسة فوانو (Voinot) [4]التي خص بها منطقة تديكلت، و دراسة بيسون (Bisson) [5]التي تطرقت لمنطقة قورارة، و دراسة سباتيي (Sabatier) [6]التي اهتمت بالمجال الاقتصادي لإقليم توات إلى جانب بيسيال (Bissiel) [7]؛ حيث ذكر أنه في سنة 1891م كان عدد نخيل مقاطعة توات 3000000 نخلة وعدد نخيل مقاطعة تيجورارين2500000. كما تطرق وبوي [8](Boyé) سنة 1898 الى إحصاء نخيل تديكلت وقال أنها وصلت إلى 1500000 نخلة. و بالرغم من اشتهار منطقة توات بأنواع جيدة من التمر إلا أن

---

1 - Ibid, pp 299- 300.

2 - Ibid, p 300.

3 - Ibid , pp 301- 305.

4 - Voinot: Op.cit, p 25.

5 - Bisson: Op.cit, Pp 127- 128.

6 - Sabatier(Camille): Touat- Sahara et soudan, étude géographique, politique et militaire, société d'éditions scientifiques, paris, pp115- 116.

7 - Bissuel (H) : Le Sahara Français, conférence sur la question Sahariennes, Ed Adolphe Jourdan Librairie, Alger, 1891, pp 14- 31.

8- Boyé(Capitaine): La question Saharienne, oasis de Feguig du gourara, du Touat, Du tidikelt, les touareg, librairie de monde militaire, paris, mars 1897 , pp 31-41.

الرحالة ابن بطوطة وصف تمر (بودا) إحدى مناطق توات بأنه كثير لكنه ليس بطيب [1]، بينما يرى العياشي في القرن 11هـ/ 17م عندما زار تسرابيت أن التمر بها رخيص و توجد منه أنواع كثيرة[2].

نالت زراعة النخيل في الواحات التواتية حصة الأسد، فهي أساس التجارة ومعاش أهلها لكنها لم تكن الوحيدة؛ لأن الأهالي لم يهملوا المنتجات الزراعية الأخرى، ورغم قسوة الطبيعة إلا أنهم دأبوا على زراعة المساحات القليلة المتواجدة بين أشجار النخيل بمنتجات زراعية مختلفة، في ظل نقص الآلات الزراعية التي كانت بدائية تمثلت في الفؤوس والمعاول، والمجرفة، والقادوم، والمنجل[3].

أصيبت واحات النخيل بإقليم توات بأمراض كثيرة؛ مثل مرض البيّوض الذي أصاب منطقة فاتيس بإقليم تيجورارين، ثم تسرب هذا المرض عبر القوافل التجارية إلى سائر إقليم توات، وهذا نتيجة لقرب الواحات ببعضها، وعدم اتخاذ وسائل وقائية تحد من انتشار هذا المرض [4]. ولمرض البيّوض أعراض تظهر على سعف النخيل، فتأخذ السعفةُ المصابة اللون الرمادي ثم تيبس، بعدها تبدأ الأعراض تباعاً،في الظهور على السعف المجاور ثم تموت النخلة عندما يكتسحها المرض و تموت بعد سنتين من إصابتها إذا لم تعالج[5].

2 -زراعة الحبوب والخضر والفواكه :

تتمثل زراعة الحبوب بتوات في زراعة القمح والشعير، وهي من المواد المعاشية الأساسية غير أنها لا تكفي حاجيات السكان، بالرغم من جودتها العالية التي نافست جودة القمح الصلب في المناطق الشمالية[6]. يزرع القمح والشعير في كل المناطق الخالية، بين أشجار النخيل في مساحة تعرف بالقَمُّون [1]

---

[1] – ابن بطوطة: المصدر السابق،ج2، ص713.

[2] – أبو سالم العياشي: المصدر السابق،ج1، ص107.

[3] – Boyé :Op.cit,p38.

[4] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ج1، ص 113.

[5] – المرجع نفسه، ص 114.

[6] – Flyes (sainte marie): le commerce et l'agriculture au Touat, bulletin de société de la société de géographie d'Oran, TXXIV, 1904 p 335.

تزرع الحبوب في فصل الشتاء، وقد بلغ إنتاجها في سنة 1322هـ/ 1904م نسبة 1700 قنطار بمنطقة توات أما بقورارة فبلغ إنتاجها 21000 قنطار، و في تديكلت 8000 قنطار و يشير مارتان (Martin) إلى أن إنتاج الحبوب في توات بالنسبة للقمح والشعير بلغ 48000 قنطار[2]. و ذكر فوانو (Voinot) أن المساحة المزروعة ففي تديكلت قدرت بـ 100000 قنطار[3]. والمناطق التي يتركز بها إنتاج القمح والشعير هي منطقة تيجورارين، بالإضافة إلى تسابيت، وتوات الوسطى و آولف وعين صالح، إضافة إلى منطقة بودا[4].

ومن المحاصيل الصيفية الدخن، وهو نوع من الذرة ويسمى محليا بالتافسوت، فيزرع في شهر أفريل أو ماي، ويحصد في شهر أكتوبر، ويقدم كعلف للحيوانات حيث بلغ إنتاجه حسب مارتن(Martin) 32000 ألف قنطار[5]. كما يوجد نوع آخر من الذرة تزرع في شهر أكتوبر تسمى بالبشْنَة، وتعتبر مع التافسوت من الحبوب التي يكثر عليها الطلب في أسواق إفريقيا الغربية[6].

عرف إقليم توات العديد من الخضر التي تزرع في فصل الشتاء، وتبدأ زراعتها مع حلول فصل الخريف، موجهة للاستهلاك المحلي [7]وهي البصل، اللفت، الطماطم، القرنبيط، الباذنجان، الشمندر، الثوم،

1- I bid. P 335.

2 - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 306.

3 - Voinot: Op.cit, P25.

4 - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 306.

5 - Ibid, P 307.

5 - Bissuel: Op.cit, P 31.

5 - Ibid. P 31.

5 - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit , Op.cit, P 307.

6 - Bissuel: Op.cit, P 31.

7 - I bid. P 31.

الفاصوليا، الفول، البزلاء، الجزر، الفلفل[1]، كذلك زرع التواتيون العدس، و الحمص، و الكرنْب، والقرع[2]. إلى جانب الخضر عرفت توات زراعة بعض الفواكه كالعنب، والرمان، والبطيخ، والفول السوداني، اللوز، والتين، و تزرع هذه الفواكه إلى جانب الخضر[3] ،ولم اطلع على إحصائيات تدل على كمية إنتاجها.

3 – الزراعة التجارية:

– الحناء:

تعرف بتسمية (Lawsonia Inermis)، وهي شجيرة صغيرة ترتفع عن الأرض أثناء نموها بحوالي 40 أو 50 سم، تزرع على حواف سواقي وقنوات المياه، لون جذعها أبيض وأوراقها خضراء[4]، تُنتج في منطقة توات السفلى في منطقة تدعى بوادي الحناء بمنطقة أنزجمير وسالي. تستعمل الحناء بعد سحق أوراقها وإضافة الماء لها، لتصبح في شكل عجينة تستخدم للتطبيب كدواء للجروح، وتستخدم للزينة والتلوين وصباغة الشعر [5]، وتباع الحناء في أسواق تيجورارين، ويطلبها التجار للتصدير نحو إفريقيا جنوب الصحراء[6]، وانتشر إنتاجها في جميع إقليم توات نتيجة الطلب المتزايد عليها[7].

–التبغ:

يزرع التبغ أو(الشمّة)في عدة مناطق في توات، ويبقى سوقها المركزي ومكان زراعتها بزاوية كنته، تزرع هذه المادة مرة في السنة، ثم تعاد زراعتها في عين المكان، وتترك المسافة بين شجرة وأخرى تقدر بحوالي 40

---

[1] - Decolomb (L):Notice sur les oasis du Sahara et les routes qui y conduisent, extrait de la revue Algérienne et colonial, imprimerie de CH, Lahure et Cie,1860, p 24.
Bissuel: Op.cit, P 31.

[2] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، 58.

[3]- Voinot: Op.cit,26.

[4] - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, pp 308- 309.

[5] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ج 1، ص 119. ينظر دائرة المعارف تر. ابراهيم خورشيد و آخرون، ج8، ص 119.

[6] – زاجية هرباش : المرجع السابق، ص 213.

[7]- Devors (P): le Touat étude géographique et médical, archives du l'institut pasteur, TXXV N^0 3,4 , Alger, 1947, P 233.

و 50 سم بشكل دائري حتى يتسنى لها المحافظة على مياه السقي في جذورها. يتم حصد التبغ (الشمّة) في شهر جوان عندما يصل طول الشجرة 40 سم، و بعد حصدها توضع في شكل حزم تزن الواحدة 800 غرام لتباع في الأسواق، ويتم استهلاكها بعد تخميرها وتجفيفها وسحقها [1]. ويستخدم التبغ من قبل التواتيين للاستهلاك المحلي [2]، ويصدر منه إلى الأسواق الخارجية إلى الشمال وإلى إفريقيا جنوب الصحراء[3].

–القطن:

يزرع على حواف السواقي، ويصل طول شجرة القطن إلى حوالي المترين، لايعطيه سكان توات أهمية كبيرة، وهم يتركونه مهملا مثل النباتات البرية، ولهذا إنتاجه لم يعط أي أهمية في الصناعة النسيجية[4].

ج – الرعي و تربية الحيوانات:

إن قلة سقوط الأمطار بإقليم توات؛ نتج عنه عدم توفر المراعي بكثرة، غير أن بعض المراعي توجد حيث تطفوا بعض المياه الجوفية، أوفي مجاري الوديان بعد جفافها، ففي هذه الأماكن تنمو بعض الحشائش و الشجيرات البرية [5] كالطلح و الدرس، وأم ركبة، والرشم، السدرة، الضمرة، البلبال، الفرسيق، الشيح، الشندقور، الجعرة، الديس، الحارة، الحاد، الكرنكة، العقاية، الأثل (الأتل)، الدّفلة، السنا، الكرطوفة، الحريشة، العرعار، حب الرشاد، القصف، الحبايلة.وتغطي هذه الأعشاب و الشجيرات سطح هذه بعض المناطق في توات؛ فتكون صالحة لرعي الحيوانات ومن المناطق التواتية التي اشتهرت بالرعي منطقة تديكلت

---

1 - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 309.

2- Devors :Op.cit, P 233.

3 - زاجية هرباش : المرجع السابق، ص 214

4- Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 309.

5 - محمد باي بالعالم: الرحلة العلية، ، المرجع السابق، ج1،ص ص 271- 272. ينظر: تومي سعيدان: المرجع السابق، ص ص 148- 149.

حيث بها مراعي يطلق عليها الأهالي اسم (الغابة) ، وكانت قبائل أولاد زنّان بآولف، وأولاد المختار بعين صالح ترعى فيها الجمال[1].

تعتبر تربية الجمال بإقليم توات ذات أهمية كبيرة في المجال الاقتصادي للانتفاع بألبانها، وأوبارها وجلودها، ولحومها، وأيضا تستخدم كوسيلة نقل تستخدم في المسافات البعيدة بفضل قدرتها على التحمل[2]، فهي أساس تجارة القوافل ، وهي المورد الهام للواحات اقتصاديا منذ ظهورها، والذي ترجحه المصادر التاريخية هو أن الجمل دخل إلى الصحراء الكبرى الإفريقية في منتصف القرن السابع قبل الميلاد إثر غزو الهكسوس لوادي النيل وبعد عدة قرون انتقل إلى منطقة المغرب، وساهم في زيادة العمران في المناطق الصحراوية[3]؛ ومن هذا يتضح أن الجمل دخيل على الصحراء الكبرى الإفريقية وليس ملازما لها كما يعتقد البعض[4]. ويبدو أن هذا الحيوان بقدرته على التحمل والتأقلم مع أوضاع الصحراء قد أحدث تحولات هامة في هذه المنطقة، ويرجع له الفضل في فك العزلة عنها ، وفتح إمكانية الانتقال منها وإليها ، وربط أطرافها المترامية و انفتاحها على بقية العالم ، ولهذا كان الجمل بحق أداة وصل تجاري وحضاري لأطراف الصحراء الكبرى الإفريقية[5].

انتشرت في قصور توات تربية أعداد قليلة من الأغنام والماعز، وهي من النوع الذي يعرف في المنطقة باسم (الدمَّان) وهي بأعداد قليلة يتغذى بالحشف (التمور الجافة) وبالفصفصة (الفصّة) وغيرها من الحشائش التي تنمو بالمنطقة مثل البَشْنة و الذرة (التافسوت)[6]. وأشار الحسن الوزان إلى أغنام

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 58.

[2] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن12هـ، المرجع السابق، ص 94.

[3] – اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983م، ص 34.

[4] – المرجع نفسه، ص 33.

[5] – أحمد مولود ولد أيده: الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر،ج1 ،2009 م،ص37.

[6] –Voinot: Op.cit, pp 22-23.

قورارة بقوله في وصف قورارة: "... فليس في تيكورارين سوى بعض الماعز الذي يربى من أجل اللبن..."[1].

أما أغنام الطوارق المعروفة (بسيداون)– نسبة إلى السودان– هي موجهة إلى الذبح، وعلى الرغم من قلة أعداد الأغنام مع رداءة صوفها فإن التواتيين استغلوا أصوافها في غزل الصوف، أما ألبانها فقد استُخدمت في صناعة الزبدة والجبن واللبن المخثّر، و تُستغل جلودها بعد دبغها في الصناعات الجلدية مثل القِرَب لحمل الماء والسروج[2].

تتوفر واحات توات على عدد قليل من الأحصنة التي لا تتعدى 40 رأسا في منطقة تيمي و 136 في توات و 36 في بودة [3]، إلى جانب الخيول تُربّى الحمير التي تستخدم في الأعمال اليومية داخل البساتين وفي القصور، أما الخيول فكانت عند العائلات الميسورة الحال فقط [4].

قدَّمت دراسة فوانو(Voinot) حول تديكلت أعداد بعض رؤوس الحيوانات أُبينها في الجدول التالي[5]:

النوع	الأعداد (الرأس)
الإبل	600
الأحصنة	16
البغال	20
الحمير	700
الأغنام و الماعز	3500

[1] – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 134.

[2] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 59.

[3] – زاجية هرباش: المرجع السابق،ص 218.

[4] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان خلال القرن12هـ، المرجع السابق، ص 94.

[5]– Voinot: Op.cit, P27 .

أما تربية الدواجن فكانت منتشرة خاصة الدجاج، للاستفادة من بيضها و كان نوع الدجاج الذي يربى في توات من الحجم الصغير[1].

كان المحصول الزراعي في الإقليم يتعرض في الكثير من الأحيان للكوارث و الآفات الطبيعية كالجراد مثل ما وقع سنة 1099هـ/ 1687م و بقي خمس سنوات، و كذلك في سنة 1126هـ/ 1713م، وبقي سنتين، و في سنة 1750هـ/ 1163م بقي سبع سنوات، و من كثرته كان الناس يطاردونه ويختزِنونَه كالتمر ثم يأكلونه[2].

ولم يكن الجراد وحده الذي يهدد المحاصيل الزراعية بل كانت أيضا عرضة للرياح القوية مثل ما وقع سنة 1189هـ/ 1785م. وتنتج هذه الكوارث مواسم جدب و قحط تشح فيها الأتوات، وترتفع الإثمان، وتذكر بعض الروايات أنه سنة 1070هـ/1669م ضربت الإقليم مجاعة كبيرة بسبب الجراد بيع الرطل الواحد من التمر بمثقال ونصف ذهب[3].

–المبحث الثاني: الحرف و الصناعات التقليدية بتوات:

أ– صناعة السعف و الليف و الخشب:

تُعَد النخلة المادة الأولية لكثير من الصناعات، والحرف التقليدية، حيث لا تكاد تخلو حرفة أو صناعة في توات إلا وتعتمد عليها بطريقة أو بأخرى، و من بين الحرف التقليدية المتركزة على النخلة في توات نجد:

1– صناعة السعف: يصنع من سعف النخيل عدة منتجات منزلية تستعمل في الحياة اليومية للمجتمع التواتي، مثل التّدارة وهي إناء يوضع فيه التمر المُـكسّر[4]، و تصنع الأطباق بمختلف أحجامها، والقِفاف،

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 95.

[2] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان خلال القرن12هـ، ص 94.

[3] – المرجع نفسه، ص 95.

[4] – محمد باي بالعالم: الرحلة العلية، المرجع السابق، ج2، ص 34.

والمِظَل للوقاية من الشمس، والكسكاس لطهي الكسكس، والحصائر، والسجادات، الطبيقة [1]، وكذلك المروحية اليدوية، و باب الجريد، والعكاز، وعصى الكركور، ونعل السعف، و المكَب الذي يستعمل كغطاء للأواني و آفراق كحاجر لمنع زحف الرمال[2].

2–صناعة الليف: يستعمل الليف أو (لَفْدَام) كمادة أساسية في عديد من الحرف والصناعات التقليدية للاستعمالات اليومية[3] منها: الحبال لحَزم الأمتعة، ولجلب الماء من الفقّاراة، وتستعمل الحبال المصنوعة من ليف النخيل أيضا في النزول إلى الفقارة وصيانتها، وكذلك في صعود النخلة، وصناعة الشبّاك لنقل التمور والعديلة لتخزين التبغ أو (الشمّة)[4] ، و(البَرْدعَة) التي هي عبارة عن كيس يوضع كحلس فوق الدواب [5]، وتصنع من الليف كذلك الغرائر والفخاخ لصيد الطيور. كما تصنع من هـلحوية وسرج الحمار(الدْبَشْ) و خطام الجمل والحمار والعقال، والمكانس وحَواف القفاف، ونعل لَفْدَام[6]

3– صناعة الخشب: استغل التواتيون بعض الأشجار التي تنبت في مجاري الوديان مثل شجرة الطلح [7]، وأقّار، وأَكرنكة، واليقطين (القَرع) في صناعة بعض المنتجات الخشبية التي تستعمل في الحياة اليومية ومنها:

–القَصْعة: تستخدم لتقديم الطعام في المناسبات[8].

–التَّغَرِبِيَّة: تستخدم في شرب الحليب.

–الملاعق: تصنع من خشب الطلح لأكل الطعام، وتسمى بالمرغاية[9].

---

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 61، ينظر: قدى عبد المجيد: المرجع السابق، ص ص 67– 57.

[2] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 68.

[3] – محمد باي بالعالم: الرحلة العلية، المرجع السابق، ج2، ص 345.

[4] – عبد المجيد قدى: المرجع السابق، ص 67.

[5] – المرجع نفسه، ص 67.

[6] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 67.

[7] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 61.

[8] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص142.

[9] – محمد باي بالعالم: الرحلة العلية، المرجع السابق، ج2، ص 342.

–امدقَّة السفوف: تصنع من شجر الطَّـلْح، وتستخدم لتهريس التمر.

–المهراس: يستعمل لصناعة السَّفُوف، وهو تكسير التمر الجاف إلى قطع صغيرة ودقيقة ليسهل تناولها.

–آفكر: يصنع من شجر أقّار يستعمل كقفل لغلق المنازل[1].

ب– الصناعة الطينية والحجرية والجلود:

1–الصناعة الطينية: لقد ساعد توفر مادة الطين الأحمر في إقليم توات، على انتشار هذه الصناعة في الإقليم ويتم تحضير الطين بعد استخراجها من الأرض، ويتم وضعها في الماء ثلاثة أيام مما يحولها إلى عجينة، تضاف له مادة (الدفُّون) أو (التَفُّون) وهو عبارة عن قطع صغيرة من الطين المحروق بعد سحقه جيدا و يخلط مع الطين حتى يصبح عجينة قابلة للتشكيل، وتشكل الطين المحضرة إلى أشكال مختلفة عبارة عن أواني وأقداح، وجرار، و قِلال ، فتغطى هذه الأشكال لتجف في مدة تتراوح ما بين ثلاثة أسابيع إلى الشهرين تحت الظل لتجف بتأني[2].

تتم عملية الحرق بحفر حفرة محاطة بأغصان قابلة للاشتعال، وتوضع الأواني قطعة بعد قطعة وتغطى بالحطب، و بعد الحرق يتم إخراجها إلى مرحلة التزيين؛ وذلك بزخرفتها برسومات مختلفة تكون على شكل خطوط أو دوائر[3].وتستعمل هذه الأواني الطينية في مختلف مناحي الحياة، ومن بينها:

–الجرار والقِلال المستعملة لحمل الماء.

–القدور لطهي الطعام.

---

[1] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق ج1، ص 136. ينظر: قدي عبد المجيد: المرجع السابق، ص 67. ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم 13، ص166.

[2]– Rio (Capitaine): L' artisanat a Tamantit, travaux de l'institut de recherche saharienne, TXX, université d'Alger, 1961 , pp 137- 144.

[3]– Voinot, Op.cit, P 143.

–الصحون مثل القسري؛ وهو صحن كبير لفتل الكسكس و صنعه.

–القدح لشرب الماء.

–المبخرة للبخور.

– قسرية الأكل، الغَلُّوس، الكسكسو [1].

في منطقة تمنطيط يتم صبغ تلك الأواني باللون الأسود، الذي تتميز به المنطقة في صناعة الفخار [2]، ويصنع الرجل التواتي غليون من الطين، وهو نوع من الخزف الرجالي يعرف(بالسبسي) لتدخين التبغ يصل أنبوبه مابين 20 أو 25 سم[3].

2–الصناعة الحجرية: من بين الصناعات المعتمدة على الحجارة في توات نجد:

–الرحى: تصنع من حجرتين علوية وسفلية على شكل دائري، العلوية منها يوجد بها ثقب يوضع فيه مقبض الرحى و هو المعروف بـ(الشضَّاضْ)، أما السفلية منها فهي قاعدة بها حفرة صغيرة يثبت فيها الشضاض الصغير الذي تدور عليه الرحى العلوية، يصنع المقبض أو(الشضاض) من شجرة آقَّار [4].

–القداي: يصنع من الحجر، وهو كذلك يتكون من حجرتين علوية و سفلية مثل الرحى الصغيرة يستعمل لطحن الكحل و العطور[5].

– القسرية: (أقَسْري) وهو حجارة عريضة تشبه المشط به ممرات تسمح بخروج المياه[1].

---

[1] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص ص 89– 90.

[2] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد ، المرجع السابق، ج1، ص ص 136–137.

[3]– Devors: Op.cit, P 233.

[4] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص134. ينظر: محمد باي بالعالم: الرحلة العلية، المرجع السابق، ج2، ص 341. . ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم 12، ص166.

[5] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص134.

– الصَّفْيَة: تصنع من حجرة عريضة تستعمل لصنع الوجبات المحلية مثل الخبز الرقيق أو الثريد[2].

– تاشفر: تصنع من حجرة عريضة وحجرة أخرى أصغر، تستعمل لطحن القمح والشعير عند عدم توفر الرّحى[3].

–آنْفِيفْ: تصنع من حجرة عريضة تفتح في وسطها، تستعمل في المكان الذي يخرج منه الماء من الماجن، حتى لا تتآكل حواف الحوض، وتغلق بِكُرَة من الكتان تسمى كورة الماجن[4].

–المِعْرَض: وهي حجرة طويلة يحفر بها الآبار والقبور[5].

–حجرة العَلف: وتتكون من حجرتين، العلوية صغيرة كروية يدق بها فوق الحجرة السفلية؛ التي تكون محفورة قليلا في وسطها، وتوضع لها مَلَمَّة من ليف النخل (لَفْلدام) محاطة بها تمنع سقوط العلف المكسر، وبعد تكسير العلف والحشف وغيره من المواد التي تحتاج إلى سحق، تقدم كعلف للحيوانات[6].

3–صناعة الجلود: اعتمد التواتيون على جلود الأغنام المستوردة من السودان في تغطية نقص الجلد في توات، نتيجة قلة الثروة الحيوانية، فوفرت هذه الجلود مع جلود الذبائح المحلية مادة أولية لمزاولة نشاط صناعة الجلود، والمتخصصين في هذه الحرفة المحلية يطلق عليهم اسم (خَرَّاز) [7]. يمارسون هذه الحرفة بعد إتمام

---

[1]-(----------): Oasis sahariennes, Recueil de mémoires et de textes Orientale, Fontana, Alger, 1905, p 337.

[2] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص135.

[3] – المرجع نفسه، ص135.

[4] – المرجع نفسه، ص135.ينظر: محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ج2، ص 346.

[5] – المرجع نفسه، ص136.

[6] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص137.

[7] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص 136.

عملهم في البساتين كخمّاسة، يستعمل الخرّاز آلات بسيطة ومواد محلية لدبغ الجلود [1].وتدبغ الجلود بواسطة الملح الممزوج بورق السلّاخ؛ وهي نبتة تنموا بزاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل، ويحضر الجلد بإبقائه في الماء لمدة ثلاثة أيام وبعدها ينزع منه الصوف ، ثم يوضع فوق مادة الدّبغ من شجرة التلاية أو من قشور الرمان لمدة ثمانية أيام[2]، وبعد إخراجها تُجفف لتكون جاهزة لتصنيع المنتجات المختلفة منها:

– القِرْبَة: تصنع من جلد الماعز لحمل الماء، وهي ضرورية لحمل الماء في السفر و تستعمل لتبريد الماء، كما يحتفظ جلد القربة بشعره و تدبغ من دون أن تسلخ[3].

– الشكوة: مثل القربة لكنها تصنع من جلد منزوع الوبر ومدبوغ بمادة تيزليت، وتستعمل لتخزين الحليب أو اللبن، و كذلك يُمجّ فيها الحليب من اجل استخراج الدهن أو الزبدة[4].

– الواغة: تصنع من أغصان أقّار وتلصق بالجلد، وتستعمل كتابوت لحمل الأثاث الذي تسلمه الأم لبنتها عند زواجها[5].

– النعال و الأحذية: و قد اشتهر بهذه الحرفة منطقة آولف بتديكلت يصنع النعل من الجلد و يسمى نعل آولف كما يصنع الحذاء و يطلق عليه اسم الريحية[6].

– الحزام: من الجلد ويستعمل في العمل لشد الظهر ولشد الثياب[1].

---

[1]- Selka Abderrahmane: Notes sur le Touat, Bulletin de la société de géographie et de l'Afrique de nord,3 eme trimestre, 1922, p 549.
Voinot: Op.cit, P 141.

[2]- Rio: Op.cit, P 157.
Voinot: Op.cit, P 140.

[3] – التومي سعيدان:المرجع السابق، ص 136. ينظر: Decolomb : Op.cit,p41.

[4] – التومي سعيدان:المرجع السابق، ص 136.

[5] –المرجع نفسه، ص 135.

[6] – المرجع نفسه، ص 136.ينظر: Rio: Op.cit, P15. selka: Op.cit,p 549

– المزوَد: يصنع من الجلد لتخزين الدقيق أثناء السفر.

– الضَّبْيَة: وتستعمل لحفظ السّفوف (التمر المكسر)

– الفَرْوَة: وتنقسم إلى قسمين: الأولى منزوعة الشعر تستعمل كفراش للرحى عند عملية الطحين، والثانية تدبغ بشعرها وتستعمل كفراش للجلوس[2].

– الجْبَيْرَة: يضع فيها الرجال النقود، وهناك نوع آخر كبير يعلق فوق الجمل وتوضع فيه الثياب[3].

– السرج: يصنع من الحطب ويغلف بالجلد، ويدعى بالمَجْبود، يستعمل لركوب الخيل وكذلك الرَّاحلة التي تستعمل لركوب الجمل تصنع من الحطب وتغلف بالجلد و تسمى: (تمزك) أو (أحميدي) على حسب نوعها[4].

– غمد السيوف و السكاكين: يغلف الغمد بالجلد ويرسم، فيكون حافظا للسكين أو السيف[5].

– مكحلة الكحل: وهي علبة اسطوانية تصنع من ساق القصب، وتغلف بالجلد، يوضع فيها الكحل للتخزين والاستعمال.

– الدلَوْ: يستعمل لجلب الماء من البئر[6].

– كيس التبغ: مثل الحافظة، ويصنع من جلد الجمل[7].

---

[1] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 136.

[2] – المرجع نفسه، ص 137.

[3]- Decolomb:Op.cit, p 41. selka: Op.cit, p 549.

[4] – التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 137.

[5] –المرجع نفسه، ص 137.

[6]– المرجع نفسه، ص 138.

[7]- Voinot: Op.cit, P 141.

ج– صناعة النسيج والحلي والحديد:

1 –**الصناعة النسيجية:** ساهمت المرأة التواتية وبقوة في تنشيط الحياة الاقتصادية في إقليم توات، وذلك بفضل عملها الدّؤوب والحرفية العالية التي تفننت وأتقنت الكثير من الحرف، والصناعات أبرزها غزل ونسج الصوف والقطن، وهي حرفة أساسية تتمثل في نسج الأبسطة والأغطية والملابس كالبرانس، والكِسي والجلالب، تختلف من حيث الألوان وطريقة النسج من منطقة إلى أخرى بالإقليم[1]. و نميز منها ثلاثة أصناف وهي:

–دُكّالي تينركوك: نسبة إلى المنطقة، وهي إحدى قصور قورارة وهو المعروف (بفاتيس)، ينسج في قصور فاتيس، تبلكوزة، عين حمو، تاهنطاس، وزاوية الدبّاغ ينسج هذا النوع من الصوف ويزخرف على شكل أروقة بيضاء و حمراء، وتزخرف البيضاء في وسطها بألوان مختلفة، تسمى بالديار أو (الزيقة) [2].

–دُكّالي تيجورارين: ينسج في قصور سيدي الحاج بلقاسم، بني مهلال، الواجدة، يتميز بزخرفة غاية في الدقة والتناسق ممتزجة الألوان بها رسومات على شكل مثلثات، ويغلب عليها اللون الأحمر والأبيض[3].

---

[1]– Déporter (Victor): la question du Touat au Sahara Algérien, Gourara, Touat, Tidikelt, fontana, Alger 1891,p 291.
Gautier (E.F): Industrie des tentures Dokkali au Gourara et au Touat, ed typographique, Adolphe Jordan, Alger, 1913, p 7.
ينظر: فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 60.

[2]– Déporter: Op.cit, p 291.
Gautier (EF): Industrie des tentures Dokkali, Op.cit, p07.
ينظر: فرج محمود فرج، ص 60.

[3]– Déporter: Op.cit, p 293. Gautier (E.F): Industrie des tentures Dokkali, Op.cit , p11.

–دُكّالي توات: ويصنع في قصور توات الوسطى، ألوانه قاتمة به رسومات قليلة ترسم باللون الأبيض كما ينسج في منطقة تديكلت ما يعرف بـ (الحنبل)، وهو عبارة عن دُكّالي يصنع من خيوط الكتان والصوف[1].

رغم نجاح صناعة الغزل والنسيج عند التواتيين، فإن بعض الصعوبات قد واجهت هذه الصناعة، ويأتي على رأس هذه الصعوبات قلة المواد الخام من الصوف والقطن، ومرجع ذلك هو قلة أعداد الحيوانات التي تُربى بالإقليم زيادة على رداءة صوفها، كما أن التواتيين لم يعطوا أهمية لزراعة القطن، لذلك كان تجار توات يلجؤون إلى شراء الصوف و القطن من القوافل التجارية القادمة من الشمال لسد هذا النقص[2].

2 –صناعة الحلي:

صناعة الحلي من الذهب والفضة كان يمارسها اليهود، الذين كانوا يشترون الذهب الخام من القوافل القادمة من أسواق السودان، وكانت هذه الصناعة توجد بأسواق المدن الكبرى كأسواق تيجورارين وتمنطيط، ويستعملون في صناعة الحلي تقنيات بسيطة يشكلون بها أشكال مميزة فهم يصنعون الأساور و الخواتم، والخلاخل، والتمائم، والأساور من ثلاثة أنواع هي[3]:

–أدَّبْليز لحرش: وهو عبارة عن أنبوب مقوس مزين بخيوط مستطيلة مزخرفة وكريات صغيرة، يصنع بكثرة نتيجة الطلب المتزايد عليه.

–أدَّبْليز لملس: وهو سوار ناعم له خيوط مزخرفة باللون الأسود.

–الخاتم: وهو عبارة عن شكل دائري توضع عليه قطعة مربعة ومزخرفة يوضع في الأصبع[4].

ينظر: فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 60.

[1]– Déporter: Op.cit, p 293. Gautier (EF): Op.cit, p11.

[2] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 60.

[3]– حوتية محمد الصالح: توات والأزواد، المرجع السابق، ج 1، ص ص 137– 138.

[4] – ينظر: ملحق الصور العادية، الصورة رقم11، ص 166.

–الخلخال: من الفضة تستعمله المرأة للزينة في الأرجل.

–المحبس: و هو عبارة عن حلقة عريضة توضع عليها قبة مزخرفة وهو خاتم العروس، ويعتبر من الصناعات القديمة في تمنطيط، و زاوية كنته، أنزجمير[1].

3– الحدادة:

في كل قصر من قصور توات يتواجد صانع أو أكثر، يزاول مهنة الحدادة ويعرف باسم (لَمْعَلّم) ومن أهم الأعمال التي يقوم بها الصيانة المستمرة للآلات اليدوية الزراعية التي يستخدمها فلاحو القصر، مثل المنجل والفأس[2]، والمعول والأقفال والمسامير وغيرها، إضافة إلى أنهم كانوا يصلحون البنادق ويصنعون الرماح والسيوف والسكاكين[3]، وكذلك الأقفاص والمصايد ويزخرفون الخشب بالنحاس ، وقد اشتهرت بهذه الصناعة عَبيد الطوارق، ويعرفون بالمعَلْمين [4]، ويتقاضى الحدّاد على عمله أجرة، وذلك بتحصله على نصيبه من التمور، ومن غلة كل بستان مزروع بالقصر في آخر كل موسم زراعي ، بالإضافة إلى أعماله السابقة، يساهم حداد القصر في ببناء و صيانة سور البلدة كلّما دعت الضرورة إلى ذلك [5].

كان لهاته الحرف محلات و أماكن معروفة و عائلات تشتهر بها، ومن بين تلك القصور تمنطيط، و التي يذكر ابن بابا حيدة صاحب كتاب البسيط في أخبار تمنطيط مع شيء من المبالغة، أنه كان بها ثلاثمائة وستون صائغا و عدد كبير من الحدّادين و النجّارين[6].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 138، ينظر: التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 131.

[2] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 62.

[3] – محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ج2، ص 342. قدى عبد المجيد، المرجع السابق، ص 66.

[4] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص 137.

[5] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 62.

[6] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن12هـ، المرجع السابق، ص 98.

–المبحث الثالث: التجارة الداخلية والخارجية لتوات:

في كلامنا عن التجارة بتوات ارتأينا أن نقسمها إلى قسمين: تجارة خارجية، وداخلية، فالتجارة الخارجية لها أهمية إقليمية مرتبطة مع الأسواق الخارجية ، ومن هنا تبرز توات كموقع استراتيجي، وهي منطقة عبور ولابد للتّجار من المرور بها ، فاعتبرت سوقا هاما لكل القوافل التجارية القادمة إلى توات شمالا وجنوبا.

أ– التجارة الداخلية:

تتم التجارة الداخلية في إقليم توات عبر الأسواق العامة التي ساهمت بدور هام في الحياة الاقتصادية عند التواتيين، فكانت تعد القلب النابض بالنشاط التجاري للبلدة لذلك لم يخل أي قصر تواتي منه، و نظرا لما للسوق من أهمية في تنشيط حركة البيع و الشراء فقد حرص كل صاحب سلعة على عرضها داخل السوق، أما لبيعها أو استبدالها بسلعة أخرى[1].

وصف دوماس (Daumas) أسواق توات، وقال بأنها ثلاثة أبواب رئيسية وهي: باب أولاد ابراهيم، باب تادمايت، و باب تيمقزات، إلى جانب خمسة أبواب أخرى صغيرة مزودة بسبعة أماكن تعرف بالرحبة منها رحبة أولاد ابراهيم، والمستور، ورحبة الجماعة، وهي أماكن يلتقي فيها التجار، خصصت بعض جوانبها لسلع معينة فتجد فيها سوقا للصناعة، وسوقا للسرّاجين، وسوقا للجلابيب، وسوقا لبيع السمن، وسوقا لباعة الجمال والأنعام، و سوق لبيع التبغ، وسوق لبيع العبيد، وهو مهم لاستقبال العبيد المجلوبين من السودان، تعرض السلع في هذه الأسواق سواء كأنة محلية أو مستوردة [2]؛ حيث تقصد القوافل التجارية السوق على الفور، وتضع سلعتها، فينتشر خبر مجيء القافلة إلى البلدة، ويأتي التجار بسلعهم و تدب الحركة فيعلوا الضجيج داخل السوق، وكثيرا ما يستمر السوق منصوبا حتى غروب الشمس، وكذلك الحال بالنسبة لقوافل الحجاج التي تقطع الصحراء في طريقها للحجاز فكانت غالبا ما تتجه إلى أقرب الأسواق

[1] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 64.

[2]– Daumas (Eugene): le grand désert itinéraire d'un caravane du Sahara au pays des Négres , Royaume de Haoussa, Paris,1848, p 67.

التواتية الواقعة على خط سيرها لشراء ما يحتاجون إليه من المواد الغذائية، خاصة التّمور التواتية التي اشتهرت برخصها، فيبيعون أو يستبدلون ما يستغنون عنه من خيل أو إبل [1]. ونذكر من أهم الأسواق المزدهرة عبر إقليم توات ما يلي:

1–أسواق تيجورارين: يحتل شهرة كبيرة خارج توات، فقد كثر ت فيه السلع المعروضة وتنوعت من عبيد وريش النعام، و العاج، و اللحوم المجففة، و الجلود، بالإضافة إلى التمور على اختلاف انواعها، والحناء والطباق، والتبغ (الشمّة التواتية المشهورة)، ومن المصنوعات اليدوية تتواجد به الأبسطة (الدكّالي) والبرانس، والأغطية والقفف والسلال، وكذلك ملح الطعام والفحم النباتي والجير والجبس وغيره [2].و كان هذا السوق تقصده القوافل القادمة من الشمال التي تأتي من المنيعة، وغرداية، ورجلان، متليلي الشعانبة وسعيدة، والمشرية وعين الصفراء، والبيض لمبادلة سلعها من القهوة والسكر و الشمع والصابون بسلع سوق تيجورارين[3].

تطرق الجغرافي الشهير الرحالة الحسن الوزان لسوق تيجورارين عندما زار إقليم توات عام 917هـ/ 1511م، وأثناء حديثه عن تينجورارين في كتابه وصف إفريقيا يصف سكانها بالأغنياء و أنهم يذهبون بسلعهم بكثرة لبلاد السودان ثم يذكر انه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجار من بلاد السودان وتقام هناك أسواق كبيرة، كما تطرق لذكر بعض السلع التي تباع هناك كاللحوم، وقال أن أسعارها مرتفعة وذكر أيضا أن سكان تيجورارين يشترون لحم الجمال والشحم المالح الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان وتحصُل منه على أرباح كثيرة[4].

[1] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 64.
[2] –المرجع نفسه، ص 65.
[3] – المرجع نفسه، ص 65.
[4] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 103.

2–أسواق توات الوسطى:

– سوق تسابيت: يعد هذا السوق من الأسواق التواتية المزدهرة حيث تطرق العياشي في رحلته إلى هذاالإقليم، وبالضبط سنة 1072هـ/ 1661م، حيث قال: أن أهل تسابيت أحد قصور توات أصحاب تجارة، وتقام هناك أسواق كثيرة عند قدوم القوافل التجارية التي توجد بها كثير من السلع مثل: الخيل، الملابس، الحرير،كما أن الحجاج المغاربة يشترون ما يحتاجون إليه من التمر والذهب من توات؛ لأن أثمانها رخيصة مقارنة مع المغرب، و كذلك سعر الصرف، فعدد المثقال فيها أربع و عشرون موزونة، و عندما وصل العياشي إلى أوقروت آخر القصور الشمالية لتوات اشترى جميع ما يحتاج إليه قبل أن يكمل طريقه إلى الحج[1].

إن ما أشار إليه الرحالة من كثرة الأسواق والسلع بتوات، ورخص أثمانها، وانتظام قدوم وخروج القوافل منها واجتماعهم بها دليل على التطور الاقتصادي، وازدهار النشاط التجاري بها، و تحولها من مجرد نقطة عبور في الصحراء إلى سوق تجارية مربحة يقصدها التجار من كل حدب وصوب [2]. كما زار الرحالة الألماني (رولف) مدينة برنكان بمقاطعة تسابيت سنة 1864م، وأشار إلى أن سوقها الذي مازال يتمتع بنشاط اقتصادي لا باس به[3].

–سوق تمنطيط: تعتبر تمنطيط من أهم وأقدم القصور التجارية بتوات ؛كونها تتوسط إقليم توات، بحيث يصف لنا المؤرخ التواتي محمد الطيب بن عبد الرحيم في مخطوطه القول البسيط في أخبار تمنطيط، حركية تمنطيط التجارية بقوله: " ... التمنطيط اسم المدينة في إقليم توات، بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة

[1] – مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2 ،1981م، ص 25.

[2] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن12هـ ، المرجع السابق، ص 104.

[3] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 64.

والديانة والربانية، و تنصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد، لما فيه من الدين والبركات والمنافع والحاجات، فهي مورد الركبان و محشر العربان و رئيسة البلدان، تنصت لعرسها الجيران، و برد بها الظمآن و تربّى بها التجار في الأوان، ولا ينفع ذو سلعة عرفها إلا بسعرها"[1]، وأورد أيضا أن بها " ثلاثمائة وستين صياغا يهوديا، وقد أجلاهم منها العلامة بن عبد الكريم المغيلي"[2].

زار الرحالة رولف (Rohlfs) تمنطيط، وذكر أنها مازالت تتمتع بازدهارها الاقتصادي الذي عرفت به من قبل، بحوانيتها المنتشرة على جانبي الطريق وبنشاطاتها المختلفة في الحدادة و تطريز الملابس و غيرها [3]. ومن خلال شهادة الرحالة الألماني رولف (Rohlfs) والوصف الدقيق للمؤرخ محمد الطيب بن عبد الرحيم يتضح لنا الازدهار الاقتصادي لسوق تمنطيط، وأنه كان مقصد القوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب؛ لما كان يتوفر عليه من منتوجات محلية سواء كانت زراعية أو صناعية وأسعاره المنخفضة المغرية.

– سوق رقان: كان هذا السوق يقام بمدينة تيمادنين مركز المقاطعة، وبرزت له أهمية في كونه يستقبل بعض القوافل القادمة من أسواق السودان الغربي، وهو السوق الرئيسي الذي تقصده قبائل تاودني، والمبروك وأهميدان، وأدغاغ، والفوغاس، ويربط بين أسواق تديكلت وتوات[4].

– أسواق تديكلت: يعد مركز عين صالح بسوقه الرئيسي المتواجد بقصر العرب أو القصر الكبير؛ نقطة هامة لالتقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء في كافة الاتجاهات، وقد كانت هذه القوافل تضع حمولتها بسوق قصر العرب لبيعها أو لمقايضتها، ومنها ما يستأنف بها السير إلى أسواق أخرى، ويُعد هذا السوق منطقة عبور وكانت السلع والبضائع المعروضة متنوعة ورخيصة الأثمان في نفس الوقت، فمن أسواق السودان

---

[1] – محمد الطيب بن عبد الرحيم (بن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح. فرج محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1977م، ص 14.

[2] – المصدر نفسه، ص 14.

[3] – زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 250.

[4] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 66.ينظر: Déporter: Op.cit, p 36.

الغربي كان يجلب العبيد وهذه البضاعة مطلوبة في أسواق توات والأسواق الشمالية الأخرى؛ مثل ميزاب وورجلان وكذلك يجلب ريش النعام، والذهب، ومن أسواق طرابلس وغات وغدامس تأتي القهوة والسكر من أسواق التل الجزائري تأتي السكاكين، و المرايا، وإبر الخياطة، والمجوهرات.ومن أسواق المغرب الأقصى تأتي الملابس المطرزة، والأسلحة النارية، والخيل، وهذا إضافة إلى توفر المنتجات المحلية التواتية من تمور وأبسطة تواتية[1].

و قد شهد على ذلك الرحالة الألماني رولف (Rohlfs) عندما توجه إلى منطقة تديكلت ووصف المعروضات من سلع وبضائع، ومدى النشاط التجاري الذي يحتله سوق القصر الكبير بالنسبة لتجارة الصحراء[2]. ذكر ديبورتر (Deporter) بأن سوق عين صالح هو مركز مهم في تجارة العبور الصحراوية، وأن القوافل القادمة من غدامس وغات وتنبكتو نحو أسواق الشمال المتمثلة في: متليلي الشعانبة، وورقلة، وذكر ديبورتر(Deporter) أيضا أنه سكن في قصر العرب تجار من غدامس، وغات، وتنبكتو، ومتليلي، وورقلة، يجنون سنويا أرباحا معتبرة جراء تجارتهم بالسوق [3].كما توجد بتديكلت أسواق أخرى على غرار سوق عين صالح الشهير و هي أقل ازدهارا منه مثل:

–سوق آولف: يمثل هذا السوق مركزا بين أسواق توات وتديكلت ؛كونه يقع على طريق القوافل وهو بوابة توات نحو تنبكتو. عرفت منطقة آولف بتجارة العبور وكان يسيطر على ذلك قبيلة أولاد زنّان حيث يمتلكون أعدادا كبيرة من الجمال، يوفرونها للتجار الذين يعبرون تديكلت نحو تنبكتو، كما كان منهم أدلاء يقودون القوافل في الصحراء الكبرى بين توات و تنبكتو لمعرفتهم الكبيرة بالصحراء و طرقها و أبار المياه[4].

---

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق ص 67.

[2] – المرجع نفسه، ص 67. ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم06، ص164.

[3]– Déporter: Op.cit, p41.

[4] – أمحمد بن أحمد بن حمّد بن حمد أبو لحية الفزاري كان فقيها وتاجرا ودليلا للقوافل التجارية ،كان يدعم بتجارته الزاوية الفزارية التي كان أخوه البركه بن أحمد حمد لمين هو شيخها ، فإضافة إلى دورها العلمي كان لها دور اجتماعي في إيواء الضيوف وعابري السبيل . توفي أمحمد بن أحمد الفزاري في الطريق وهو عائد بتجارته من السودان الغربي، وعندما أحسّ بدنوّ أجله كتب وصية إلى أخيه =

ومن التجار في منطقة آولف أمحمد بن أحمد حمد لامين[1]، والتاجر أحمد حمدي حبّادي الذي عثرت له على رسائل من تنبكتو تحمل أسماء بعض البضائع والسلع وأثمانها ، وهو من قبائل أولاد شبل العربية؛ التي أسّست قصر حبّادات بآولف ، وتعتبر قصبتهم– قصبة حبّادات– مقصد القوافل القادمة من توات، والمتوجهة نحو عين صالح إلى أسواق السودان الغربي، أو العكس، حيث عرف هذا القصر حركة تجارية مزدهرة[2]، خاصة في تصدير التمور التي كانت تحملها القوافل في الشِبّاك بعد أن ينزع منه النوى كي يكون حملا خفيفا، مع أخذ اكبر كمية ممكنة منه ، و كانت قبائل الطوارق تتردد على قصبة حبّادات كثيرا لاقتناء البضائع السودانية حيث كان القصر يعرف حركية تجارية كبيرة لأنها آخر محطة تستريح فيها القوافل بقصر آولف قبل الدخول إلى أقبلي، وكان أولاد حبّادي يحرصون على استضافة كل من يقصد قصبَتهم، خاصة وأن القصر مزود ببئر من الماء ومسجد للصلاة به مدرسة لتعليم القرآن والفقه ، معروف إلى الآن– 2015م– بجامع حبّدات، ويحتفظ حبّادي أحمد بعديد الرسائل والوثائق المخطوطة التي توضح التواصل الاقتصادي والعلمي بين منطقة آولف بتوات وتنبكتو [3] .

البركه حمّد لمين ، وكتب له ما يملكه من بضائع وأخبره أنه لم يتعرض لقطاع الطرق، توفي1317هـ/1900م ودفن – رحمه الله– بعين زيزة بمنطقة أهنت جنوب تديكلت ؛ فأوصلت القافلة بضائع ووصية أمحمد بن أحمد الفزاري ومعها مصحف مخطوط كان يحمله معه في سفره بخط سيد أحمد الدولة، ويحتفظ الشيخ حامد لمين عبد الرحمان بالوصية والمصحف المخطوط . حامد لمين عبد الرحمان : المقابلة السابقة. ينظر: ملحق صور المخطوطات، الصورة رقم 03، ص158.

[1]- Déporter: Op.cit, p39.

[2] – رسالة من أحمد البكاي بتنبكتو إلى أحمد حمدي بتديكلت: مخطوط تحت يد حبّادي أحمد ، آولف، أدرار، الجزائر.

[3] – مقابلة مع حبّادي أحمد، بمنزله يوم 28 أوت 2014، بآولف ، أدرار ، الجزائر ، على الساعة التاسعة صباحا.

ب–التجارة الخارجية:

تتم التجارة الخارجية لإقليم توات على خمس مناطق أو محاور رئيسية يتعامل معها تجار توات في تصدير واستيراد السلع والبضائع و هي:

1 -أسواق الشمال الجزائري:

تَربِطُ توات بأسواق الشمال الجزائري شرقا وغربا مجموعة من الطرق تخرج من جهة توات ومن جهة تيجورارين و من جهة تديكلت وهي:

–وهران، أرزيو، الخيثر ،مشرية، عين الصفراء، فقيق ،أقبلي، توات.

–وهران، أرزيو ، الخيثر، البيض، الابيض سيد الشيخ، المنقب، تبلكوزة ، توات .

–سكيكدة، قسنطينة، باتنة، بسكرة، تقرت، ورقلة، ميزاب، عين صالح ، أقبلي، توات.

–الجزائر، البليدة، المدية، الأغواط، ميزاب، عين صالح ، أقبلي، توات [1].

كانت قوافل الشمال الجزائري تقصد إقليم توات مع موسم جني التمور[2]؛ لأخذ التمر، والحناء، والزّرابي مقابل ما تأتي به من حبوب وسكر ، و الشاي والصوف [3]. كما كانت قوافل من البيض والمشرية و عين الصفراء تقصد إقليم توات عبر زاوية سيدي منصور وقصر أولاد عيسى، محملة بالسمن، والحبوب، والصوف، والأغنام، والألبسة القطنية [4].وقد أوردت مجلة المبشر الفرنسية قائمة للمبادلات التجارية بين قافلة عين الصفراء وسوق تيجورارين سنة 1899– 1900م[5]، كما أورد مارتان قائمة للبضائع والسلع المتبادلة بن قافلة وهران وسوق توات سنة 1317هـ /1900م[6].

---

[1] – جعفري مبارك : العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن12هـ، المرجع السابق، ص 99.

[2] – Martin: Les Oasis Sahariennes,op.cit,p 318.

[3] – Daumas: le grand désert, Op.cit, p 68.

[4] – فرج محمود فرج : المرجع السابق، ص 71.

[5] – المرجع نفسه ، ص 73.ينظر: ملحق الجداول ، الجدول رقم 01، 02، ص153.

[6] – ينظر : ملحق الجداول، الجدول 03،04، ص154.

2 -أسواق المغرب الأقصى:

يربط توات بأسواق المغرب الأقصى مجموعة من الطرق التجارية المتفرعة على أربعة طرق رئيسية و هي:

–توات، أقبلي، أم دربينة، قصبة المخزن، مكناس، فاس.

–توات، أقبلي، فقيق، سجلماسة، تافلات، فاس.

–توات، تبلبالت، قصبة تنزولين، وادي درعة، مراكش.

–توات، تيجورارين، ميزاب، تلمسان، فاس[1].

ومن خلال هذه الطرق الرئيسية كانت قبائل ذوي منيع، وأولاد جدير، وبني محمد تأتي إلى سوق توات محملة بالشعير، والقمح، والأغنام، والملابس، والجلد الفيلالي الخام، والمصنوع من أسواق المغرب الأقصى ويعودون محملين بالتمور، والمنتوجات السودانية. ويضاف إلى ذلك أن القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان، تواصل سيرها إلى تافيلالت، وسجلماسة، وتصل حتى إلى فاس ومراكش، و تدل نوازل البلبالي إلى العلاقات التي كانت بين توات و المغرب الأقصى، وبينت أيضا المخاطر التي كانت تعترض القوافل و أن الطريق عرضة للصوص و قطاع الطرق فأشارت الغنية للبلبالي[2] إلى : " من اكترى جملا ليحمل عليها سلعا من فاس إلى توات فلما بقي له نحو ثلاثة أيام للوصول تعرضت له لصوص فأخذت الجمال بما عليها..."[3].

---

[1]– مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هـ ، المرجع السابق، ص 99.

[2]– عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي ولد1190هـ/1776م بقصر ملوكة بتيمي. أخذ العلم على يد والده عبد الرحمن البلبالي ومحمد بن عبد الرحمن التنلاني، عالم ، فقيه، ونحوي أديبا ،كان مرجع الفتوى بإقليم توات في عصره ، جمع فتاواه في مخطوط كبير– غنية= =المقتصد – ويعرف بالغُنية. تولى قضاء الجماعة بتوات. من تلاميذه العلامة الشيخ سيدي البكري و سيدي أحمد الحبيب ومحمد بن محمد الجزولي البكري، له فتاوى وقصائد عديدة. توفي 17 جمادى الأول 1261هـ/1845م. ينظر: عبد الحق حمّيش ومحفوظ بوكراع: المرجع السابق، ص ص 475–480.محمد باي بلعالم : المرجع السابق،ج1، ص ص58–59 .

[3]– عبد العزيز بن محمد البلبالي: غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل ، مخطوط (نسخة مصورة) بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بآولف، أدرار ، الجزائر ، الورقة 450 و.

3– أسواق الطوارق:

تنتشر قبائل الطوارق في بلاد الهقّار وهي الواقعة جنوب توات، ويتم الصلة بين توات وأسواق الهقار عبر سوق عين صالح، وذكر فوانو (Voinot) قائمة للمبادلات التجارية التي تمر إلى السودان عبر منطقة الهقّار؛ كونها تقع في نقطة عبور بين أسواق توات و السودان الغربي، مثل التمر والتبغ والحناء والأغنام والماعز من نوع الدمَّان[1]. وكان الطوارق يصلون إلى أسواق عين صالح حاملين معهم الإبل وخراف الدمّان و الماعز لمبادلتها بالتمور والتبغ (الشمّة) التواتية [2]. يمتلك الطوارق قوة هائلة من المهاري –الجمال– إضافة إلى صفة الشجاعة التي يتميزون بها، فهم يعملون كحراس و أدلّاء على القوافل التي تمر بمنطقتهم مقابل ضريبة معينة[3].

4– قوافل غدامس و غات و طرابلس الغرب:

ترتبط قوافل غدامس و غات و طرابلس الغرب مع أسواق عين صالح حيث تشكل القوافل التجارية القادمة من جنوب تونس مرورا بطرابلس وغات، وغدامس، محورا مهما في التجارة الخارجية لتوات؛ حيث يضعون سلعهم بأسواق قصر العرب الكبير بعين صالح ،ومنهم من يكمل الطريق إلى أسواق السودان الغربي و كانت كثير ما تحمل معها القهوة والسكر والصمغ العربي [4]،كما أن هذه القوافل ترجع محملة بالمنتجات التواتية خاصة التمر مدعمة من القوافل التواتية المنطلقة من توات، وعند وصولها غدامس؛ منها ما يتجه نحو طرابلس إلى جنوب تونس، ومنها ما يتجه نحو أسواق فزان إلى أسواق السودان الأوسط[5].

5–أسواق السودان الغربي:

---

1 - Voinot: Op.cit , pp 38 - 39.

2 –فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 71.

3 – هرباش زاجية: المرجع السابق، ص 269.

4 – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص70.

5 - Voinot: Op.cit, p 33.

تعتبر منطقة السودان الغربي من المناطق التي تعرف تبادلات تجارية مهمة مع توات، بحكم الموقع الجغرافي للسودان الغربي المحاذي لإقليم توات؛ حيث تعتبر الصحراء همزة وصل بين أسواق السودان الغربي و منطقة توات، بحيث تقطعها القوافل التجارية ذهابا و إيابا لتزود أسواق توات والسودان الغربي، ممّا أنعش الحركة التجارية والاقتصادية بين الإقليمين ؛لأن القوافل التواتية تقصد أسواق تنبكتو، أروان، المبروك، تاودني، جاو، ووالن[1] ، وغيرها، وسنتعرض لها بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

ولم تقتصر القوافل على التجارة فقط، بل كانت هناك قوافل الحجاج التي يشترك فيها أعداد كبيرة من التواتيين و جيرانهم، وكانت قافلة الحجاج التواتية تجتمع كل عام بمقاطعة عين صالح وتسلك الطريق الشمالي الشرقي الذي يمر بمدينة غات، وعندما تصل إلى مدينة مرزق تمكث القافلة بها حوالي 25 يوما يبيع أفرادها و يشترون ما يحتاجون إليه من أسواقها، ثم تستأنف سيرها نحو فزان، ومنها تتجه إلى مصر، لتَعبُر منها إلى الأراضي الحجازية[2].

من خلال هذا الفصل من الدراسة؛ تعرفنا على الواقع الإقتصادي لتوات، من حيث الزراعة وكيفية استغلال التواتيين لمياه الفقارة باعتبارها عمود الفلاحة التواتية ومصدر أساسي للماء في توات، فاشتهر بالمنطقة عدة منتوجات زراعية اعتمدت عليها معيشة سكان توات كالتمر والقمح والذرة وبعض الخضر الموسمية، كما اهتم التواتيون بالزراعة التسويقية كزرع الحناء والتبغ وهي موجهة للتصدير. وتعرفنا أيضا على الصناعة التواتية التقليدية والحرفية ، حيث تظهر براعة سكان توات في استغلال الموارد المتوفرة التي صنعوا بها وسائل وأدوات تستعمل في المنازل والبساتين. وساعد النشاط الزراعي والصناعي لتوات في تنشيط الأسواق التواتية فظهرت حركة تجارية مزدهرة داخلية بين الأسواق التواتية في مقاطعاتها الثلاث وخارجية مع الأسواق الخارجية خاصة أسواق السودان الغربي. فكيف كانت تتم التجارة بين إقليم توات والسودان الغربي؟ وماهي أبرز الطرق والمسالك التجارية ؟ وماهي أبرز المخاطر والصعوبات التي تواجه القوافل

[1] – يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص11. ينظر: فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 79.
[2] – المرجع نفسه، 71.

التجارية في الطريق ؟ وماهي أهم السلع والبضائع المتبادلة؟ وكيف كانت العملة والمقاييس والموازين المستعملة في التجارة بين توات والسودان الغربي؟ وسنحاول الإجابة على كل هذه الإشكاليات في الفصل الموالي من هذه الدراسة.

– الفصل الثالث: التجـارة بين تـوات و السـودان الغـربي.

– المبحث الأول: المسالك التي تربط توات بالسودان الغربي والأسواق المتمركزة بها.

–المبحث الثاني: أهم المبادلات التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي.

–المبحث الثالث: العملة و أدوات القياس و المكاييل و الموازين.

شكلت القوافل التجارية [1] شريان الحياة من الناحية الإقتصادية والاجتماعية لإقليمي توات والسودان الغربي، ويعود هذا للعنصر الإقتصادي الذي تبنى عليه العوامل التجارية التي تعكس مدى النشاط الاقتصادي مابين توات والسودان الغربي، كما كان لموقع توات الاستراتيجي مكانة مساعدة في التجارة الصحراوية، فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي، حيث أصبح حلقة وصل بين ضفتي الصحراء الكبرى[2]، و لهذا كانت التجارة إحدى الأسباب الرئيسية في الصراعات السياسية و الحروب و الهجرات. كما كان تنظيم القوافل والتحكم في الطرق التجارية واستقطابها غنيمة تتنازع عليها جماعات البدو، لِما تدرّه من أرباح و رسوم و وفرة للسلع و الغذاء.

-المبحث الأول: المسالك التي تربط توات بالسودان الغربي والأسواق المتمركزة بها.

بعد تطرقنا للمسالك التي تربط توات بالأسواق الشمالية للجزائر، والمغرب الأقصى، وجنوب تونس، و طرابلس، ثم غدامس وغات. كل هذه الطرق تجتمع في توات أما من ناحية تيجورارين أو ناحية تديكلت بعين صالح[3]، وبعد اجتماع القوافل بإقليم توات تتفرع هذه القوافل في مسالك و طرق متعددة، تربط توات بأسواق و حواضر السودان الغربي.

أ -مسالك القوافل التجارية بين توات والسودان الغربي:

أبرز هذه الطرق التجارية التي تربط إقليم توات مع أسواق السودان الغربي هي:

– طريق توات تنبكتو عبر رقان: و ينطلق من رقان نحو حاسي حسدة ثم حاسي البوز ثم حاسي الملح، ثم رقلة، ثم تنصر، ثم صبطي، ثم طرفية، ثم تدقوير، ثم تليق، ثم تاودسي، ثم تمبكتو.

[1] – ينظر: ملحق الصور العادية ، الخريطة رقم05، ص163.

[2] – محمد الصالح حوتية: آل كنته، المرجع السابق، ص ص 102– 103.

[3] – المرجع نفسه، ص 111.

– طريق توات قاو: و ينطلق من أقبلي جنوب توات ثم مراقن، ثم والن، ثم صحراء تانزروفت، ثم البرج، ثم حاسي باكتليس، ثم تساليت، ثم اقلهوك، ثم أنافيق، ثم تبرشات، ثم تبنكورت، ثم تنقارا، ثم قاو، و في والن يخرج منه طريق فرعي أخر نحو الأربعمائة، ثم تجنون، ثم أشواردشبي، ثم أنافيس، ثم أماهور.

– طريق توات عبر أقبلي: ازدهر هذا الطريق خلال القرن التاسع عشر، حيث ينطلق من أقبلي ثم تين تني، ثم والن وبعد أيام تدخل القافلة صحراء تنزروفت؛ وهي صحراء قاحلة منبسطة ثم تصل إلى انغان ثم المبروك، ثم المامون، ثم بوجبيهة، ثم أروان، و هي محطة رئيسية للقوافل، ثم وأعوازن، ثم تصل القافلة بعدها إلى تنبكتو.

– طريق عين صالح تنبكتو: و ينطلق هذا الطريق من تديكلت بعين صالح ، ثم إينغر، تيط، أقبلي، زاوية حينون بآولف، المالح، ثم عين الشبي، تمادنانين، و هذه أخر نقطة في توات ثم بعدها يأتي حاسي تيابين، ثم والن، صحراء تنزروفت، عين زنان، لمبروك، المامون، بوجبيهة، تنبكتو، و من المامون تذهب بعض القوافل إلى أروان ثم إلى تنبكتو. [1].

– طريق توات قاو عن طريق الهقار: و ينطلق ها الطريق من عين صالح بتوات ثم الهقار، ثم غات، كاهر، قاو، و قد ورد هذا الطريق في رحلة ابن بطوطة حيث أخذ هذا الطريق راجعا من قاو إلى توات[2].

– طريق غدامس تنبكتو عبر توات: تنطلق من غدامس، تنغيين، ثم البيده، لمسقم، زرابية، أرسمالن، عين صالح بتوات، و من هنا يتصل بطريق توات تنبكتو. [3].

[1] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/ 19م، المرجع السابق،ص 333.ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 2، ص149. الخريطة رقم 4، ص151.

[2] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 406، 407.

[3] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن13هـ/ 19م ، المرجع السابق، ص 333.

عرف طريق غدامس تنبكتو حركية كبيرة، بعد احتلال الفرنسيين للشمال الجزائري؛ لأن القوافل دائما كانت تبتعد عن الفرنسيين و لهذا عرف الطريق الرابط بين توات و تنبكتو المتجه نحو الجزائر تراجعا كبيرا لصالح الطريق الشرقي المتجه من تنبكتو إلى غدامس عبر توات[1].

ب – أهم الصعوبات التي تواجه القوافل في المسالك بين توات والسودان الغربي:

إن المعيقات الطبيعية كالتضاريس والرياح،طرحت صعوبات كبيرة أمام حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى الأفريقية من الشمال إلى الجنوب أو العكس؛ لكنها لم تكن الوحيدة ، بل هناك معيقات وصعوبات أخرى ناجمة عن تدخلات بشرية نقسمها إلى قسمين وهما :

1 -صعوبات طبيعية وأهمها:

- الكثبان الرملية: تعتبر الكثبان الرملية من الصعوبات الطبيعية، وذلك لصعوبة السير عليها لمسافة طويلة، لأنها تنهك الإبل الحاملة لأثقال البضائع والسلع وتثقل من سير القافلة. إضافة إلى أن الرمال الصحراوية متحركة تبعا لحركة الرياح، وتسبب في ضياع معالم الطريق فتؤدي إلى تيه القافلة في الصحراء[2].
- هبوب الرياح: تعرف الصحراء الإفريقية بزوابعها الرملية القوية خاصة الرياح الساخنة، حيث يذكر محمد العربي الزبيري نقلا عن (موروا): إن رياح الجنوب داهمت إحدى القوافل القادمة من تنبكتو سنة 1805م وكانت مكونة من ألفين رجل وألف وثمانمائة جمل لم ينج منها احد[3].
- قلة المياه: تعد ندرة نقط الماء، أو بعد المسافة بينها، من أخطر المشاكل التي كانت تواجه القوافل التجارية أثناء عبورها الطويل والشاق للصحراء؛ لذلك لعبت الآبار دورا مهما في توفير الماء للقوافل ، حيث كانت آبار الماء محطات تستريح فيها القوافل، ويتبادلون فيها أخبار الطريق ويتعرفون على الأسعار

[1] – س. باير: الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر، تاريخ إفريقيا العام، ج 6، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، باريس، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، ط1 ،1996 م، ص 597.

[2] – صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن 2هـ إلى أواخر القرن 3هـ ، مؤسسة توالت الثقافية ، د.ت، ص33.

[3] – محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص163.ينظر: صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص33.

ويؤدون بها الصلاة، وعادة ما تكون الآبار محفورة في وسط الأودية، وتختلف أعماقها باختلاف المنطقة التي حفرت بها، فالأزواد مياهها عميقة تصل إلى الخمسين مترا، بينما آبار تنزروفت وإقليم توات تمتاز بقرب مياهها التي لا تزيد عن الخمسة عشرة مترا، والى جانب البئر توجد سواقي ترد عليها الإبل والغنم إلا أن هاته الآبار أحيانا تقل فيها المياه أو تغور[1].

2 -صعوبات بشرية: وتتمثل في الهجمات التي تتعرض لها القوافل من طرف اللصوص، وقطاع الطرق سواء كانوا أشخاص أو قبائل، وما يدل على ذلك رسالة بخزانة أهل العبد بتندوف وجاء فيها أن قافلة من توات بها ستة وخمسون رجلا تعرضت لغارة وهجمة من طرف قطاع الطرق، فقتلوا منهم من قتلوا وقاموا بتقييد الباقين بالقماش الذي يحملونه في بضائعهم، واستولوا على جميع ما يملكون، فلحقت عليهم قافلة أخرى بها قبائل أولاد المولات من الأزواد، فأنقذوهم واشترطوا عليهم أن يعطوهم ثلث البضاعة، مقابل استرجاعها من القطاع، وهذا ماحدث [2]. و يوضح لنا هذا أن القوافل كانت تتعاون فيما بينها لصد هجمات قطاع الطرق، ومعظم من كان يقوم بنصب الكمائن ، هم جماعات من قبائل الطوارق والخنافسة[3]؛ للإستلاء على ما في الحمولة من أشياء ثمينة. فالقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، وهي مضطرة إلى أن تسلك طرق معينة تقع على جناباتها آبار ونقاط المياه، وهذا الاعتبار يسهل كثيرا مهمة قطاع الطرق، والقبائل التي تعيش على السلب والنهب. و يضاف إلى المشاكل التي تصيب القوافل؛ مشكلة الجوائح كالأمراض والأوبئة، التي تؤدي إلى هلاك الكثير من المشاركين في القافلة، وغالبا مايُحجر على القافلة من دخول السوق خوفا من نقل العدوى[4].

ولمواجهة هذه المشاكل تتخذ القوافل مجموعة من الإجراءات الوقائية؛ حيث كانت القوافل تتجنب انطلاق سفرها في فصل الصيف، سواء كان ذلك ذهابا و إيابا، وإنما كانت تفضل فصل الخريف كي

[1] – محمد الصالح حوتية:آل كنته، المرجع السابق ، ص104.ينظر. اسماعيل العربي، المرجع السابق،ص49.

[2] – رسالة توجد بخزانة أهل العبد،تندوف، الجزائر، دون ترقيم. ينظر: صور المخطوطات ، الصورة رقم02، ص157.

[3] – هي قبائل تسكن في توات وهي في تنافس مع الطوارق: ينظر. محمد العربي الزبيري: المرجع السابق،ص121.

[4] – صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق،ص66.

تستغل موسم برودة المناخ في نشاطها التجاري [1]. وكانت القافلة تأخذ معها الماء الذي يكفي احتياجاتها؛ إذ أنها تخصص بعض الجمال فقط لنقل الماء في القرب ، وكانت القوافل أثناء رحلاتهم التجارية، تقوم بتسوير الآبار المعرضة لخطر الزوابع الرملية وترميمها من الداخل بواسطة عظام الإبل الهالكة، ثم يغطونها للمحافظة عليها، ومع ذلك كانت الآبار تتعرض لعملية الردم، مما يضطر قادة القافلة إلى نحر إحدى الإبل ويشق بطنها للاغتراف مما تخزنه من ماء؛ لأن هذه خاصية فقط فالإبل [2]. وكانت القبائل التي تقطن أو ترعى على طول مسار القوافل التجارية، تتنافس في حفر الآبار خاصة القبائل الكنتية باعتبارها صدقة جارية، فقد حفر الشيخ سيدي المختار الكبير بئرين بضواحي تاودني[3]. تضم القافلة معها عدة رجال تقوم بالخدمات الضرورية للمسافرين ، كالدليل الذي له معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية ومنازلها، والطبيب الذي له معرفة بالأعشاب الطبية، والفقيه في الأمور الشرعية فهو يؤمُّ الناس في الصلاة ويفتي المسافرين عن ما لبس من تساؤلات تخص الأمور الدينية، وكانت القافلة تتسلح وتضم أعدادا كبيرة من الحراس المكلّفين بالدفاع عن القافلة من أي خطر للصوص وقطاع الطرق ، وتتعاون القوافل فيما بينها حيث تتجمع فيما بينها في قافلة واحدة حيث يكثر عددها فتكون أكثر أمانا من هجمات قطاع الطرق ، ويحدث هذا خاصة في الطرق الغير آمنة[4].

اتخذت القوافل إجراءات للحد من المبالغة في المكوس، أو الضرائب التي تدفع؛ حيث كان التجار يتصلون بزعماء القبائل بعدما يدفعون لهم إتاوة ويحصلون على الحماية، وتأخذ شكل اتفاقية يقوم بتحرير بنودها طالب أو إمام المنطقة ، ويصبح شيخ القبيلة هو الحامي بموجبها مس ؤولا عن كل ضرر يلحقه أفراد قبيلته بمصالح التجار المحميين ، وهو يتعهد بأن يعيد كل ما سرق منه من البضائع والأموال . وعملية التعاقد

1 – محمد الصالح حوتية ، توات والقوافل التجارية، مقال ألقي في ملتقى طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، من 12 إلى 14 نوفمبر الجزائر،2001 م ، ص35.

2 – الحسين عماري: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، دورية كان التاريخية ، العدد التاسع، 2010م، ص35.

3 – محمد الصالح حوتية:آل كنته، المرجع السابق، ص104.

4 –المرجع نفسه، ص104.

كثيرا ما تختم بحفلة يقيمها التاجر المحمي، ويذبح خروفا على باب الشيخ أو زعيم القبيلة على مشهد من أبناء قبيلته، وقد يقوم بالحماية إضافة إلى زعيم القبيلة شيخ طريقة صوفية يتمتع بتقدير واحترام في المنطقة[1]، وبعض القبائل المعروفة مثل قبيلة كنته التي كان تجارها لا يدفعون المكوس والضرائب.

ج- الأسواق و أهم مراكز التبادل في السودان الغربي:

- تنبكتو: كانت مدينة تنبكتو من تأسيسها سوقا تجاريا يلتقي فيها تجار الشمال مع الجنوب، كما شكلت مستودعا للبضائع الرئيسية في غرب إفريقيا و ساهم في ذلك موقعها الاستراتيجي وسط الصحراء، كونها يلتقي بها تجار الشمال مع الجنوب، و الشرق مع الغرب [2]. تحظى مدينة تنبكتو بموقعها النهري على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي، و بذلك تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية النهرية التي تفد إليها من مصر، و المغرب و طرابلس عن طريق الصحراء، و من أوروبا عن طريق المحيط ثم النهر، وقد أطلق عليها الأوروبيون المدينة عزيزة المنال غامضة الأسرار لا تتجاوزها في تراثها و جمالها أي بلد إفريقي آخر في ذهبها أو ملحها، و قد وصفها أبناؤها أيضا بأنها خير البلاد و لا نظير لها تعيش في حرية وأمن ورفاهية[3].

يقوم سكان تنبكتو بتدبير الإقامة المجانية للضيوف، و لأي تاجر غريب مدة ثلاثة أيام و يعامل معاملة حسنة و راقية، و في اليوم الرابع يدلّه المضيف ليستأجر احد مساكنه و يخبره أيضا بالأسعار السائدة ومدى وفرتها أو ندرتها، و يساعده في الحصول على مشترياته و سكانها لا يقومون باي عمل، فهم ليسوا مصدِّرين ولا مستوردين، بل هم الوسطاء، و أصحاب الأرض [4]. و أشار فليكس ديبوا (Dubois Flelix) أنه رأى منازل مدمرة تحتوي بداخلها مخازن و سلع و هي بغرض التمويه عن اللصوص و قطاع الطرق، و في

---

[1] - إسماعيل العربي :الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983م ، ص117.

[2] - جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية و الثقافية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، ص 335.

[3] - محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ص ص 169- 170.

[4] - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 335. ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم 07، ص164.

إحداها ما قيمته 50 ألف فرنك من السلع [1]. و قدر حجم الأموال المتداولة في تنبكتو سنة 1313هـ/1895م 460الف فرنك، و قال أنها لا تمثل إلا ثلث المبلغ الحقيقي، و قد تصل إلى 20 مليون فرنك فرنسي، و تم تقييم حجم التجارة سنة 1316هـ/ 1898م في تمبكتو بحوالي مليونين وسبعمائة و ستين ألف 2760000 فرنك دون احتساب تجارة الأرز الذي تعرض للفيضانات.

زار الحسن الوزان مدينة تنبكتو في أوائل القرن 16م، وذكر أن بها دكاكين كثيرة لصناعة و تجارة الأقمشة النيلية، و القطنية و يجلب إليها التجار المغاربة الأقمشة من أوروبا[2]. كما أورد الرحالة ابن بطوطة "تنبكتو في رحلته مبينا الأهمية الاقتصادية لهذا المركز الذي يربط شمال الصحراء [3].

- مركز جاو (GAO): هي عاصمة مملكة السنغاي، تقع حاليا إلى الشمال الشرقي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي، ورد ذكرها على لسان البكري الجغرافي حوالي 1067م، مكّن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لجاو على منحى نهر النيجر نحو الجنوب أشرافها على حركة الملاحة، وصفها الحسن الوزان بالمدينة العظيمة[4]، و أضاف بأن بها قصور الملك و رؤساء دولته، و تحدث الحسن الوزان أيضا عن نشاط المدينة الاقتصادي المتمثل في كثرة الأسواق و تنوع السلع التي ترد إليها من أوروبا و بلاد البربر[5]. كانت جاو تعج بالعديد من المتاجر التي يشرف عليها تجار من جميع الأجناس و لها تجار أثرياء، و ترد إليها الأقمشة من المغرب و أوروبا. كما يوجد بها سوق للرقيق ينتعش عند قدوم التجار، و سكانها تجار متجولون في المنطقة مع بضائعهم ، و يقصدها عدد لا يحصى من السود الذين يجلبون كميات كبيرة من الذهب ليشتروا بها البضائع التي يجلبها تجار الشمال[6].

---

[1] – المرجع نفسه، ص335.

[2] –. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 25.

[3] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص 165– 166.

[4] – المصدر نفسه، 169.

[5] –المصدر نفسه، ص 169.

[6] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 170.

- جني: تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكتو، و تبعد عنها بحوالي ستمائة كيلومتر تقريبا، تأسست في القرن الثاني الهجري 2هـ/ 623م، كانت مركزا تجاريا هاما واشتهرت بتجارتي الملح والذهب، وملتقى القوافل التجارية التي تسير بين الشمال و الجنوب، وقد وصفها عبد الرحمان السعدي قائلا: "...هي سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح"[1].

ويشير الحسن الوزان إلى ثرواتها الحيوانية، والسمكية والزراعية، ولاسيما القطن الذي يشتريه التجار المغاربة لتصديره إلى أوروبا مقابل أواني نحاسية وأسلحة و غيرها من سلع، كانت تنبكتو تأتيها السلع من جني، ويعلل السعدي ذلك بكون التجار لا يستطيعون البقاء فيها كثيرا، و هم يبيعون بسرعة و بثمن بخس ليرجعوا إلى بلدانهم[2]. ويقول لانز (lenz): أن الذهب المتداول في أروان مصدره جني، و هو على شكل حلقات رقيقة و خشنة وعلى شكل حبيبات صغيرة[3].

يذكر ديبوا (Debois) أن جني قدمت تجارة حقيقية بدلا من نظام المقايضة البدائي بين قرية وأخرى، و في سوق جني الكثير من السلع الأوروبية مثل الخرز، العنبر، المرجان، الكبريت، البنادق[4]. يمتلك يمتلك تجار جني قوارب هي أشبه بالمخازن، وهي واسعة يصل طولها ما بين ثمانية عشر وعشرين متر، وعرضها حوالي ثلاثة أمتار، يستطيع أن يحمل حمولة ما بين عشرين و ثلاثين طن، ينقل بها التجار سلعهم لتنبكتو، وباقي المدن على ضفاف النهر، وفي السوق تجد الباعة من النساء والرجال والبضائع منتشرة هنا و هناك، وتُنسِّقها ممرات بين الباعة و جانب من السوق يفتح على المسجد، و هناك رجال الصرافة و معهم تلال من الأصداف، و هناك محلات الجزارين، و بائعي الأسماك. والتجارة الرئيسية في جني بيد العرب، و

[1] - عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص ص 12، 14.

[2] - المصدر نفسه، ص ص 11، 14.

[3]- Oskar: Op.cit, P 104.

[4] - فيليكس ديبوا: تمبكتو العجيبة، تر.عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مراجعة شوقي عطاالله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2003م، ص ص 144- 145.

هناك ما بين ثلاثين أو أربعين تاجرا عربي يعيشون في أفضل المنازل في المدينة [1]. ويذكر أهل السودان مقولة مفادها أن جني أكبر لأنها تمثل دور المنتج، أما تنبكتو فهي مستودع، وسكانها وسطاء و هم أقل ثروة من سكان جني[2]. ومع الشُّهرة التي وصلت إليها جني؛ لكنها لم تصل لمكانة تنبكتو من حيث الشهرة لأن القوافل القادمة من الشمال كانت تجد في تنبكتو كل ما جاءت تبحث عنه في السودان الغربي، لذلك القليل منهم من يكمل الرحلة إلى جني، لو كان ذلك من أجل سلع أرخص و هذا نتيجة التعب و مزيد المشقة على القوافل التي قطعت الصحراء من الشمال إلى تنبكتو[3].

- مركز أروان: محطة تجارية رئيسية ،كونها تقع مفترق الطرق للقوافل القادمة من الشمال و الذاهبة لتنبكتو و جني، فيها مختلف السلع خاصة الملح القادم من تاودني، و الذهب الذي تصدره جني [4]. تسيطر قبائل البرابيش على الطريق الرابط بينها و بين تنبكتو [5]. منطقة أروان تقوم بنفس الدور الذي تقوم به توات في الشمال، فمنها يتمكن التجار من التزوّد بالمواد التجارية و الماء العذب و الكلأ لحيواناتهم، كما يأخذون قسطهم من الراحة، و يتم تبادل منتجات السودان و بضائع المغرب في سوق أروان بين القوافل التي تأتي من الجنوب و القوافل التي تأتي من غدامس و توات[6].

---

[1]- René (Caillié): voyage d'un faux musulman a travers l'Afrique, Tombouctou, le Niger, jenné et le désert , a travers le continent noir, imprimerie , Eugene Ardant, Limoges, 1882, P 97.

[2] - فليكس ديبوا: المصدر السابق، ص 148.

[3] - المصدر نفسه، ص 149.

[4]- Oskar (lenz): Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et soudan, librairie Hachette, Paris,1987, P 104.

[5]- Ibid: p 135.

[6] - محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ص 168.

- تاودني: أرضها عبارة عن منجم كبير، وتعتبر أحد المراكز الأساسية لتصدير الملح في السودان الغربي خاصة لمنطقة جنوب نهر النيجر، أغلب سكانها من عمال المناجم، و يذكر بول مارتي (Paul marty) أن القوافل كانت تسير بانتظام نحو تاودني في فصل الأمطار – شهر نوفمبر– و في فصل الربيع – شهر أبريل– [1]. وأسعار السلع هناك مرتفعة مقارنة بالملح الذي تتم مقايضته بالأرز والنيلة والسمن، والسكر، و الشاي، والتمر، والغنم، ولحوم الثيران المجففة[2].
- المبروك: هو أوّل محطة تجارية و سوق تجاري كبير للقوافل القادمة من توات، ينشط بها تجار من قبيلة كنته[3].
- بوجبيهة: هي مركز تجاري تمر عبره القوافل القادمة من وإلى تنبكتو، ويتم فيه تبادل الملح، والحبوب والأقمشة[4].

– المبحث الثاني: أهم المبادلات التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي.

أ – واردات إقليم توات من السودان الغربي:

- العبيد و الإماء: تقع معظم مناطق العبيد جنوب نهر النيجر، حيث يتم أسر العبيد في الحروب، أو بواسطة الشراء، أو الغارات على القبائل، و أهم المناطق هي الاستانتي، و كانو، وسيغو، و سوكوتو، و فاراكو، و واغادوغو، أما أثمانها فتختلف حسب السن و البنية الجسدية و الجمال [5]. و بعد جلبهم يباعون في أسواق أسواق جني، و تنبكتو، و قاو؛كونها أهم أسواق السودان الغربي.

تراجعت تجارة العبيد عبر السواحل خلال القرن 19م، خاصة بعدما ألغت بريطانيا تجارة الرق في إمبراطوريتها سنة 1246هـ/ 1830م، و فرضت حصارا بحريا على إفريقيا ضد هذه التجارة فتبعتها اسبانيا

---

[1] – بول مارتي: كنته الشرقيون : تع.محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، 1985 م، ص 167.ينظر: ملحق الصور العادية ، الصورة رقم04، ص162.

[2] –المصدر نفسه، ص 168.

[3] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن13هـ/19م، ص 339.

[4] – بول مارتي: من عرب مالي البرابيش بنو حسان، تع.محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د.ت، ص94.

[5] – Bissuel: Les Touareg de l'ouest, Op.cit, p 22.

1261هـ/ 1835م، و البرتغال سنة 1255هـ/ 1860م[1]. لكن رغم ذلك استمرت القوافل في نقل العبيد عبر الصحراء من أسواق السودان الغربي، حيث بلغت أسعار العبيد في تنبكتو سنة 1311هـ/ 1894م بين 60و150 فرنك للكبار و من 30 إلى 50 فرنك للأطفال، و في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت أثمانها 60 فرنك للفتيات من 08 إلى 10 سنوات، و بين 300 فرنك للرجال، و 100 فرنك للفتيات بين 8 إلى 10 سنوات، و بين 350فرنك و 400 فرنك للشابات، و يتضاعف هذا السعر كلما اقتربنا من أسواق الشمال، و في الجنوب الجزائري ذكر بول سوليه (Paul solliet) في تقريره سنة 1297هـ/ 1880م أن حجم تجارة الرقيق في الجنوب الجزائري بلغت 1200 عبد زنجي [2]. و ذكر ديبورتر(Deporter) نقلا عن رولف (Rohlfs) فيقول " أن القوافل التواتية عادة ما تعود في كل مرة و معها من 600 ألف إلى ألف و سبعمائة عبد"[3]، تعتبر تجارة العبيد من التجارة المتعِبة، كَون العبيد أثناء نقلهم بحاجة إلى غذاء و حراسة، فيموت منهم حوالي 20% في الطريق نظرا لصعوبة و مشقة الطريق في الصحراء. و لكن مع ذلك كانت أرباحها خيالية و هي تفوق أرباح الذهب[4].

– الذهب: هو معدن طبيعي لونه أصفر برّاق و هو ألين معدن موجود في الطبيعة لأنه يمكن طرقه و هو بارد، مع أنه أنقى فلا يفسد بالنار أو تحت الأرض. كان مصدر الذهب في السودان الغربي سرا مكتوما من طرف أهله المنتجين، وأهم مصادر الذهب هي:

– منطقة البامبوك تقع بين نهر السنغال الأعلى و فرعه فاليمي.

– منطقة بوري عند ملتقى نهر النيجر الأعلى بفرعه تنكيسو.

[1] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد، 3هـ/19م، المرجع السابق، ص 352.

[2] – غيرهارد رولفس: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني غيرهارد رولفس، تر. عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية. ليبيا،د.ت، ص 259.

[3] – Deporter , Op.cit, p 42.

[4] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد، 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 354.

- منطقة لوبي على الفولتا العليا

- منطقة ساحل الذهب (غانا حاليا) [1].

يذكر الإدريسي أن بلاد ونقارة هي بلاد التبر المشهور بالطيب، والكثرة وهي جزيرة طولها 300 ميل وعرضها 150 ميل، و النيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة، فإذا أخذ النيل في الرجوع و الجزر،أخذَ كل من بلاد السودان يرحلون طول أيام رجوع النيل- نهرالنيجر- إلى النهر، فيأخذ كل واحد منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه و كثيرا أو قليلا من التبر [2]. وبفضل استيراد الذهب من السودان الغربي، انتشر منه الكثير في إقليم توات، وكان عملة مستعملة في التجارة الداخلية و الخارجية كما كان يصنع به الحلي و يذكر رولف (Rohlfs) أن القوافل التواتية نهاية القرن 19م كانت تعود و معها حوالي 50 رطلا من التبر أو الذهب[3].

-العاج: يؤتى به من المناطق الاستوائية قرب الأنهار، أين تكثر الفيلة و فرس النهر ووحيد القرن، و من أجود أنواع العاج عاج بورنو، وذلك لبياضه الشديد وبعده عاج الهوسا الشديد الصلابة، الذي يقدر ثمنه بحوالي نصف فرنك للكيلوغرام[4]. ويذكر رولف (Rohlfs):أنه رأى قافلة تواتية قادمة من تنبكتو لها كميات من العاج[5].

[1] - المرجع نفسه، ص355. ينظر ملحق الخرائط، الخريطة رقم03، ص150.

[2] - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، ج4، ص 24 .

[3] - Deporter, Op.cit. p 42.

[4] - حسين حاجوا: المرجع السابق، ص 98. ينظر: محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م ، ص 168.

[5] - Deporter: Op.cit. p 42.

ويستعمل العاج في أدوات الزينة ومقابض السيوف، والسكاكين وبعض التحف الثمينة. تمتد تجارة العاج من أسواق توات إلى أسواق ورجلان ثم إلى أسواق الشمال في الشرق الجزائري، وهم بدورهم يصدّرونه إلى الأقطار الأوروبية[1].

- الأغنام: تعرف في الأسواق المحيطة بالسودان الغربي مثل توات و غدامس و ورجلان بـ (سيداون) نسبة إلى المنطقة التي أتت منها، كان الإقبال عليها كبير من طرف التجار التواتيين و يخضع سعرها و وفرتها تبعا للظروف الطبيعية، فيرتفع ثمنها عند نزول المطر، و توفر الكلأ و يرخص ثمنها في موسم الجفاف، تجمع الغنم كبيرها وصغيرها وتباع لتجار توات جملة واحدة، ولا يقع التفريق بين ثمن الصغير و الكبير، كما يشترك عدة موالين و يجمعون ماشيتهم و يبيعونها[2]. إلى جانب الماشية يستورد تجار توات الجمال، لاستخدامها أثناء العودة لحمل البضائع و يبيع تلك التي أنهكها التعب في الصحراء، وأسعار الجمال مرتفعة جدا نظرا لأهميتها الاقتصادية وقدّر ثمن الجمل الجيد بحوالي 200 مائتي فرنك [3].
- القَديد: يأتي القديد من الأسواق السودانية إلى سوق توات، وهو عبارة عن لحم المواشي و الجمال وبعض الحيوانات البرية وحتى لحم النعام؛ حيث يجفف بطريقة تقليدية، ويستعمل في هذه العملية الملح والتوابل ويعرض لأشعة الشمس حتى يفقد جميع السوائل، ويصبح قابلا للحفظ و التخزين[4].
- الجبن المجفف: تجلب إلى سوق توات من السودان الغربي مادة الجبن المجفف أو ما يعرف (الكَلِيلَة) وهو عبارة عن حليب للمواشي والجمال والأبقار تمّ تجبينُه وتجفيفه بطريقة تقليدية، فيمكن الاحتفاظ به لمدة طويلة و يستعمل في تحضير بعض الأطباق في منطقة توات مثل الحساء[5].

---

[1] – أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من 1000-1301هـ/1591-1833م،أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ ، جامعة أدرار، 2009-2010م، ص 37 . ينظر: مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر ،ج2، 2007م، ص 200-201.

[2] – باي بن عمر: نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي ، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، آولف، أدرار، الجزائر، الورقة 491و.

[3] – Oskar (lenz): Op.cit, p 103.

[4] – بول مارتي:كنته الشرقيون، المصدر السابق، ص168.

[5] – يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص46-47.

- الجلود والمصنوعات الجلدية: تُصَدّر منطقة السودان الغربي الجلود والمصنوعات الجلدية بكميات كبيرة إلى منطقة توات، و منها إلى أسواق الشمال لأن المنطقة رعوية، ويتم بيع الجلود بعد دَبغها لتصبح خفيفة الوزن، كما تصدر على شكل مواد مصنعة مثل صناعة الحقائب والأحذية، ومحافظ النقود، وأدوات تجميل المرأة، و السروج، و يغلف بها أغماد السيوف و السكاكين، و يصنع منها المزود [1]. إلى جانب جلود الماشية والبقر والإبل هناك جلود الحيوانات المفترسة، و بعض الزواحف مثل النمور و الأسود والأفاعي و العظايات و غيرها[2].
- التوابل و الأعشاب الطبيعية: تنموا في السودان الغربي أصناف عديدة من التوابل والنباتات الطبية، التي يكثر عليها الطلب من طرف تجار توات لأهميتها الطبية والغذائية، وهي مواد تستخدم كمواد للجميل مثل الزنجبيل (العود لبيض)، و الفلفل الأسود، و القرفة [3]. و هي غالية الثمن يقبل عليها تجار توات لكونها مطلوبة جدا و مفضلة في الأسواق المحلية و تصدّر إلى أوروبا عن طريق موانئ الشرق الجزائري بعد مرورها على سوق ورجلان.
- ريش النعام وبيض النعام: يجلب من الأسواق السودانية بيض النعام على شكل صورتين، إما فارغا من الملح و مغلف في بعض أجزائه بالجد و ريش النعام، و يستعمل في تزيين المنازل، أو بيضة في شكلها الطبيعي تستعمل في تحضير العقاقير لمعالجة بعض الأمراض مثل البرد و الروماتيزم، و يمكن توقع ربحا صافيا مائتي فرنك عن كل نعامة سنويا[4]. وبلغ حجم تجارة ريش النعام في منتصف القرن 13هـ/ 19م حوالي 25 مليون فرنك سنويا[5].

---

[1] – عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيكين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1971م، ص 223.

[2] – المختار ولد حامد: التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،ط1، 2000م ، ص 85.

[3] – مختار حساني، المرجع السابق، ص 200.

[4] – رولفس غيرهارد: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني رولفس، تر. عماد الدين غانم، منشورات مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000م، ص266.

[5] –المرجع نفسه، ص 266.

- الفول السوداني: يعرف محليا (بالكاكاو) ينتج بكميات كبيرة بسبب ملائمة الظروف المناخية لزراعته، يقبل على شرائه التجار من شمال إفريقيا بما فيهم تجار توات[1].
- الصمغ: هو مادة نباتية تستخرج من أشجار الصمغ و يستعمل في عدة مجالات مثل صناعة الحبر والدواة، و يستعمل في العقاقير الطبية. و ينقسم إلى قسمين الصمغ الأشقر، والصمغ البني. يتم جنيه بين شهري نوفمبر وماي[2].

ب – صادرات إقليم توات إلى السودان الغربي:

- التمر: يعتبر من السلع التي يكثر عليها الطلب في منطقة السودان الغربي لافتقار المنطقة من أشجار النخيل، ولأهمية التمر عند سكان السودان الغربي لكونه غذاء كامل مع الحليب يصلح حفظه ويستعملونه كمادة أساسية في غذائهم اليومي، فتجتمع القوافل التي تأتي بتمر وادي ريغ و ورجلان، ووادي سوف ثم تصدره إلى السودان الغربي، وأكثر الأنواع طلبا هي الأنواع التي لها القدرة على البقاء أطول مدة مثل (تمر تقازّة) و (تمر تناصر) من توات[3]. والدقلة من ورجلان و واد ريغ، و قد كانت قوافل الجمال تقوم بتكسير التمر ونزع منه النوى و يوضع في أكياس من الجلد تسمى (الغرابر) لكي يكون خفيف الحمل و يمكن أن يحمل منه اكبر كمية ممكنة على ظهر الجمال[4].
- الملح: اعتبرت من السلع الرئيسية التي احتلت مكانة هامة في تنشيط عملية التجارة بين توات والسودان الغربي، بحيث يستخرج الملح من السّباخ المنتشرة بالإقليم التواتي، فيجدونه مختلطا بالتراب فيعزلونه منه وأشهر الملاحات بتوات ملاحة (فرسيق) التي تقع شرق اقسطن بمنطقة تديكلت، أما المصدر الأساسي

[1] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن13هـ/19م ، المرجع السابق، ص362.

[2] - Augustin (Hacquard): Monographie de Tombouctou accompagnée de nombreuses illustrations et d'une carte de la région de Tombouctou ,société des études coloniales et maritimes, paris,1900, p 23.

[3] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن13هـ/19م ، المرجع السابق، ص366.

[4] – أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 110.

فهي منطقة تاودني بمنطقة الأزواد، فيها تتوجه القوافل الكنتية مرتين في السنة، و كانت القوافل عندما تصل إلى تاودني من الشمال يقايضون ما قَدِموا به من السلع والمواد الغذائية خاصة التمر مقابل ألواح الملح التي يصل طولها إلى متر و ثلاثين سنتيم ، وعرضها ما بين أربعين إلى خمسين سنتيم وتزن في المتوسط العام 30 كيلوغرام وعادة ما تحمل الجمال أربعة ألواح فإذا كانت مكتراة فاللوحة الرابعة تعطى للمكتري[1].

كان الملح معدوما في داخل السودان الغربي لذلك كانت القوافل القادمة من الشمال خاصة التي تمر من توات يجلبونه، لأن تناوله بانتظام من ضروريات البقاء، والحرمان منه مشكلة خاصة في المناطق الحارة[2]. وارتبط الملح بالذهب ارتباطا وثيقا، لكن هذا الارتباط لا يعني وجودهما في مكان واحد أو قربهما، بل راجع إلى أن الملح كان السلعة التي يتلهف ويقبل عليها السودانيون المنتجون للذهب، والذي يدفعونه للحصول على الملح[3]. حيث ذكر ابن بطوطة: أن أهل بلاد السودان الغربي يتصارفون بالذهب والفضة [4]. وذلك لأن الملح يستخدم في تخفيف الطعام والمحافظة عليه، فضلا عن إعطائه مذاق خاصا، ولم يكن في الإمكان الحصول على الملح جنوب الصحراء إلا بعملية شاقة أي تقطير الحشائش، ومن ثَمّ ظهرت أهمية الملح في الصحراء ،وبلغت لدى السودانيين درجة كبيرة تقدر فيها قيمة الذهب بقوته الشرائية للملح ولم تكن رواسب الملح الطبيعية في السودان الغربي فحسب، بل كانت مركزة في مساحات صغيرة فكان لابد من الحصول عليه خارج الإقليم[5].

-الشاي والسكر: زاد الإقبال على شراء الشاي و السكر نتيجة انتشار تناوله في المدن و البوادي، و كان يباع السكر مع الشاي مجتمعان، إضافة إلى الفوائد الكبيرة للشاي خاصة في المناطق الحارّة. فكانت

[1] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ص ص 97، 98. ينظر:ملحق الصور ، الصورة رقم04، ص 162.

[2] – أ.ج. هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية تق، محمد عبد الغني سعودي، تر. أحمد فؤاد بليغ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ، القاهرة، 1998م، ص 323.

[3] – حسن الصادقي: أضواء على ممالك غرب إفريقيا و علاقاتها ببلاد المغرب، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ص87.

[4] – ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 674.

[5] – محمد عبد الغني سعودي: قضايا افريقية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت،1980م، ص 65.

مادة الشاي والسكر تأتي لأسواق توات من عدة مناطق سواء من أسواق المغرب الأقصى أو أسواق الشمال الجزائري أو من غدامس، و حتى القهوة كانت تصل إلى توات من هذه المناطق، و هذا ما أثار دهشة المستكشف رولف عندما رأى القهوة في تديكلت بعين صالح و ذكر أنها ترد إلى عين صالح من غدامس و من أسواق توات تصدر الشاي و السكر إلى السودان الغربي و قد أفتى علماء الأزواد بجواز بيع السكر و الشاي مجتمعان[1].

- الأبسطة والأقمشة: اشتهرت منطقة توات بصناعة النسيج أو الأبسطة المعروفة بالدُّكالي [2]. فكانت أبسطة الدُّكالي ترى رواجا كبيرا في أسواق السودان الغربي، بحيث يعتبر امتلاك الدُّكالي التواتي في تنبكتو مظهرا من مظاهر الترف و الثراء، و قد دلّت نوازل البلبالي على وصول أبسطة الدُّكالي إلى أسواق السودان الغربي فجاء في النازلة: " وسُئل عن رجل له أكسية بعثها مع آخر ليبيعها له في بلد لمبروك ثم أن المرسل إليه باعها لأجل و توفي المشتري..." [3].

إضافة إلى الأبسطة والأقمشة الصوفية المحلية التواتية كانت القوافل تحمل معها بعض الأقمشة المستوردة من أوروبا وخاصة قماش النّيلة و هو قماش أسود يصبغ جِلدُ لابِسُه بلونه، وتلبسه النساء كلحاف و يستعمله الرجال كعمائم، و اسمه مشرق من الشجر يصبغ من ورقه اسمه النيل. و اعتبرت النيلة حسب الأوروبيين أوراق الصحراء النقدية نظرا لكثرة الإقبال عليها، وكانت وحدة القياس هي "البَيْصَة" من أصل فرنسي و هو (Pièce) حيث بلغ سعر البيصة خلال القرن التاسع عشر 19م عدائل من الملح في المعجل، و ثلاثة عشر إلى أربعة عشر في المؤجل[4].

- التبغ: بالرغم أن التبغ أو (الشمة) كان يزرع في السودان الغربي، إلا انه كان الإقبال كثيرا على التبغ القادم من توات لأنه يختلف عن تبغ السودان الغربي، ويعتبرونها أجود من التبغ الذي يزرع في أرض

[1] - باي بن عمر: النوازل، المصدر السابق، الورقة 472و.

[2] - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, p 322.

[3] - البلبالي: المصدر السابق، الورقة 338و.

[4] - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص365.

السودان الغربي لذلك كانت القوافل التجارية تحمله على ظهر الجمال في الشباك الذي يصنع من ليف النخيل كمحافظ خاصة لحملة التبغ[1].

- الأدوات الحديدية: كانت تصدر من توات إلى السودان الغربي مجموعة من الأدوات الحديدية ذات الاستعمال الواسع، حيث يصنع معظمها محليا من قبل الحدادين و منها: السكاكين، والسيوف، وأقفال المنازل، و الألجمة الخاصة بالأحصنة و الدواب [2]، وكذلك الفؤوس و المعاول و المناجل، و السروج والبنادق، و الدروع، و الخوذات، و السهام، الأقواس، والنّشاب[3].
- بضائع الزينة و الرفاهية: أغلبها كان يأتي من أوروبا إلى شمال إفريقيا ومنها إلى السودان الغربي مرورا بأسواق الصحراء مثل توات و ورجلان وأهمها: العطور، الإبر، الحلي، المرايا، الأواني الزجاجية، المرجان الأحمر، العقيق، الحرير، اللؤلؤ[4].
- الكتب والمخطوطات: كانت الكتب من الواردات الهامة إلى بلاد السودان حيث كان يوجد في تنبكتو سوق رائجة للمخطوطات العربية التي تأتي من بلاد المغرب [5]ومصر، وكانت أثمانها مرتفعة خاصة في عهد مملكة السنغاي (1493- 1591م) نتيجة ازدهار العلوم التي تدرس في مدارسها، فأثمانها في تنبكتو تزيد عن أثمانها في المغرب بالضعف و نصف الضعف تقريبا [6]، فقد كانت الكتب تحمل إلى تنبكتو ثم تنسخ وتباع في أسواق المدينة، و كانت تلقى إقبالا كبيرا من الطلبة المنشغلين بالعلم والسلاطين و الأمراء. فقد كان العلماء من المغرب العربي سواء من طرابلس أو الجزائر و توات وتلمسان و فاس و مكناس و مراكش يرحلون إلى المدن السودانية للتدريس، ونشر الثقافة الإسلامية حاملين

---

[1] - Devors: Op.cit, p 233.

[2] - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 120.

[3] - المرجع نفسه، ص 121.

[4] - جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن13هـ/19م، المرجع السابق، ص367.

[5] - الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 330.

[6] - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية، المرجع السابق ص36.

معهم الكتب المخطوطة، و من أشهر العلماء التواتيين الوافدين إلى السودان محمد بن عبد الكريم المغيلي[1].

-المبحث الثالث: العملة و أدوات القياس و المكايل و الموازين.

أ-العملة:

لم يكن التعامل بالعملة أمرا شائعا في التجارة بين توات والسودان الغربي، حتى بداية القرن العشرين20م، ومعظم التعامل كان يتم بالمقايضة بالملح، والذهب ، والتمر ، والودع ، وقماش النيلة المعروف بالبيصة ، والأنعام. ولكون منطقة توات و السودان الغربي منطقة تجارية مفتوحة مع عدم وجود سلطة مركزية تسعى إلى صك العملة وتحديد قيمتها[2]، نجد في التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي مجموعة من العملات تأتي من المناطق المجاورة، أو حتى من مناطق بعيدة، وهو ما شجع على المقايضة واستعمال مواد محددة كعملة للتبادل، و ظهور تجار العملة الذين يستبدلون العملات[3]، و من أهم العملات نجد:

-المثقال من الذهب: كان المثقال الذهبي عملة رائجة في الأسواق التجارية ؛ حيث ذكر مارتان (Martin) أن المثقال المستعمل في توات مقداره 4.50 غ[4]،حيث يساوي 24 قيراط و كل قيراط يساوي حبة من الخروب أو أربع حبات من القمح، و البعض يرى أن المثقال يعادل الدينار الذهبي الذي مقداره 4.25 غراما و قدّر بارث (Barth) قيمة المثقال في تنبكتو منتصف القرن 19 بين ثلاثة آلاف و أربعة آلاف كوري[5]. أما لانز (Lenz) فقال أن المثقال في تنبكتو يعادل ثلاثة آلاف و أربعة آلاف ودعة، أما سعره في المثقال أروان يساوي 8 إلى 10 فرنكات و في تنبكتو يساوي ما بين

[1] - يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 47.

[2] - حمى الله التيشيتي: المصدر السابق، ص ص 250، 251.

[3] - باي بن عمر: المصدر السابق، الورقة203 و.

[4] - Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, p 19.

[5] - عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976م، ص 177.

10 إلى 12 فرنك[1]. ويتعامل بالمثقال أيضا في المغرب الأقصى حيث أن الرحالة العيّاشي تعامل بالمثقال الأربعيني الشريفي المضروب في سجلماسة عند زيارته إلى منطقة توات 1074هـ/1663م[2].

وما يدل على استعمال المثقال الذهبي في التجارة بين توات والسودان نازلة شراء سلعة بكذا ذهبا استرضى صاحبها أن يقبض ثمنها في منطقة التكرور في أجل معين، فقبضها فيه بعد حلول الأجل فأفتى بجواز ذلك مستدلا في أجابته بمدونة سحنون [3]. كما ذكر ديبورتر (Deporter) أن القافلة التي كانت تتجه من عين صالح إلى تنبكتو، كان أصحابها يقومون بكراء حوانيت بالمثقال الذهبي[4].

- الريال: هو قطعة اسبانية تزن 25 غرام، ويوجد الريال الفرنسي و هو يزن نفس الوزن و هو قطعة من 5 فرنكات، وتوجد أيضا عملة عثمانية منها الريال بوجو و المسمى بريال صغير يتراوح وزنها ما بين 8.5 غ إلى 20.2 غ و تقسم إلى 8 موزونات، يذكر كولونيو (Colonieu) أن الريال في منطقة تديكلت قيمته 6 أوقيات أو 24 موزونة وأقسامه هي الربع أو (الرْبَيَّع) الذي يساوي 6 موزونات وهذا يدل على حيوية السوق بتوات لصرف العملة[5].

وُجِد الريال أيضا في أسواق السودان الغربي، خاصة الريال العثماني، الذي كان يصنع من الفضة ويضرب دار السكة في كل من تونس وليبيا والجزائر وانتقلت هذه العملة من الشمال إلى أسواق السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء[6].

---

[1] - Oskar (lenz): Op.cit, pp 103, 156.

[2] - العياشي: المصدر السابق، ج1، ص 465.

[3] - زاجيه هرباش: المرجع السابق، ص 297.

[4] - Deporter: Op.cit, p 175.

[5] - Colonieu (Commandant): voyage au Gourara et l Aougurout 1860, Bulletin de la société de géographie d'Oran, TIIIX, 1903, p 62.

[6] - عثمان حساني: البيئة الاجتماعية و الاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و 19م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006- 2007، ص 107 م.

- المحبوب (الدينار السلطاني): كان من العملات المتداولة كما جاء في الرسائل للشيخ المختار الكنتي [1]، وكان يعرف أيضا بالدينار الذهبي، ويعد السلطان العثماني سليم الأول هو الذي صك هذه العملة الذهبية سنة 923هـ/ 1517م و كتب عليها كلمة (السلطان) لهذا عرف بالدينار السلطاني وأطلق عليه أيضا اسم المحبوب ، وكانت له أجزاء مقدرة بالنصف والربع و يزن المحبوب 2.31جرام من الذهب و كان يساوي خمس 5 فرنكات فرنسية و يساوي في الجزائر 11 فرنك[2].
- الودع أو الصدف: هي عبارة عن قواقع أو ودعات تعرف بالكوري (Cauris) [3]. تنموا في البحار الحارة جلبها العرب من المحيط الهندي عن طريق البرتغاليين، صرفها في تنبكتو يساوي الآلاف فكل 4000 آلاف كوري يقابلها واحد من الذهب أو الفضة أو من قطعة من 5 فرنكات أو من الضّبنون أو من 5 قطع فضية.

كانت تستعمل في المعاملات التجارية بالنسبة للسودان الغربي ،كعملة و لقد فقدت مكانتها في منطقة توات، فالسودانيون كانوا يستخدمونها مع التواتيين كوسيلة نقد يتقبلونها منهم في معاملاتهم، حتى وإن لم تكن جارية في بلادهم كعملة إلا أنهم كانوا يلج ؤون إليها مع التجار السودانيين عند انتقال قوافلهم إلى السودان الغربي، مما يسهل عليهم عملية التبادل التجاري[4]. و لقد ورد ذكرها في نازلة سُئل سُئل فيها الحاج محمد بن أب الذي كانت لديه بضائع أوكلها إلى شريكه محمد بن بكار ليبيعها في السودان الغربي و يرسل إليه أثمانها التي كانت من الذهب والودع والملح[5].

---

[1] – محمد بن المختار الكنتي: الطرائف و التلائد، المخطوط السابق، الورقة: 422. و.

[2] – عثمان حساني: المرجع السابق، ص 107.

[3] – الكوري: عملة فارسية وهندية، قيمتها منخفضة جدا، بحيث أنّ 1000 كوري يساوي 0.75 فرنك، ينظر: يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 219.

[4] – Lo (capitaine): Les Foggaras du Tidikelt, travaux de institue de recherche saharienne, T.X 1953, et TXI 1954, université d'Alger, p 150.

[5] – البلبالي: المصدر السابق، الورقة 318 و.

- الملح: عملة الملح المغربي الذي يقطع إلى قطع صغيرة مختلفة الأحجام و الأشكال تستغل في البيع والشراء، فهناك قطع تساوي 20 دوخة أو 160 فرنك، و قطع تساوي 30 دوخة أو أربعين فرنك، وقطع تساوي 40 دوخة أو 320 فرنك و تساوي حمولة الملح في تنبكتو 80 دوخة على عهد الحسن الوزان[1]. وكانت الملح تستعمل في شراء العبيد أيضا حيث كان يباع بقطعة ملح بقدر رجليه، ثم ارتفع سعره ليصل إلى حمل بعير من الملح[2].

وتحسب الملح بالعَديلة، ولم تستعمل هذه ال كلمة عند الجغرافيين كالبكري وابن بطوطة ،بل استعملت كلمة الأحجار أو الألواح و ورد ذكرها في نوازل الغنية للبلبالي في منطقة توات [3]، وفي قرية المبروك في السودان الغربي جرت العادة باستعمال الملح كعملة حيث تشتري السلع بعدد أحجار الملح لكل مثقال حجر[4]. وأوردت نوازل البلبالي فتوى للتجار التواتيين الذين يتعاملون بالملح، فسأل أحدهم على أنه اشترى سلعة بعدد من أحجار الملح وما تبقى له حسب النازلة، تم دفعه بالذهب في قرية المبروك فأجابه البلبالي بأنه لا يجوز [5]. وفي نازلة أخرى تمنع رد دين بغيره إلا إذا عزّ وجوده، وهو ما يدفع المدين إلى تعويض قيمته بالذهب[6].

- العملة النحاسية السلطانية: وهي ذات قيمة منخفضة جدا بحيث أن 400 قطعة رقيقة منها لا تساوي سوى دوخة واحدة[7]. و هي أيضا عملة عثمانية كانت مصنوعة من النحاس و بها ختم السلطان[8]. السلطان[8].

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 48- 49.

[2] – أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 107.

[3] – زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 317.

[4] – المرجع نفسه، ص317.

[5] – البلبالي: المصدر السابق، الورقة 154 و، 156 و.

[6] – المصدر نفسه، الورقة 206و.

[7] – يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 48.

[8] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن13هـ/19م ، المرجع السابق، ص 377.

- العملة الورقية الفرنسية: ورد ذكرها في المصادر بعدة تسميات ذكر الشيخ باي الكنتي بأنها قراطيس يكتب فيها جعلتها فرنسا و سميت (بالكارطة) أيضا، فوقع خلاف بين العلماء هل يجوز بها سائر المعاملات الدنية أم لا كالاقتراض، و الزكاة[1].

كما توجد عملات أخرى متداولة بين توات والسودان الغربي مثل:

- الدوخة بنوعيها الذهبية و الفضية.
- الدراخمة: و هي عملة مستوردة من الخارج من طرف التجار.
- المجيدي: و يساوي 4.5 فرنك.
- المحبوب الذهبي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- الموزونة الفضية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- الصائمة النحاسية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- الدورو الفضي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- البنتو و هي عملة أجنبية مستوردة من الخارج[2].

أورد كوداري (Coudray) عن أسعار السلع و البضائع أن الحصان الجيد الذي يساوي 30 دوخة في الشمال (240 فرنك) ، يباع في السودان بعدد 17 عبدا أسودا، كما ذكر أن سعر العبد الذكر 20 دوخة و سعر الأنثى 18 دوخة و سعر الخصي 40 دوخة[3].

وأورد المؤرخ يحي بوعزيز نقلا عن الرحالة بوزو (Bozzo) أن البضائع تشترى في السودان الغربي بالأسعار التالية:

---

[1] - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص 377.ينظر: باي بن عمر: المصدر السابق، الورقة، 284و/ظ.

[2] - يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 49.

[3] - Henri (stuchli), Le commerce de la France avec le soudan, calomel, paris,1864, pp 21- 28.

- العاج: من 200 إلى 220 ألف كوري للقنطار الطرابلسي (50كلغ) و هو ما يعادل 200 إلى 220 فرنك.
- ريش النعام: من 50 إلى 60 ألف كوري للكيلو غرام، أو 560 إلى 60 فرنك .
- تبر الذهب: من 07 إلى 08 آلاف كوري للمثقال.
- العبد الذكر من 120 إلى 130 الف كوري أي 130 فرنك.
- الأَمَة: من 150 إلى 200 الف كوري أي 150 إلى 200 فرنك[1].

تدفع القوافل القادمة من توات إلى تنبكتو ما بين 12 و 24 مثقال ذهب لحمولة 3 قناطر، أو 45 محبوب لحمولة 70 قطعة قماش تزن ثلاثة قناطر، وهو ما يعادل 1900 فرنك و يتم الدفع على الشكل التالي:

من توات إلى تنبكتو يدفع التجار 5 محبوبات لتوارق الهقار و 10 محبوبات أو نصف مثقال لعرب البرابيش و بذلك فان حمولة 150 كلغ من توات إلى تنبكتو تكلف 380 فرنك. أي 250 فرنك لمائة كلغ.

و يدفع التجار الضرائب في الذهاب والإياب على الشكل التالي:

- في غات خلال الذهاب 1 مجيدي للحمولة (4.5 فرنك)، و خلال العودة 2 مجيدي (9 فرنك).
- في أقاديس 20 فرنك للحمولة. وفي كانو خلال الذهاب 25 فرنك للحمولة، وخلال العودة 20 فرنك.
- في زندر خلال العودة: العاج و ريش النعام و20 فرنك للحمولة، و خلال الذهاب 10 فرنك[2].

[1] – يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 51.

[2] – المرجع نفسه، ص 53.

ب-المكاييل و الأوزان:

- المُد: المقدر بحفنة باليدين المتوسطتين يستعمله التجار و العامة عند كيل المواد الجافة ،كالتمر والحبوب ويكثر استعماله عند إخراج الزكاة صبيحة عيد الفطر، ويختلف من منطقة إلى أخرى و هو عند الجمهور حوالي خمسمائة و عشر غرامات[1].
- الصّاع: يساوي أربعة أمداد[2].
- القَصْعة: استعملت في إقليم توات والسودان الغربي وهي وحدة لكيل الحبوب والتمر وتعادل 2.5كلغ[3].
- المـزْوَد: جلد من الغنم أو البقر يعادل خمسين أو ثمانين كيلوغرام حسب المادة أي ما يستطيع أن يحمله الرجل أو العبد فوق ظهره[4].
- الحِمل: يعادل ستون صاعا[5]
- آزقن : و هو إناء صغير من الخشب أو الحديد يتم به الوزن و هي تعادل 205 لتر أي ما يعادل 2 كلغ، ويستعمل لوزن الحبوب [6]في السودان الغربي، و تتغير قيمته في منطقة توات حيث أشار فوانو(Voinot) أنه تحدد في منطقة أقبلي بـ: 0.360كلغ و في آولف 0.175كلغ و بعين صالح 0.250كلغ [7].
- العَديلَة: و هي قطعة من الملح اختلف في وزنها و حجمها، حيث يذكر بارث (Barth) أن وزنها بين خمسين و خمسة وستين كيلوغرام، و طولها خمسة أقدام وخمسة بوصات 1.5م، وعرضها 13 بوصة

---

[1] - علي جمعة محمد: المكايل و الموازين الشرعية، مطبعة القدس، القاهرة ،ط2، 2001 م ، ص 36.

[2] - Augustin (Hacquard): Op.cit, p 57.

[3] - خير الدين شترة: العلاقات الاقتصادية بين توات والسودان الغربي، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، ادرار ،14-15 أفريل 2009م، ص 314.

[4] - محمد الصالح حوتية: آل كنته، المرجع السابق، ص 101.

[5] - المرجع نفسه، ص 101.

[6] - محمد أعفيف: المرجع السابق، ص 363.

[7] - Voinot: Op.cit, p 144.

33 سم، وسمكها بوصتين ونصف 6.35سم، أما لانز (Lenz) فقال أن طولها متر و وزن المتوسط منها تقريب سبعة و عشرين كلغ 27 كلغ، أما اوغستين (Augustin) فذكر أن طول عدائل الملح 1.3 وعرضها بين 54 سم وسمكها بين 4 و 5 سم، و وزنها حوالي 30 كلغ وثمنها بين 15و 35 فرنك حسب جودتها، ومن هنا يمكننا القول أن العديلة ليس لها مقياس محدد و أنها تختلف حسب نوعية الملح، فهناك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ولم تعد العديلة تستخدم للملح فقط ففي توات مثلا تستخدم كوحدة لقياس التبغ و متوسط وزنها بين 60 و 80 كلغ[1].

- الغَرارَة: هي أكياس تصنع من الوبر و الصوف أو من ليف النخيل مختلفة الأحجام، الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، يحمل منه الجمل من اثنين إلى أربعة، تستخدم في نقل البضائع مثل الحبوب والتمر، والفواكه المختلفة، والغرارة المتوسطة تساوي 35 زقن أي 70 كلغ تقريبا، أما الكبيرة فتحمل 30 صاعا فتزن قنطار و 25 كيلوغرام، و غرارتين هي حمل جمل و يبلغ حوالي قنطار و نصف[2].
- المثقال: وحدة يقاس بها الذهب و الفضة يساوي 24 حبة من الخروب و كل حبة تزن 4 حبات من القمح، و يقدر وزنه تقريبا 4.5 غرام و هذه الوحدة لها نفس القيمة في توات و السودان الغربي حيث وجدت في قاو قطعة من الزجاج كانت هي وزن المثقال قدر وزنها بحوالي 4.5 غرام [3]. و عبر مارتان (Martin) على ميزان من نحاس يمتلكه نقيب أشراف تيمي تحدد به نسبة التبر المستعمل في توات والمقدر ب 4.50 غ[4].
- القيراط: يقاس به الذهب و الفضة حيث يساوي 3 حبات من القمح و هو 24/1 من المثقال ويستعمل أيضا لقياس المياه و خاصة في منطقة توات[5].

---

[1] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، المرجع السابق، ص ص 381-382. ينظر: الملحق رقم 03.

[2] – أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 109. محمد اعفيف: المرجع السابق، ص 138.

[3] – عبد القادر زبادية: الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 54.

[4] – زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 327.

[5] – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, p 19.

ج – أدوات القياس:

- الشّبر: وهو المسافة بين الخنصر والإبهام عندما تكون اليد مفتوحة، وهو يعادل 21.5 سم
- القدم: لقياس الأرض و تحسب قدما بعد أخرى و تستخدم لمعرفة وقت الزوال.
- الذراع: وهو وحدة الطول ويحدد الذراع ما بين المرفق ونهاية الوسطى، ويساوي 50 سم في المتوسط، ويصل في السودان الغربي إلى 55 سم.
- القامة: فهي قامة الرَّجُل المتوسط و تساوي في 170 سم.
- الحبل: مسافة 1920 متر.
- الفرسخ: تعادل ثلاثة أميال، أي ستة كيلومترات[1].
- البريد: وهي وحدة قياس طويلة، ويحدد طوله بسرعة حصان لمدة ساعة من الزمن دون انقطاع، و قدر بمسافة 12 ميل أو أربعة فراسخ أي 24 كيلومتر[2].
- البيصة: وحدة لقياس القماش تساوي ثلاثين ذراعا من الكتان خمسة عشر متر[3].

وفي خاتمة هذا الفصل نستنتج أن توات كانت همزة وصل وملتقى طرق القوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب والمتجهة إلى أسواق السودان الغربي وإفريقيا جنوب الصحراء عامة ، كما نلاحظ تعدد المسالك التي تربط توات بالسودان الغربي، وتُغيّر القوافل سيرها من طريق إلى آخرا بسبب توفر الماء والكلأ، وبسبب الأمن من قطاع الطرق، ويمثل الملح والتمر والتبغ أعلى نسبة في الصادرات التواتية كما يمثل الذهب والعبيد أعلى نسبة الواردات التواتية من السودان الغربي، كما كان أسلوب المقايضة هو الغالب في التعامل التجاري، مع وجود عملات كثيرة محلية وأجنبية، معظمها مشتركة بين إقليم توات والسودان الغربي إلا عملة الملح والودع، فلم نعثر على استعمالهما كعملة في توات، مع استعمالهما في أسواق السودان الغربي. ونتج عن هذا التواصل التجاري المزدهر بين إقليم توات والسودان الغربي أثار ونتائج اجتماعية، وثقافية واضحة زادت من

[1] – الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 338.

[2] – عبد القادر زبادية: الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 199.

[3] – مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمنطقة الأزواد خلال القرن13هـ/19م، المرجع السابق، ص ص 383.

قوة ودعم هذا التواصل، فما هي آثار ونتائج التبادل التجاري بين إقليم توات والسودان الغربي الاجتماعية والثقافية؟ و هو ما نحاول الإجابة عنه في الفصل الموالي والأخير من هذا البحث.

-الفصل الرابع: الآثار الاجتماعية و الثقافية للتبادل التجاري بين توات و السودان الغربي.

-المبحث الأول: الآثار الاجتماعية.

أ – هجرة القبائل العربية.

ب– تنقل الزنـوج الأفـارقة.

-المبحث الثاني: الآثار الثقافية.

أ– الرحلات العلمية.

ب– التصوف في توات وبلاد السودان الغربي

ج– ركب الحجيج.

– خاتمة.

وفي ختام هذه الدراسة التاريخية التي حاولنا من خلالها إجلاء الغُبار عن بعض المعلومات المغمورة في المصادر المحلية والأجنبية؛ التي تبين الواقع الاقتصادي لتوات والتبادل التجاري المزدهر بين إقليم توات وحواضر السودان الغربي، وما نجم عنه من نتائج اجتماعية وثقافية. وأُلخّص المقاربات والنتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية :

- المصادر المحلية كالمخطوطات والتقاييد والرسائل لم تعط إحصائيات دقيقة عن الواقع الاقتصادي لتوات، عدا بعض المعلومات التي تستنتج من النوازل وأبرزها نوازل البلبالي، والجنتوري ، والزجلاوي. ومع ذلك احتفظت لنا بمعلومات مهمة تعكس الوضع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي لتوات في العصر الحديث.
- القرب الجغرافي والتواصل الإقتصادي؛ أدى إلى وجود تواصل اجتماعي بين توات والسودان الغربي، حيث نزحت بعض القبائل من توات نحو الأزواد أو العكس كقبيلة كنته وفلّان، كما كان لهجرة الزنوج الأفارقة الأثر الواضح اقتصاديا؛ بفضل سواعدهم في خدمة الزراعة، وحفر الفقّارات وبناء القصبات. واجتماعيا بحيث ظهرت فئة العبيد و الحراطين ضمن خلية المجتمع التواتي.
- ساهمت القوافل التجارية في إيصال الطرق الصوفية من توات إلى السودان الغربي، والتي كان لها دور كبير في نشر الإسلام وتوطيده بإفريقيا، وأبرزها الطريقة القادرية التي تفرعت منها فروع : كالشاذلية والبكائية والمريدية. وتصدر مشايخ الصوفية الزعامة الروحية والسياسية في السودان الغربي.
- ساهم احتكاك التجار التواتيين مع سكان السودان الغربي إلى نشر اللغة العربية ، وفي نفس الوقت تعلموا لهجاتهم المحلية كالهاوسا ، والزرمة، والبمبارا، ، فقلّما تجد تاجرا لا يتقن إحداها، إضافة إلى اللغة الطارقية الموجودة في منطقة توات لوجود الطوارق.
- تصدرت قبيلة كنته مشيَخة الطريقة الصوفية القادرية في توات والأزواد، فأسّسوا عدة زوايا علمية وصوفية ساهمت في دعم الحياة العلمية بتدريس العلوم الشرعية وترسيخ عقيدة الإسلام واللغة العربية.

- كان لقبيلة فلّان حركة إصلاحية علمية في السودان الغربي بفضل زعيمها الشيخ عثمان دان فودي القادري تصوفا، المالكي مذهبا، مؤسس دولة الفلّان وفق قواعد الشريعة الإسلامية متأثراً بأفكار الشيخ المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي التواتي، كما كان لقبيلة فلان في إقليم توات دور علمي واضح بفضل ما أنجبت هذه القبيلة من علماء، وفقهاء، وقضاة ؛ منهم الشيخ حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي. والعلامة الشيخ محمد باي بلعالم في تاريخنا المعاصر.
- ساهم ركب الحجيج في إعطاء مزيد من التواصل والاحتكاك بين العلماء والطلبة من توات والسودان الغربي، حيث كانت محطات التوقف في تديكلت بأقبلي وعين صالح فضاء واسعاً لهذا الاحتكاك.
- اهتم المستكشفون الأوروبيو ن خاصة الفرنس يون بالإحصائيات الاقتصادية الدقيقة لإقليم توات ونذكر منهم مارتان، رولف، ساباتيي، بيسون، بيسال؛ فأعطوا معلومات عن أعداد النخيل والفقارات، والثروة الحيوانية من أغنام وجمال،كما اهتموا بالحرف والصناعة التقليدية والوسط الطبيعي والبشري لإقليم توات.
- شكلت المياه ثروة حقيقية اهتم بها سكان توات، فحفروا الفقارات للاستفادة من المياه الجوفية التي تزخر بها المنطقة ؛ فقسموا مياه الفقارات بينهم بطريقة علمية حسابية دقيقة تظهر مدى عبقرية سكان توات وتأقلمهم مع قساوة الطبيعة الصحراوية والاستفادة منها.
- تعتبر الزراعة من أهم القطاعات التي ساعدت سكان توات في تأمين معيشتهم ، واستغلوا بعض المحاصيل كالتمر، والقمح ، والحناء ، والتبغ، في مقايضة بعض المنتوجات الأساسية غير المتوفرة سواء من الشمال أو السودان الغربي.
- تعكس الحرف والصناعات التقليدية حسن استغلال التواتيين للموارد المتوفرة، خاصة النخيل ، والطين ، والجلود، والصوف؛ صنعوا بها وسائل و أواني يحتاجونها في حياتهم اليومية سواء في القصر أو في البساتين.

- تميز موقع إقليم توات بأنه ملتقى الطرق التجارية المتوجهة نحو السودان الغربي قادمة من الأقطار المغاربية؛ وهو ما جعلها تعرف حركية ونشاطا تجاريا كبير ، انعكست إيجابا بازدهار أسواقها وامتلائها بمختلف السلع والبضائع من الشمال والجنوب.
- عرفت توات أسواقا مزدهرة أنعشت التجارة الداخلية بين مقاطعات الأقاليم الثلاثة؛ تيجورارين وتوات وتديكلت، حيث تميز كل سوق ببعض المنتجات عن الآخر.وللجمل دور في ربط أسواق توات ببعضها، وحمل البضائع والسلع إلى أسواق السودان الغربي.
- يعد نهر النيجر المصدر الأساسي للماء في السودان الغربي وهو أساس الزراعة وعلى ضفافه قامت الحواضر الاقتصادية الكبرى ؛ كتنبكتو، وقاو، وجني.
- بالرغم من الصعوبات والمشاكل الطبيعية والبشرية التي كانت تواجه القوافل التجارية في الصحراء المقفرة بين توات والسودان الغربي، إلا إنها لم توقف حركية ونشاط القوافل التجارية، واتخذوا إجراءات وقائية للحد من مخاطر الطريق .
- شكلت نقاط المياه في الصحراء معالم للطرق والمسالك، ومحطات استراحة وأحيانا تقام عليها أسواق للتبادل التجاري للقوافل بين توات وبالسودان الغربي وقد بُنيت على بعض الآبار حواضر وقرى.
- تعتبر منطقة الأزواد من أغنى المناطق وفرة للثروة الحيوانية ، وكان يُصدّر منها الكثير إلى أسواق توات بفضل التجار التواتيين.
- يوجد تشابه كبير في العملة وأدوات القياس والمكاييل والموازين؛ لذلك لم يواجه تجار توات أي عوائق في بيع وشراء السلع سواء بالعملة أو المقايضة ، وتوجد بعض العملات التي تستعمل في إفريقيا جنوب الصحراء فقط، ولا تستعمل في توات كالملح والودع أو الصدفات.
- جَمَع تجار تديكلت بتوات بين التجارة ومهنة الدليل للقوافل التجارية؛ منهم أمحمد بن أحمد حمَّد لمين، وأحمد حمّدي حبّادي، وتجار من أولاد زنّان.

وفي الأخير أقول بأن التواصل بين إقليم توات وإفريقيا جنوب الصحراء ة مجال كبير وواسع جدا اجتماعيا، وثقافيا، واقتصاديا ، وأثره واضح وجَلي على الإقليمين، وتزعّم هذا التواصل وأثراه تجار وعلماء وقبائل من توات وإفريقيا جنوب الصحراء ، ولم تتوقف صلات إفريقيا جنوب الصحراء مع توات فقط، وإنما تعدت إلى حواضر الصحراء الأخرى الجزائرية ، وهي دعوة للباحثين المتخصصين أن يُعنوا بهذا الموضوع؛ لأنه خصب والكتابة فيه قليلة فهو يحمل الكثير من الأسرار والحقائق التاريخية، وما بذلتُه من جهد لا يبين إلا جزءا قليلا من تاريخ هذا التواصل في الفترة الحديثة، وما قمت به من دراسة لا تمثل إلا خطوة أولى تنتظر من يكملها والله ولي التوفيق.

الملاحق.

-ملحق الخرائط.

الخريطة رقم: 01

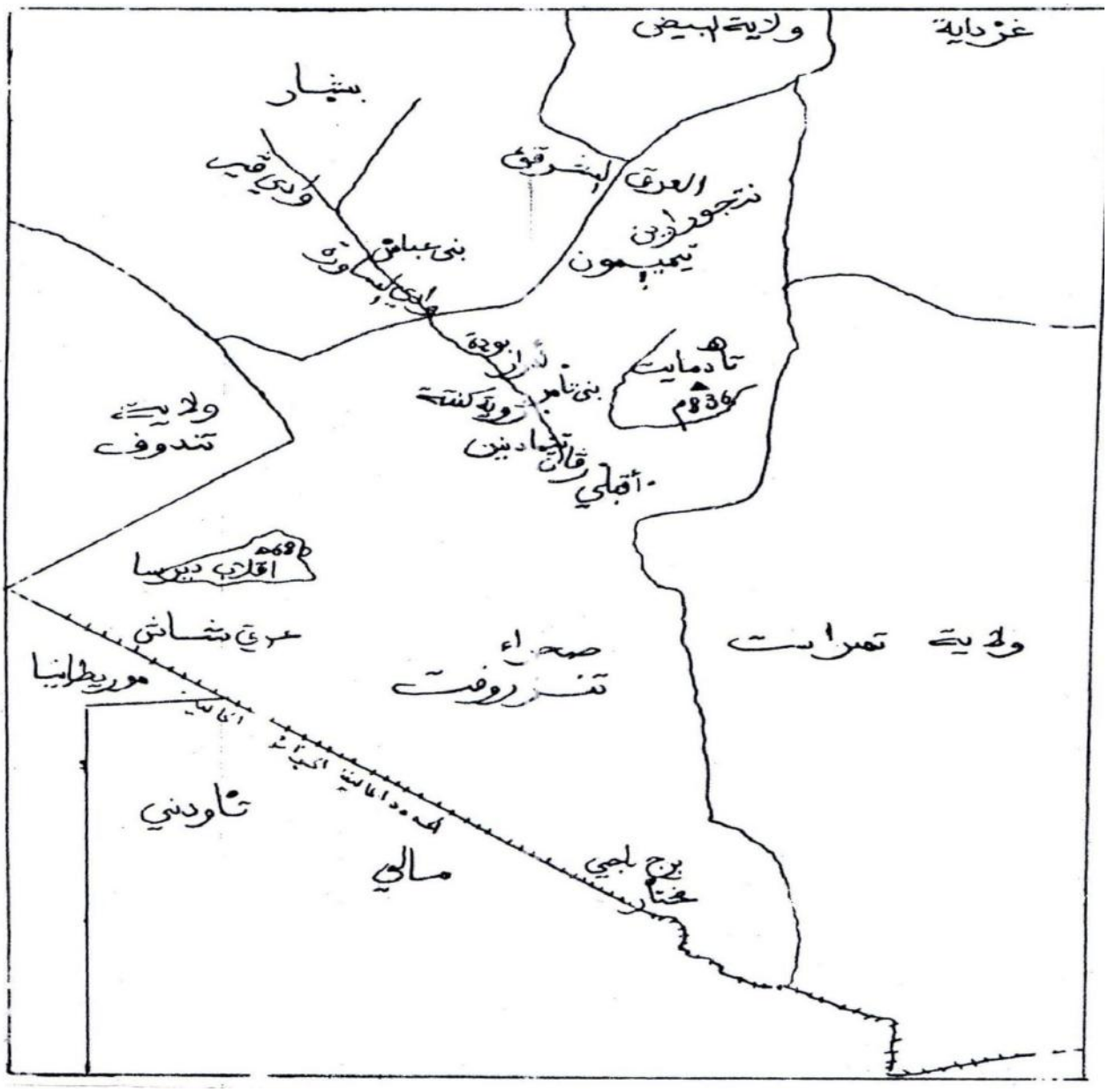

- خريطة توضح موقع إقليم توات و مقاطعاتها الرئيسية.

المرجع: محمد الصالح حوتيه : آل كنتة ، المرجع السابق، ص316.

الخريطة رقم: 02

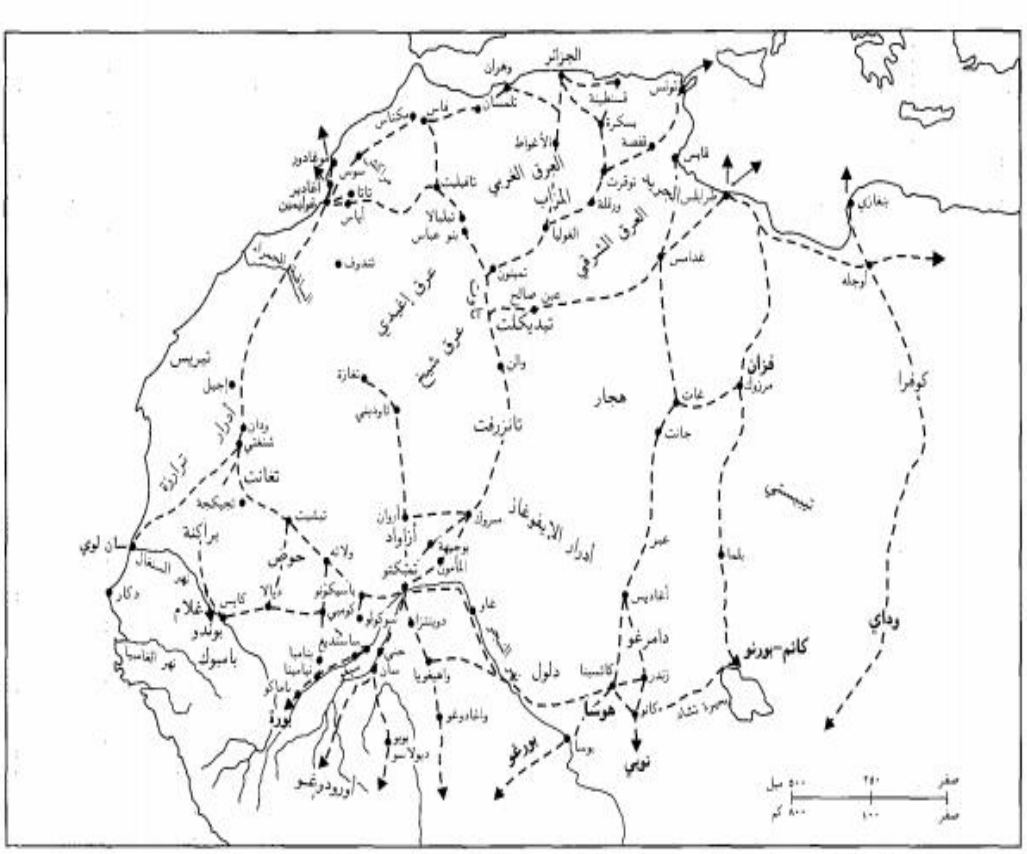

الشكل ١٠١١: الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر (نقلاً عن م. أبيتبول).

٣٤٦ أفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر

المرجع: م.أبيتبول: نهاية إمبراطورية الصنغاي، تاريخ افريقيا العام ، ج6، عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم اليونسكو، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، 1997، ص 346.

– الخريطة رقم: 03

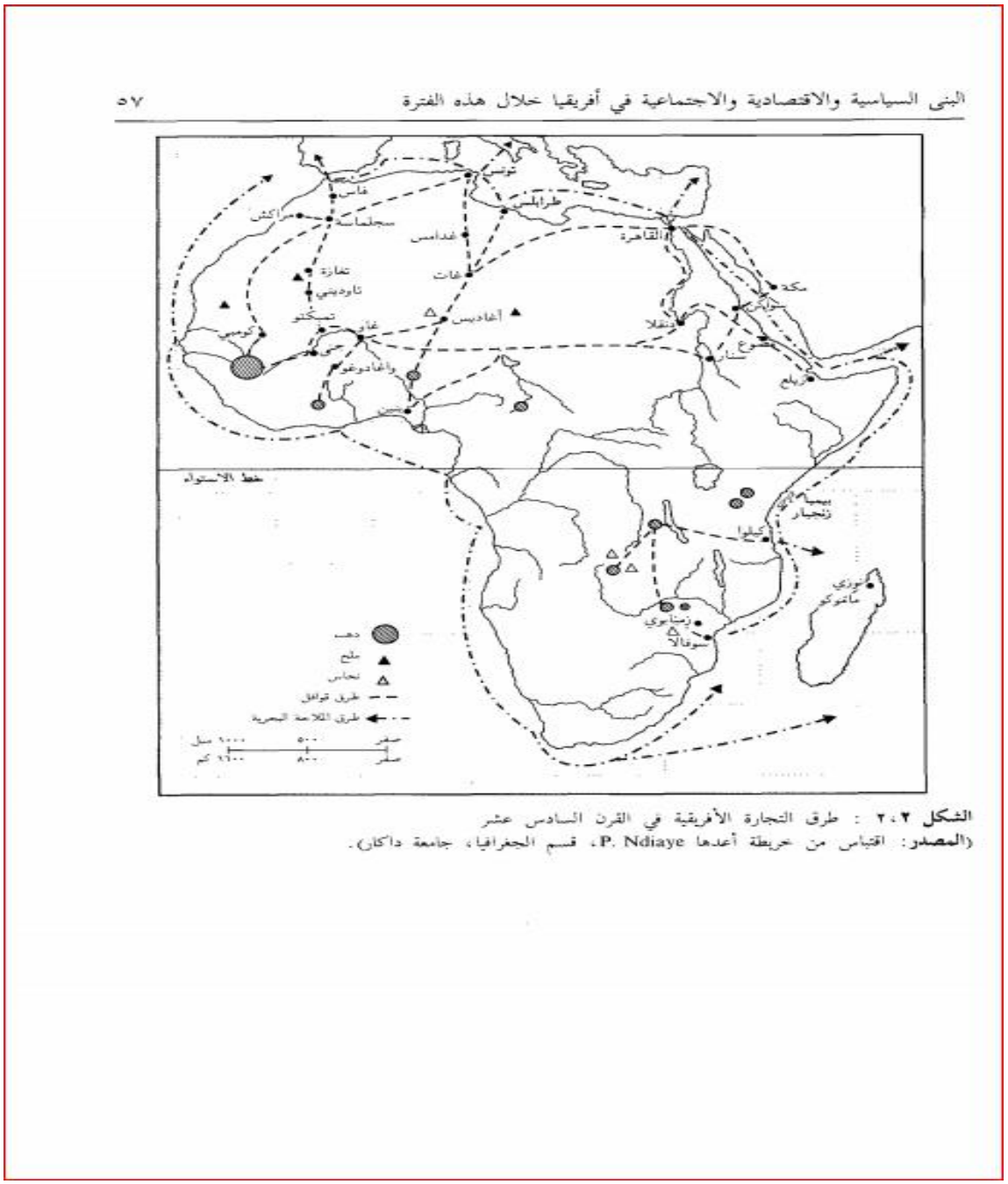

الشكل ٢،٢ : طرق التجارة الأفريقية في القرن السادس عشر
(**المصدر**: اقتباس من خريطة أعدها P. Ndiaye، قسم الجغرافيا، جامعة داكار).

– خريطة توضح أماكن تواجد الملح ومعدن الذهب والنحاس في إفريقيا.

المرجع: ب.دياين: البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في افريقيا من ق16 إلى ق18م، ، تاريخ افريقيا العام ، ج6، عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم اليونسكو، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، 1997، ص 57.

الخريطة رقم: 04.

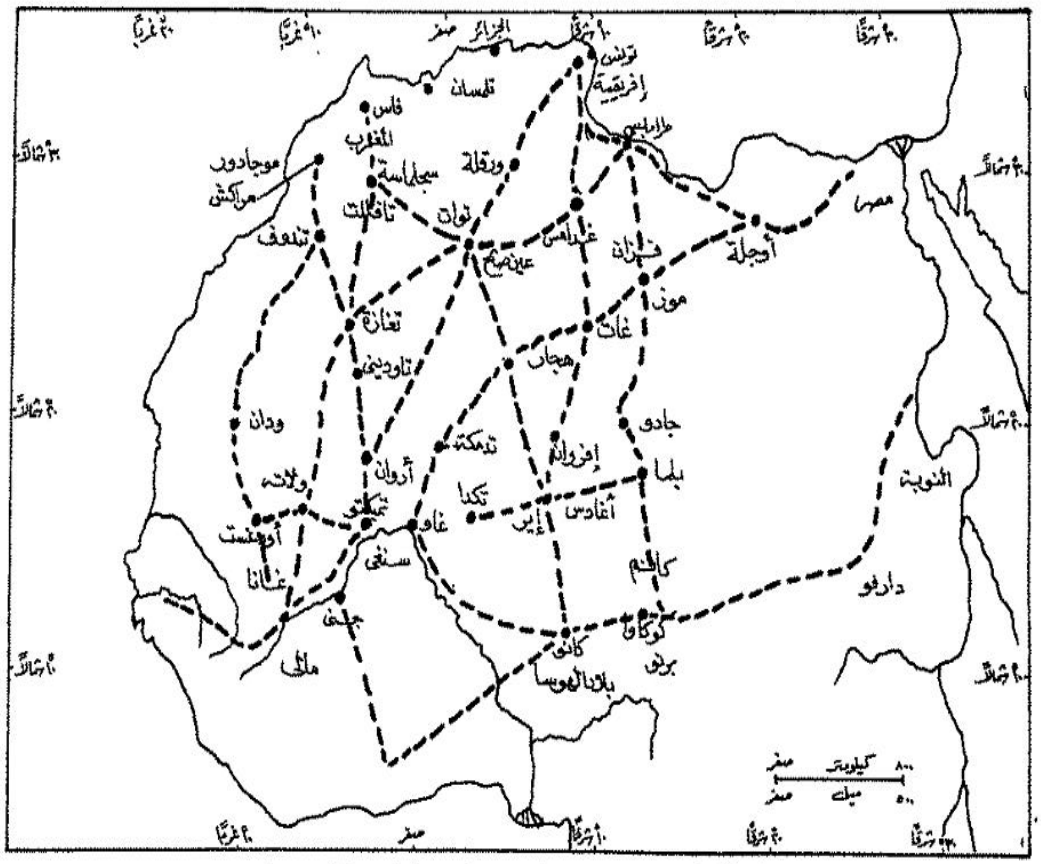

167

الخريطة رقم ٧- طرق التجارة في الصحراء الكبرى في فترة ما قبل الإستعمار

المرجع: أ.ج. هوبكنز: المرجع السابق، ص167.

-ملحق الجداول.

الجدول رقم 01

-البضائع و السلع التي كانت تحملها قافلة عين الصفراء الواردة على سوق تيجورارين في سنة 1900م هي:

نوع السلعة	الحجم أو العدد	الثمن بالفرنك
خرفان الضأن	558	15
السمن	320	2
الجبن	530	2
جرات الصوف	870	2.5
الدقيق	69	80
القمح	17	30
الفول الجاف	1360	30
الشعير	13	20
الزيت	20	1.20
الشحم	62	1
الصابون	30	60
الشمع	50	50

-الجدول رقم:02 يوضح السلع التي عادت بها قافلة عين الصفراء من أسواق توات:

نوع السلعة	الحجم أو العدد	الثمن بالفرنك
تمر حميرة	110 أحمال	60 فرنك للحمل
تمر تبتموت	05 أحمال	80 فرنك للحمل
تمر تناصر	50 حمل	50 فرنك للحمل

المرجع: فرج محمود فرج: المرجع السابق ، ص 73.

- الجدول رقم: 03.

- السلع التي حملتها قافلة وهران الواردة إلى سوق تيجورارين

نوع السلعة	القيمة بالفرنك	نوع السلعة	القيمة بالفرنك	نوع السلعة	القيمة بالفرنك
القمح	127.379	الشحوم	16.378	السمن	46.050
فضة مضروبة	87.201	الشعير	15.280	الفول	28.135
الصوف	77.802	ألبسة قطنية	7.000	لحم مجفف	27.405
الجبن	20.192	الأغنام	87.264		

الجدول رقم:04.

- السلع التي عادت بها قافلة وهران من أسواق توات:

السلعة	القيمة بالفرنك
التمور	973.145
التوابل	11.600
الحناء	11.200
الحبال	4.500
الغرائر	3.000

المرجع: Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, p 324

-ملحق صور المخطوطات.

-الصورة رقم: 01.

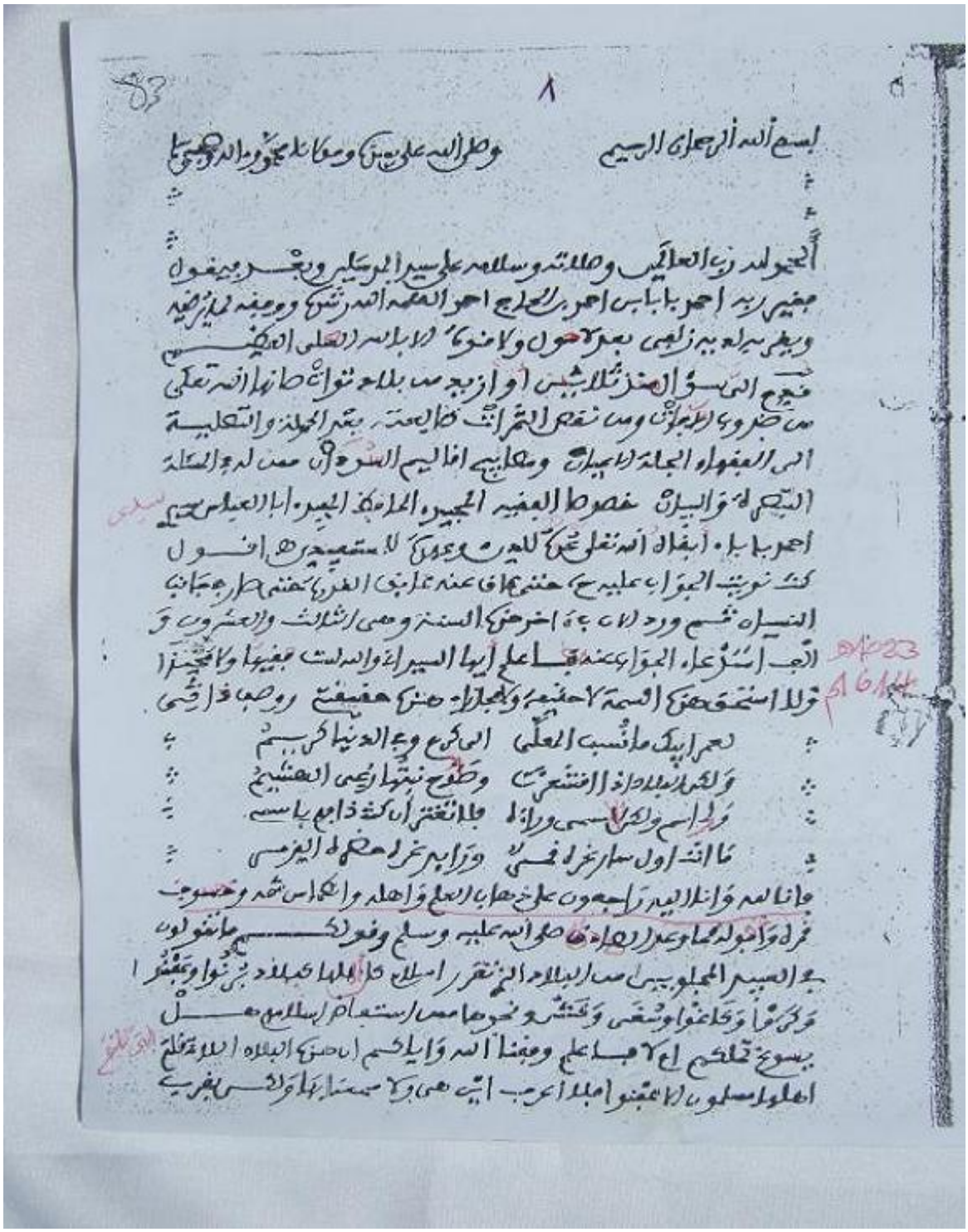

- الورقة الأولى من نسخة لمخطوط معراج الصعود لأحمد بابا التنبكتي، وهو عبارة عن أجوبة فقهية من أحمد بابا التنبكتي تُحرِّم الاسترقاق.

المصدر: أحمد بابا التنبكتي: معراج الصعود، مخطوط بخزانة بن الوليد، قصر باعبد الله تيمي، أدرار، الجزائر، دون ترقيم.

– الصورة رقم: 02.

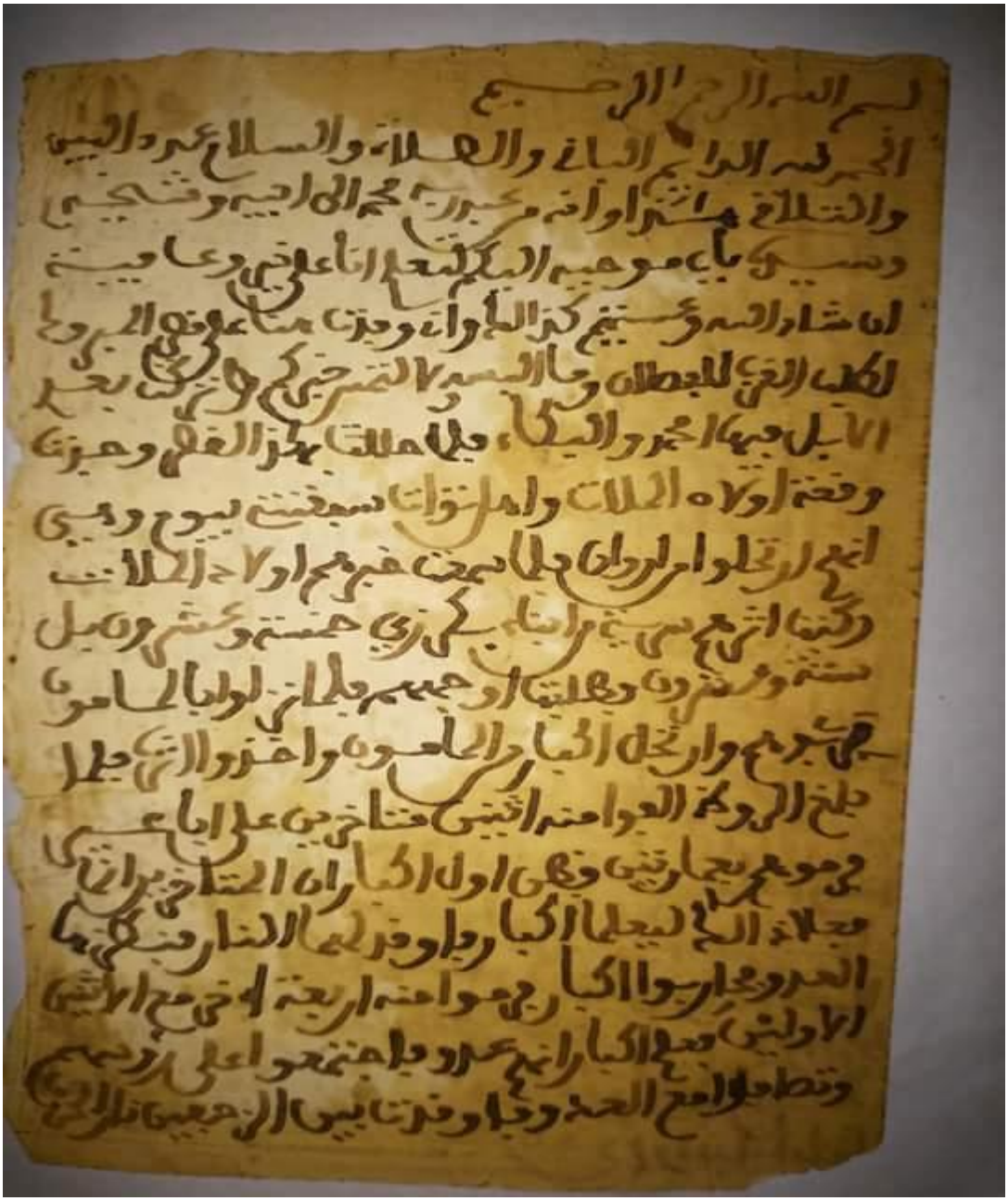

– الورقة الأولى من الرسالة التي بعثها محمد إلى أبيه (بابا) يخبره عن تعرض قافلتهم لقطاع الطرق المتوجهة من توات إلى السودان الغربي.

المصدر: الرسالة توجد بخزانة أهل العبد، بتندوف، الجزائر ، دون ترقيم.

الصورة رقم :03.

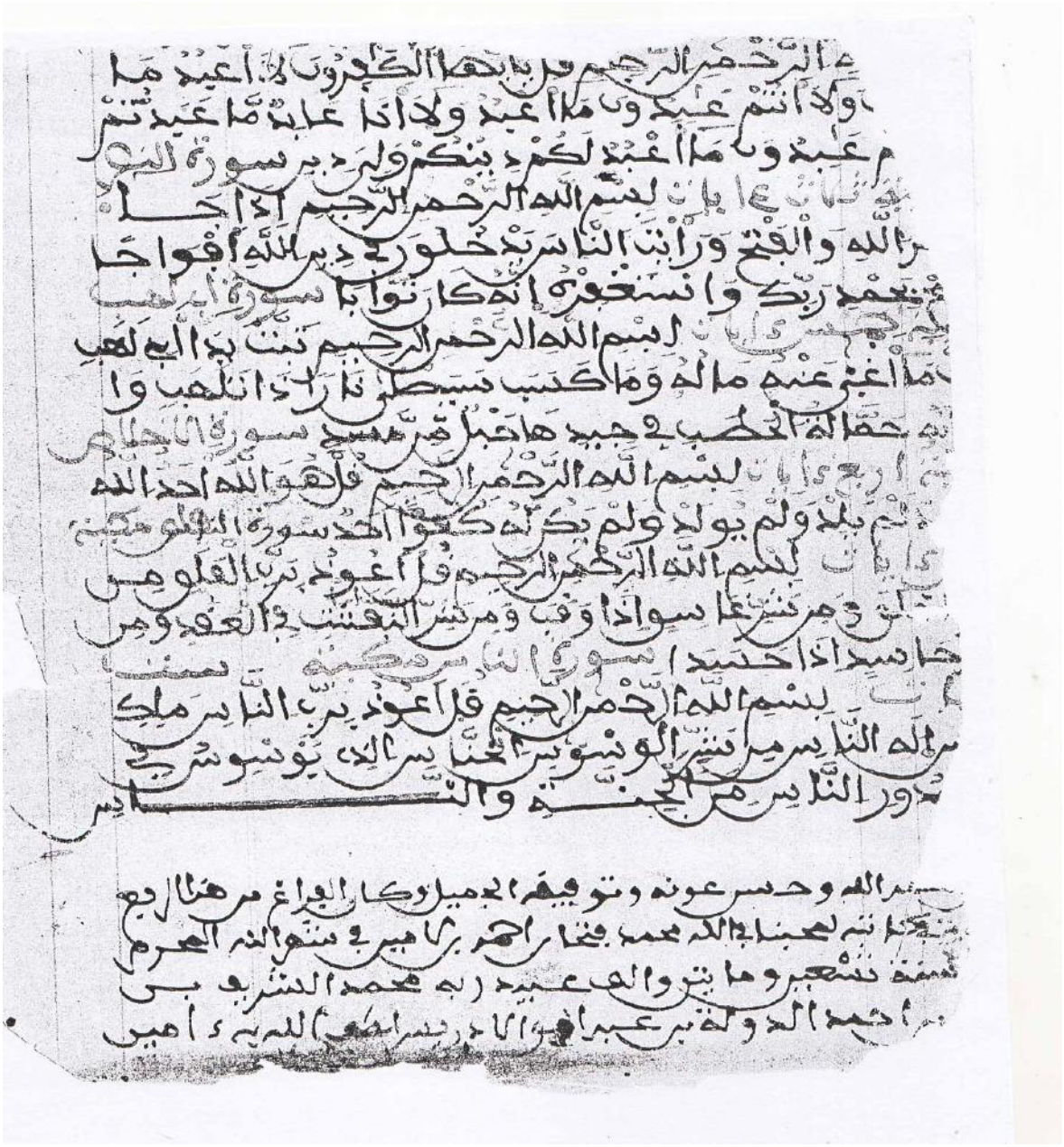

– الورقة الأخيرة من المصحف المخطوط الذي كان بجوزة الفقيه والتاجر أمحمد بن أحمد حمد لامين.

المصدر: المصحف المخطوط تحت يد حامد لمين عبد الرحمان بزاوية حينون آولف أدرار ، الجزائر.

-ملحق صور عادية .

- الصورة رقم 01: رقصة قرقابو أو العبيد.

- الصورة رقم 02: آلة قرقابو وتصنع من الحديد.

المرجع:

https://www.google.dz/search?hl=ar&site=imghp&tbm=isch&source=hp&biw=1366&bih=623&q&قرقابو+ادرار=oq&قرقاب=gs_l=img.1.0.0l2j0i5i10i30j0i5i30j0i24l6.2537.7 يوم 22 مارس 2014

-صورة رقم 03 توضح رقصة البارود بمنطقة توات .

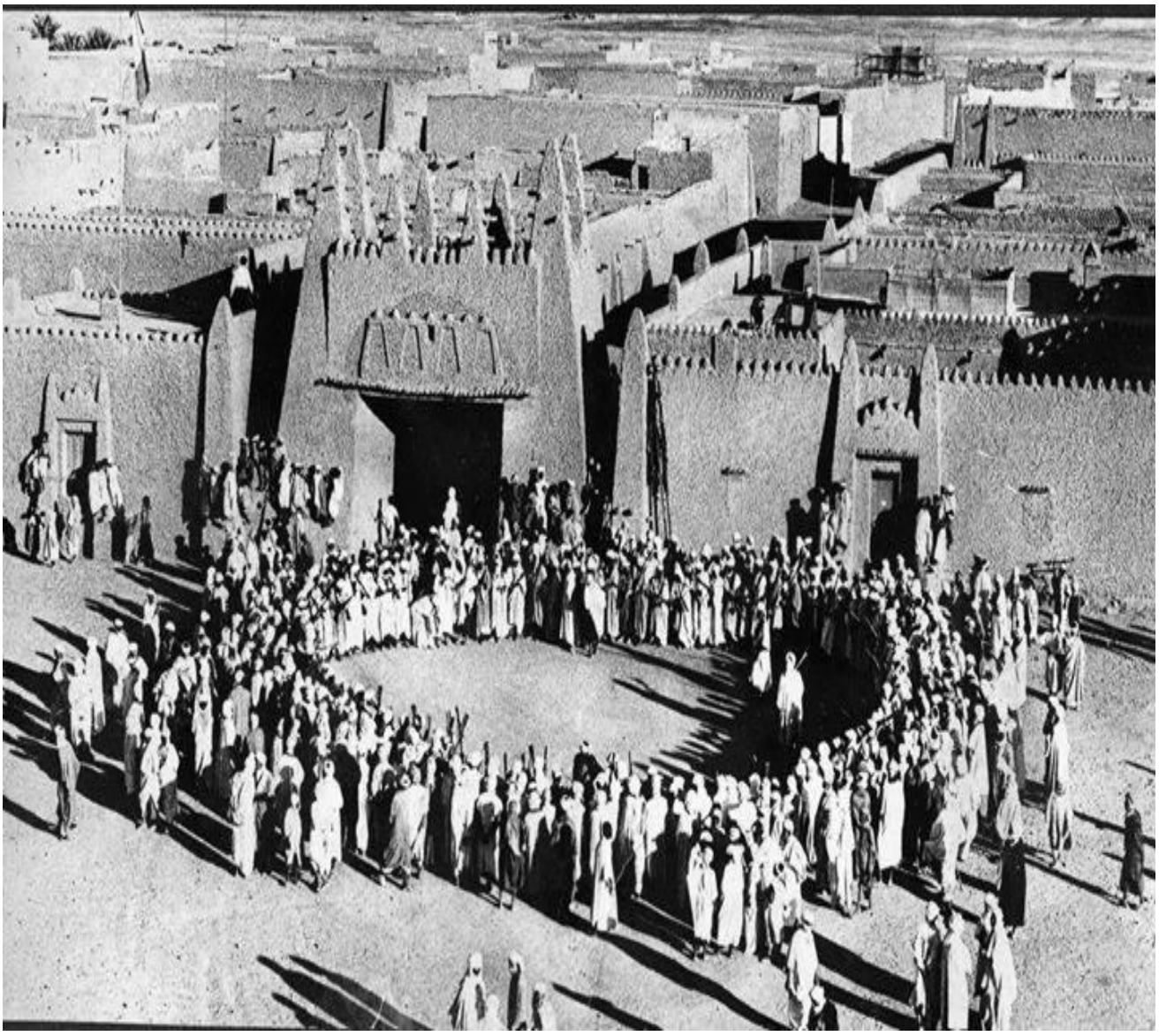

المرجع:
http://gallica.bnf.fr/services/engine/search/sru?operation=searchRetrieve&version=1.2&query=%28gallica%20all%20%22Le%20Tidikelt-Touat-Gourara%20et%20l%27Alg%C3%A9rie%20%2C%20par%20le%20colonel%20Crouzet%22%29 يوم 27 مارس 2014.

- الصورة رقم: 04 صورة لمنطقة تاودني بالسودان الغربي توضح ألواح وقوالب الملح التي تحملها القوافل التجارية.

المرجع:
http://www.panoramio.com/photo/18580925?source=wapi&referrer=kh.google.com يوم 17أوت 2015.

- الصورة رقم: 05 صورة توضح القوافل التجارية المحملة بالبضائع العابرة للصحراء نحو أسواق السودان الغربي.

المرجع:

http://gallica.bnf.fr/Search?ArianeWireIndex=index&p=1&lang=FR&f_typedoc=livre&q=Taoudenni&x=14&y=10 يوم 17 أوت 2015.

- الصورة رقم: 06 صورة لسوق عين صالح سنة 1900م

- الصورة رقم: 07 صورة لسوق الخشب في تنبكتو سنة 1900م

المرجع: http://gallica.bnf.fr/Search?ArianeWireIndex=index&p=1&lang=FR&q= touat tomboctou&x=17&y=17 يوم 22 مارس 2014.

الصورة رقم 08: صورة توضح شكل القسرية أو أقسري الذي يوزع ماء الفقارة على البساتين بتمنطيط.

– – الصورة رقم09: صورة توضح الشقفة أو الحلافة التي يُحسب ويُكال بها ماء الفقارة بتدكلت آولف.

المصدر: الصورة ملتقطة من طرف الطالب 20 أوت 2015.

- الصورة 11: صناعة الحلي الفضية بتوات. أدبليز. خاتم. أقراط.

- الصورة 12: صناعة حجرية .الرحى لطحن الحبوب.

- الصورة13: صناعة خشبية. قفل للباب ويسمى آفكر.

المرجع: هرباش زاجية، المرجع السابق، الملحق رقم 34، 37.

-قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرءان الكريم برواية ورش عن نافع.

1 - المخطوطات:

- البلبالي عبد العزيز بن محمد: غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل ، مخطوط (نسخة مصورة) بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بآولف، أدرار ، الجزائر .
- التينيلاني عبد الرحمن بن إدريس: الرحلة من توات إلى الجزائر مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.
- التينيلاني عبد الرحمن بن عمر : الرحلة الحجية ، مخطوط بمكتبة الشيخ باي بلعالم ، آولف ، ادرار الجزائر.
- الجنتوري عبد الرحمن: نوازل الجنتوري، مخطوط بخزانة بابا عبد الله، تيمي، أدرار، الجزائر.
- الزجلاوي محمد بن عبد الرحمن بن أحميد: نوازل الزجلاوي ، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر
- الطاهري الإدريسي مولاي أحمد: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار،الجزائر.
- الكنتي محمد بن المختار: الطرائف و التلائد ، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، آولف ، أدرار ، الجزائر.
- باي بن عمر: نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي ، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، آولف، أدرار، الجزائر.
- رسالة توجد بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.
- رسالة معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود، مخطوط، خزانة سيدي أحمد ديدي، تمنطيط.
- رسالة من أحمد البكاي بتنبكتو إلى أحمد حمدي بتديكلت: مخطوط تحت يد حبّادي أحمد، آولف، أدرار، الجزائر .
- محمد الطيب بن عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة الحاج محمد البكري، زاوية سيد البكري، أدرار، الجزائر .

– محمد بن سيدي المختار الكنتي: الرسالة الغلاوية، مخطوط بخزانة الشيخ هيدة، الحي الغربي، أدرار، الجزائر.

– محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.

– محمد بن عمر البوداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة أحمد ديدي، تمنطيط،أدرار، الجزائر.

– ولد سيد الحاج أمحَمد: قصيدة ركب الحجيج، مخطوط بخزانة أبي نعامة الكنتية، أقبلي، أدرار، الجزائر.

– يوسف بن يحي بن عيسى : التشوق إلى رجال التصوف، مخطوط بالخزانة البكرية زاوية سيدي أحمد ديدي، تمنطيط، أدرار، الجزائر.

2 – المصادر المطبوعة:

– ابن بطوطة محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة : تحفة النظار في غريب الأمصار و عجائب الأسفار،تح.محمد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1987 م .

– ابن خلدون عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون، ، دار صادر، بيروت، ط2 ، 2005م.

– ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ، تح. خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت ، ج6و7،2001م.

– الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي : المسالك و الممالك، تح.محمد جابر عبد العالي الحسني، دار القلم، مصر، 1961م.

– البرتلي محمد بن أبي بكر الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح. محمد إبراهيم الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1981م.

– التنبكتي أحمد بابا: معراج الصعود في حكم مجلوب السود ، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق ، تح. فاطمة الحراق وجون هانويك ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2000م.

- الخليفة الكنتي محمد : الرسالة الغلاوية ، تح.حماه الله ولد السالم، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ط1،2007 م .

- العياشي أبو سالم: الرحلة العياشية ماء الموائد، تح. سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبوظبي ، ج 1، 2006م.

- الفشتالي عبد العزيز : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح .عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، د.م.ن ، د.ت.

- القلقشندي أبو العباس احمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج 5، د.ت ، ص 273.

- الناصري أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح .جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب،ج2، 1954م.

- الناصري أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، ج 3، د.م.ن، ط1، 2008م.

- الوزان الحسن: وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ج2، ط2، 1983م.

- بول مارتي: من عرب مالي البرابيش بنو حسان، تع.محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د.ت.

- بول مارتي: كنته الشرقيون، تع.محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، 1985.

- فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر. السيد يوسف نصرو، و بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982م.

- رولفس غيرهارد: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني رولفس، تر. عماد الدين غانم، منشورات مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000م.

- فيليكس ديبوا: تمبكتو العجيبة، تر.عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مراجعة شوقي عطاالله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

- محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح، فرج محمود فرج: ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م.
- محمد بللو بن عثمان فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح. بهيجة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ، ط1، 1996م .
- محمد الطيب بن عبد الرحيم (بن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح. فرج محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1977م.

ب – المراجع باللغة العربية:

- أ.ج. هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية تق، محمد عبد الغني سعودي، تر. احمد فؤاد بليغ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ، القاهرة، 1998م.
- ابن طوير الجنة أحمد : تاريخ ابن طوير الجنة ، تح. سيد أحمد بن أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، المغرب ، 1995م.
- أحمد ابراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981م .
- أحمد رمضان أ حمد : الرحلة و الرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة ، السعودية ،د.ت.
- أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر، ج1 ، 2009م.
- أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام، تر.حسن إبراهيم حسن ،د.م.ن، القاهرة، 1957م.
- الآلوري عبد الله آدم : موجز تاريخ نيجيريا ، دار مكتبة، بيروت ، لبنان ، 1965 م.
- البوزيدي أ حمد: التاريخ الاجتماعي لدرعة من مطلع القرن 17إلى مطلع القرن 20م، آفاق متوسطية، المغرب، 1994، ص 145.
- التليدي عبد القادر بن عبد الله ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، الرباط، ط 4، 2003 م.
- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة العربية، الجزائر ،ج 01، 2009 م .
- الحمدي أحمد: الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م.

- الحمدي أحمد: المساهمة العلمية للمختار الكنتي الكبير بأزواد (1142- 1226هـ/ 1729-1811م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2007- 2008م.

- الداناصوري جمال الدين: جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا و استراليا)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،ج2، 1971م.

- الرصاع محمد الأنصاري: فهرست الرصاع ، طبعة حجرية، تونس ، 1967م.

- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م .

- الزركلي خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ،ج 4، ط 15، 2002 م .

- الصادقي حسن: أضواء على ممالك غرب إفريقيا و علاقاتها ببلاد المغرب، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، د.ت.

- الضب عبد الرحمن و آخرون: دليل ولاية أدرار، جمعية الأبحاث و الدراسات التاريخية، أدرار، 2000م.

- العربي إسماعيل :الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983م

- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ج1 ،ط 5 ،1996م.

- الغيتاوي مولاي التهامي: سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، منشورات ANEP،د.م.ن ، د.ت.

- القشاط محمد سعيد : أعلام من الصحراء ، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997م.

- القشاط محمد سعيد: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات و أبحاث ، د.م.ن، ط 2، 1989م.

- الماحي عبد الرحمن ، الدعوة الإسلامية في إفريقيا ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د.ت .

- المناوي عبد الرؤوف: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تح. عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ج 1، 1994م.

- الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تح. محمد الميلي: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، د.ت.

- النحوي الخليل: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1993م.
- الهام محمد علي ذهني: جهاد المماليك في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/ 1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م .
- الوائلي عبد الحكيم: موسوعة قبائل العرب، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن ، ج 4، ط1، 2002م.
- باري محمد فاضل علي و سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م.
- برابما بارد عثمان : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر ، ط1 ، 2000م.
- بسيوني ابراهيم: نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1969م، ص09.
- بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 2،1981م.
- بلعالم محمد باي : إرشاد الحيران لمعرفة قبائل الفلّان بالجزائر ، د.د.ن، الجزائر، 2009م.
- بلعالم محمد باي : الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومه ، الجزائر ، ط1، 2004م .
- بلعالم محمد باي : قبيلة فلان بين الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر ، دار هوم ه ،الجزائر، ط1 ،2004م .
- بلعالم محمد باي : الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات والعادات و ما يربط توات من الجهات، دار هومه، الجزائر، ج1،ج2 ، 2005 م .
- بلعالم محمد باي: الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومه ، الجزائر ، ط1، 2004 م .
- بليل رشيد: قصور قورارا، و أولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي و المناقب و الأخبار المحلية، تر. عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008م.

- بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

- تواتي دحمان وآخرون: دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956– 1962م، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م.

- تومي سعيدان: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005 م.

- جعفري أبا الصافي أحمد :محمد بن أب المزمري حياته و أثره ، دار الكتاب العربي ، الجزائر، ط1، 2004م .

- جعفري أحمد أبا الصافي: اللهجة التواتية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر،ج2، 2013م.

- جعفري مبارك ، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال ق 12هـ ، دار السبيل ، الجزائر، ط1، 2009م.

- جلالي يحي : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر 1999م.

- جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي ، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت.

- حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، أطروحة ماجستير ،كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010-2011م، ص 15.

- حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2007م .

- حوتية محمد الصالح: آل كنته دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق18-19م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2008 م.

- حوتية محمد الصالح: توات و الأزواد خلال القرنين 12و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 1 ،2007م.

- دونالد ودنر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، تر.راشد البراوي ، دار الجيل للطباعة، القاهرة، د.ت.

- زبادية عبد القادر : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010م .

- زبادية عبد القادر: الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م

- زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، السابق، المرجع ص13.

- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،د.ت.

- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسيكين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971م.

- زين العابدين بن عمر (ابن الوردي): تتمة المختصر في أخبار البشر، د.د.ن، بيروت، ج 1، ط1، 1970م.

- ساعد خميسي: أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، 2002م.

- سبنة عامر: الأدب السينغالي العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، ج1، 1978 م.

- سعد الله أبو القاسم : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 2، ط1 ، 1990م ، ص 257.

- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ج 2، ط2، 2005 م.

- شترة خير الدين: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي ، دار ابن طفيل ، الجزائر ، ج1، 2012 م.

- شوقي عطاالله الجمل و عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1996م.

- طرخان إبراهيم علي ، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر،القاهرة، 1969م.

- عبد الظاهر حسن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني ، مطبعة دار الهلال، الرياض، 1981م .

- عبد الغني سعودي محمد: قضايا افريقية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، 1980م.

- عقباوي عزيز بن بوبكر الهاملي الكنتي: النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، مطبعة عزي، د.م.ن، د.ت.

- علي جمعة محمد: المكايل و الموازين الشرعية، ، مطبعة القدس، القاهرة ،ط2، 2001 م .

- عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1988م.

- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1977م.

- فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر. السيد يوسف نصرو، و بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982م.

- فيليكس ديبوا: تمبكتو العجيبة، تر.عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مراجعة شوقي عطاالله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

- قداح نعيم : حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، مطبعة الجزائر، د. ت.

- قداح نعيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.م.ن، د.ت.

- قدي عبد المجيد: صفحات من تاريخ منطقة آولف، دار الأبحاث الجزائر، ط2، 2007 م.

- كافلام مادهوبا نيكار: الوثنية و الإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في داعز بإفريقيا، تر. وتح. أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للنقابة، 1998م، ج1، ط2، ص 67.

- مار مول كربخال: إفريقيا، تر. محمد حجي و آخرون، مكتبة المعارف، الرباط ، ج1، 1984م.

- محمد رياض و عبد الرسول كوثر: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1973م.
- محمد عبد الغاني سعودي: إفريقيا، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2004م.
- محمد عدنان مراد: المجتمعات الإفريقية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م.ن، 1995م.
- محمد نبيلة حسن: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 2013م.
- مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر ،ج2، 2007م.
- مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية (العهد الموحدي) ، مطبعة دار النشر المغربية ، ط 2 ،1982م .
- مفتاح صالح معيوف: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن2هـ إلى أواخر القرن 3هـ ، مؤسسة توالت الثقافية ، د.ت.
- مقدم مبروك: علاقة الأبجدية التيفيناغية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارات ، دار هومة، الجزائر، ج4، 2008م .
- مقدم مبروك: مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، دار هومة، الجزائر، ج1، 2008م.
- مهدي رزق الله أحمد: التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،ط1، 1998م، ص169.
- يحي ولد سيد أحمد: ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر،2009م.
- يوان جوزيف: الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي: دار الكتاب المصري، القاهرة،دت.

ج- المراجع باللغة الأجنبية:

- Bissuel (H) : Le Sahara Français, conférence sur la question Sahariennes, Ed Adolphe Jourdan Librairie, Alger, 1891.-

- DAUMAS, le grand désert au itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des négres , paris, 1849.
- De champ (H):Histoire générale de l'Afrique noir, paris, , Tome 2, 1975.
- Flyes (sainte marie): le commerce et l'agriculture au Touat, bulletin de société de la société de géographie d'Oran, TXXIV, 1904.
- (----------): Oasis sahariennes, Recueil de mémoires et de textes Orientale, Fontana, Alger, 1905.
- Augustin (Hacquard): Monographie de Tombouctou accompagnée de nombreuses illustrations et d'une carte de la région de Tombouctou ,société des études coloniales et maritimes, paris,1900.
- Bisson (Jean): Le Gourara, étude de Géographie Humaine, université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire N^0 03, 1995.
- Boyé(Capitaine): La question Saharienne, oasis de Feguig du gourara, du Touat, Du tidikelt, les touareg, librairie de monde militaire, paris, mars 1897 .
- Colonieu (Commandant): voyage au Gourara et l Aougurout 1860, Bulletin de la société de géographie d'Oran, TIIIX, 1903.
- Daumas (Eugene): le grand désert itinéraire d'un caravane du Sahara au pays des Négres , Royaume de Haoussa, Paris,1848.

- Decolomb (L):Notice sur les oasis du Sahara et les routes qui y conduisent, extrait de la revue Algérienne et colonial, imprimerie de CH, LAHURE et Cie,1860.
- Déporter (Victor): la question du Touat au Sahara Algérien, Gourara, Touat, Tidikelt, fontana, Alger 1891.
- Devors (P): le Touat étude géographique et médical, archives du l'institut pasteur, TXXV N^0 3,4 , Alger, 1947.
- Gautier (E.F): Industrie des tentures Dokkali au Gourara et au Touat, ed typographique, Adolphe Jordan, Alger, 1913.
-Henri (stuchli) : Le commerce de la France avec le soudan, calomel, paris,1864.
- Lo (capitaine): Les Foggaras du Tidikelt, travaux de institue de recherche saharienne, T.X 1953, et TXI 1954, université d'Alger.
- Mario vivarer: Au sujet de Touat , Librairie Michelruff, Alger, 1896.
- Martin (A.G.P): Quatre siècles d'histoire Marocaines au Sahara de 1504 a 1902, au Maroc de 1894 a 1912, Librairie Félix Alcan, paris, 1923.
- Martin (A.G.P) : Les Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger , 1908.
- Oskar (lenz): Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et soudan, librairie Hachette, Paris,1987.

- René (Caillié): voyage d'un faux musulman a travers l'Afrique, Tombouctou, le Niger, jenné et le désert , a travers le continent noir, imprimerie , Eugene Ardant, Limoges.
- Rio (Capitaine): L' artisanat a Tamantit, travaux de l'institut de recherche saharienne, TXX, université d'Alger, 1961 .
- Sabatier (Camille): Touat- Sahara et soudan, étude géographique, politique et militaire, société d'éditions scientifiques, paris.
- Selka Abderrahmane: Notes sur le Touat, Bulletin de la société de géographie et de l'Afrique de nord , Alger ,1922.
-Voinot (Louis) : Le Tidikelt , étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays, Ed Jacques Gandini,1995.

د- الموسوعات والمعاجم والأطالس :

- ابن تيمية: موسوعة فقه السنة (فقه التصوف)، تهذيب و تعليق الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ج3،د.ت.
- ابن منظور: لسان العرب، تح. عبد الله عالي الكبير و آخرون، دائرة المعارف القاهرة،ج5 ،د.ت.
- الطيب محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية،ج 3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001م.
- حميّش عبد الحق و بوكراع محفوظ: موسوعة تراجم علماء الجزائر(علماء تلمسان وتوات)، دار زمورة للنشر والتوزيع ، الجزائر،2011م.
- دائرة المعارف تر. ابراهيم خورشيد و آخرون، ج8، د.ت.
- شلبي أحمد :موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،ج7و ج3، ط1، د.ت.
- عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976م.

- كولين مفدي، أطلس التاريخ الإفريقي، تر. مختار السويفي، الهيئة المغربية العامة للكتاب، مصر، 1987 م.

- لعروق محمد الهادي: أطلس الجزائر و العالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998م.

- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، ط 2 ،1980م .

- ولد حامد المختار: التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،ط1، 2000م .

هـ- الملتقيات والمقالات والدوريات:

- عباس عبد الله : الدور الحضاري لإقليم توات، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، أدرار : 14-15 أفريل 2009م .

- الحسناوي وداعة حبيب : الحج و أثره في دعم الصلات العربية الإفريقية ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء : منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا، 1998م .

- الحمدي أحمد ، الوظائف الدينية بإوالاتن في عهد الإمارات القيسية، مجلة عصور تصدر عن مخبر البحث التاريخي جامعة وهران، العدد 12، 2009م.

- بلبالي إبراهيم: التأثير الثقافي لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي، مقال بالملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 14-15 أفريل 2009م.

- بن زروال جمعة: الرِّق في الجنوب الجزائري في بداية الإحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية، مقال بالملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، 24.25 يناير 2012م بالمركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، 2012م.

- بن سعد محمد السعيد: المعمّون والملثمون يحاورون الصحراء(الهقار وتديكلت نموذجا)، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية- الجزائر، العدد 15، المطبعة العربية ، غرداية، 2006م.

- بوسليم صالح و قاسم ميلود: الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى(دراسة تاريخية)، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية- الجزائر، العدد 15، المطبعة العربية ، غرداية، 2006م.

- جعفري مبارك : تنقل علماء توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12 هـ / 18 م ، الملتقى الوطني الرابع جامعة أدرار ، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية و الثقافية إبان العصر الحديث (1500 - 2000 م) ، أدرار ، 19- 20 أفريل 2010م .

- حامد لمين عبد الله: الشيخ محمد باي بلعالم حياته ومؤلفاته، مقال بمجلة الثقافة الإسلامية، العدد السادس، إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2010م .

- حوتية محمد الصالح ، توات والقوافل التجارية ، مقال ألقي في ملتقى طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، من 12 إلى 14 نوفمبر الجزائر،2001 م.

- س. باير: الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر، تاريخ إفريقيا العام، ج 6، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، باريس، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، ط1، 1996م.

- سماعيلي مولاي عبد الله: جهادية الزاوية الرقانية وتأثيرها بتوات، مقال بالندوة السنوية السابعة لجمعية سيدي مولاي سليمان بن علي 14 ماي 2012م، بقصر أولاد اوشن ، أدرار، مطبعة منصور، الوادي،الجزائر، د.ت.

- شوق عطاالله الحمل: دور المجتمع الغربي في تطور تجارة الرقيق، مسالة الرق في إفريقيا، بحوث و دراسات، وقائع ندوة إقامتها المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم حول هذا الموضوع، تونس 27، 29 جوان 1985، مطبعة المنظمة العربية، د.م.ن، د.ت.

- شترة خير الدين: العلاقات الاقتصادية بين توات والسودان الغربي، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، ادرار ، 14-15 أفريل 2009م.

- عماري الحسين: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، دورية كان التاريخية ، العدد التاسع، 2010م .

- مقلاتي عبد الله : علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي العلاقات الثقافية و أبعادها الحضارية ، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 14-15 أفريل 2009م.

و- الرسائل الجامعية:

- بخدا مريم: أعلام الزاوية التفلانية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11- 12 هـ/ 17 – 18 م ، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أدرار ، 2012- 2013 م .

- البصير سعاد : هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني 1516م – 1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007- 2008م .

- الحمدي أحمد: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية في توات، عصره وآثاره، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر: 2000/1999 م.

- باعثمان عبد الرحمن: تحقيق فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنلاني، أطروحة ماجستير في التاريخ العام، معهد الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بشار 2008- 2009م.

- بوسعيد أحمد : الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري، ماجستير تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012 - 2013م.

– جرادي محمد: نوازل الزجلاوي دراسة و تحقيق، أطروحة دكتوراه، كلية أوصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية ، قسم الفقه و الأصول ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010- 2011م.

- جعفري أبا الصافي أحمد، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12 و13 هـ ، أطروحة دكتوراه ،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، قسم الأدب، جامعة تلمسان، 2007م.

- حساني عثمان: البيئة الاجتماعية و الاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و 19م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006- 2007 م.

- ذكار أحمد: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من 1000-1301هـ/1591-1833م، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ ، جامعة أدرار، 2009-2010م.

- مسعودي زهرة :الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20 م ، مذكرة ماجستير في التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، قسم التاريخ ، جامعة أدرار ، 2009 – 2010م.

- هرباش زاجية: الوضع الاقتصادي في توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12و13 الهجريين 18و19 الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1432-1433هـ/2011-2012م.

-المقابلات الشفوية:

- مقابلة مع الشيخ حامد لمين عبد الرحمن ، بمنزله بزاوية حينون ، آولف ولاية أدرار ، يوم 20 أوت 2014 ، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

- مقابلة مع حبّادي أحمد، بمنزله ، بقصر حبادات ، آولف ولايه أدرار، يوم 28 أوت 2014 على الساعة العاشرة صباحا.

-المواقع الإلكترونية:

- https://www.google.dz/search?hl=ar&site=imghp&tbm=isch&source=hp&biw=1366&bih=623&q=قرقاب&oq=قرقابو+ادرار&gs_l=img.1.0.0l2j0i5i10i30j0i5i30j0i24l6.2537.72014 يوم 22 مارس

- http://gallica.bnf.fr/services/engine/search/sru?operation=searchRetrieve&version=1.2&query=%28gallica%20all%20%22Le%20Tidikelt-Touat-Gourara%20et%20l%27Alg%C3%A9rie%20%2C%20par%20le%20colonel%20Crouzet%22%29 يوم 27 مارس2014
- http://www.panoramio.com/photo/18580925?source=wapi&referrer=kh.google.com. يوم 17 أوت 2015
- http://gallica.bnf.fr/Search?ArianeWireIndex=index&p=1&lang=FR&f_typedoc=livre&q=Taoudenni&x=14&y=10.2015 يوم 17 أوت
- http://gallica.bnf.fr/Search?ArianeWireIndex=index&p=1&lang=FR&q= touat tomboctou&x=17&y=.2014 مارس 22يوم

– الفهارس.

-

-فهرس الأماكن:

-أ -

- الابيض سيد الشيخ: 05- 68.
- الابيض سيد الشيخ: 05- 68.
- أدرار:04 .
- الأربعمائة: 81.
- أرزيو: 68.
- أرسمالن: 81.
- أروان: 38- 71- 81- 87- 88- 98- 126- 129- 127.
- الأزواد: 29- 83- 95- 96- 112- 113- 115- 127.
- أشواردشبي: 81- 118.
- الأغواط:
- إفريقيا الغربية: 24- 50- 52.
- أقبلي: 08- 68- 69- 77- 81- 104- 112- 114- 117- 118- 120- 130-140.
- أقروت: 06- 74.
- أقلهوك: 81.
- أماهور: 81.
- أنافيس: 81.
- أنافيق: 81.
- أنزجمير:
- أولاد سعيد: 06.

- آولف: 07- 17- 22- 53- 56- 76- 77- 104.
- إيقسطن: 08.
- إينغر: 05- 07.

- ب -

- البامبوك: 90.
- برج المختار: 34.
- البرج: 81.
- بركينافاسو: 34.
- برنو: 16- 31- 37- 40- 41.
- بسكرة: 68.
- بلاد التكرور: 23- 24- 111- 112- 116- 117- 119- 127- 128- 129- 130- 131- 139.
- بلاد المغرب: 02-97- 106-133.
- بلاد النوبة: 24.
- بلاد الهوسا: 16- 41.
- بوجبيهة: 81- 89.
- بودة: 07- 57.
- بوعلي: 20.
- البيده: 81.

- ت -

- تادمايت: 05.
- تامست: 04.

-

- تاودني:
- تاودني: 84- 88- 89- 95.
- تبرشات: 81.
- تبلكوزة: 06.
- تبلكوزة: 06.
- تبنكورت: 81.
- تجنون: 81.
- تدقوير: 80.
- تسابيت : 04- 52- 74 - 140 .
- تساليت: 81.
- تشاد: 34.
- تغازة: 38- 40.
- تفيلالت: 69.
- تقرت: 68.
- تلمسان: 03- 18- 19 .
- تلمسان: 69- 73.
- تليق: 80.
- تمادنانين: 81.
- تمقطن
- تمنراست: 07.
- تمنطيط: 03- 07- 09- 10- 12- 13- 14- 15- 16- 18- 19- 20- 21- 61- 66- 67- 74- 75- 131.

- تنزروفت: 05- 81.
- تنصر: 80.
- تنقارا: 81.
- توات الوسطى: 07- 08- 15- 18- 47- 53- 65- 73.
- توات: 02-03-04-05-06-07-08-14-15- 16-18-22- 38-39-41-
42-44-46-48- 51-52-53-54-55-56-57-58-61-64-65-66-
67-68-69-71-72-73-76-77-80-81-82-88-91-92-94-105-
106-109-111-114-115-118-120-123-124-130-131-134-
139-140-142-143-144-145.
- تيجورارين: 05- 45- 62- 72- 80- 144.
- تيدكلت
- تيط: 05- 81.
- تيطاف: 13.
- تيلولين: 05.
- تيمي: 21.
- تيميمون: 06.
- تينركوك: 06.

- ج -

- جانت: 34.
- جاو: 28- 39- 86.
- الجديد: 112- 114.
- الجزائر: 05- 75- 82- 124.

-جني: 39- 86- 87- 88- 89.

- ح -

-حاسي البوز :80.
-حاسي الملح: 80.
-حاسي باكتليس: 81.
-حاسي تيابين: 81.
-حاسي حسدة: 80.
-حاسي لحجار: 08.
-حبّادات: 76- 77.

-خ -

-الخيثر: 68.

-ر -

-رقان: 05- 75.
-رقان:05- 07- 75.
-رقلة: 80.

-ز -

-زاوية حينون: 17- 81.
-زاوية كنته: 07- 112- 114- 115- 140.
-زاوية كنته:07- 112- 114- 115- 140.
-زرابية: 81.

-س -

-

- سالي: 05

- سالي: 07.

- ساهل: 117- 118- 120.

- سجلماسة: 05- 08- 12- 18- 19- 38.

- سكوتو: 16.

- سكيكدة: 68.

- السودان الغربي:

- السودان الغربي: 08-20-23-24-25-26-27-28-29-31-32-36-37-
38-40-41-70-71- 75-77-78-80-85-88-89-90-91-92-93-
94-95-96-97-98-99-100-102-104-106-107-109-111-112-
114-115-116-121-124-126-130-131-133-134-137-140-
142 -143.

- سيقو: 34.

-ش -

- شنقيط: 111- 116- 130- 134- 137.

-ص -

- صبطي: 80.

- الصحراء الكبرى: 05- 25- 32- 34- 37- 56- 76- 111.

- صوصو: 37- 38.

-ط -

- طرفية: 80.

- طلمين: 06.

-

-ع-

-عزي: 110.

-عزي: 14- 110.

-عين الشبي: 81.

-عين الصفراء: 68.

-عين صالح: 07- 53- 77- 68- 96- 130.

-غ-

-غات: 34- 70- 71- 75- 76- 80- 81- 107.

-غامبيا: 24- 28.

-غدامس: 05- 34- 70- 75- 76- 80- 81- 82- 88- 96.

-ف-

-فاس: 69- 73.

-فرنسا: 22.

-فقارة الزوى: 07.

-فقارة الساهلة: 08.

-فنوغيل: 07- 13- 14.

-فنوغيل: 07- 13- 14.

-فوتاجالون: 26- 27- 28- 31.

-قاو: 81- 89- 105.

-قسنطينة:68.

-قصبة المخزن: 69.

-القيروان: 110.

-ك -

- كاتسينا: 16- 52.
- كانياجا: 37- 39.
- كاهر: 81.
- كوكيا: 38- 39- 41.

-ل -

- لمسقم: 81.
- لمطارفة: 06.
- ليبيا: 24- 34- 35- 40- 99.

-م -

- المالح: 81.
- مالي:38
- المامون: 81.
- المبروك: 81- 89.
- متليلي: 73- 76.
- مراقن: 81.
- مراكش: 16- 27- 35- 40.
- مراكش: 16- 35.
- المطارفة: 06.
- المغرب الأقصى: 10- 19- 22- 29- 40- 69- 75- 80- 96- 99.
- مكناس: 69.
- مملكة البرنو: 40- 41.

-مملكة السنغاي: 39- 40.
-مملكة غانا: 36- 37- 38.
-مملكة غانا: 36- 37- 38.
-مملكة مالي: 33- 37- 38.
-موريتانيا: 08- 25- 34.
-مويدرا: 07.
-ميزاب: 68- 69- 75.

-ن -

-نهر النيجر: 26- 27- 32- 36- 39- 54.
-نهر غامبيا: 28.
-النيجر: 24- 25- 26- 27- 28- 31- 32- 33- 34- 35- 36- 39.
-نيجيريا: 23- 26- 28- 33- 34- 38- 40.

-هـ -

-الهقّار: 70- 81.

-و -

-واد الساورة: 05.
-واد الساورة:05.
-واد أمقيدن: 10.
-واد زوزوفانا: 10.
-واد قاريت: 09- 11.
-واد قير: 05.
-واد مسعود: 05.

-

-واد مسعود: 05.

-وادي درعة: 69.

-وادي ريغ:

-وادي ورغة: 35.

-والن: 81.

-والن: 81.

-ورجلان: 73- 75- 92- 93- 97.

-ورقلة: 68- 76.

-ولاتة: 24- 29- 110- 111.

-وهران: 68.

–فهرس الأعلام:

–أ –

- ابن بطوطة:02 - 09- 36- 52- 81- 95- 101 .
- ابن خلدون: 02- 06- 10- 12- 34- 132.
- أبو الحسن الشاذلي: 136.
- أبو بكر بن الحاج عيسى: 139.
- أبي الأنوار التنلاني: 127.
- أحمد البكاي: 111- 113- 134- 135.
- أحمد التواتي: 128- 137.
- أحمد بابا التنبكتي: 16- 40 -123- 138- 140.
- أحمد بن أبي بكر: 127.
- أحمد بن الأمين الغلاوي: 129- 138.
- أحمد بن طوير الجنة: 137.
- أحمد بن عبد العزيز: 138.
- أحمد بن ناصر الدرعي139.
- أحمد حمدي حبّادي: 76- 144.
- أحمد محمود الفزاري: 17.
- إدريس علومه:40- 41.
- الاصطخري: 23.

–ب –

- البرتلي: 128- 137- 139.
- بول مارتي: 111.

- بوي:51.
- بيسون:51.
- بيسيال:51.

-ج-

- جودر :40.

-ح-

- حسن الوزان:6- 24- 53-56- 73- 86- 87- 101.
- حمزة بن الحاج أ حمد الفلاني: 118- 120.

-د-

- دوماس: 72.
- ديبورتر: 74- 75- 76.

-ر-

- رولف: 74- 75- 76- 90- 91- 91- 124.

-ز-

- الزجلاوي: 45- 119- 123-124- 130- 137- 140.

-س-

- ساموري توري: 33.
- سباتيي:51.
- سعيد قدور: 18.

-ط-

- طارق بن زياد: 35.

-ع-

-عبد الجليل سيما: 40.
-عبد الحميد الفزاري: 17.
-عبد الرحمان التنلاني: 140.
-عبد الرحمان السعدي: 02.
-عبد الرحمان بن عمر:128- 129.
-عبد الله العصنوني: 13.
-عبد الله فودي : 30.
-عثمان بن يهس: 110.
-عقبة بن نافع: 02.
-عقبة بن نافع:02.
-علي بن حنيني : 137- 140.
-عمر بن محمد المصطفى: 115-128.
-العيّاشي: 02-99.

-ف -

-الفشتالي: 6- 20.
-فليكس ديبوا: 85.
-فوانو: 08- 51- 53- 57- 70.

-ق -

-القلقشندي: 24 .

-ك -

-كنكان موسى: 02.

-ل -

- لانز: 87- 98- 108.
- الهام محمد علي ذهني: 30.

-م-

- مارتان:03- 51- 53- 98- 105.
- محمد الحسن بن محمد: 118- 120.
- محمد الإداوعلي: 130.
- محمد الأنصاري: 05.
- محمد الحسن بن محمد:119.
- محمد الخليفة الكنتي: 115.
- محمد الكانمي: 41.
- محمد الكنتي: 110- 111.
- محمد المبروك البداوي:130 .
- محمد باي بلعالم: 07- 117.
- محمد بن أب المزمري: 115- 140.
- محمد بن الشريف العلوي : 21.
- محمد بن آلم: 110.
- محمد بن عبد الكريم : 03- 16.
- محمد بن عمر:02.
- محمد توري:39.
- محمد ولد سيد الحاج: 114.
- محمود بن محمود: 130.
- المختار الكنتي الكبير: 134.

- المغيلي: 16-19- 20- 39- 111- 116- 123- 134- 136- 140.
- المنصور الذهبي: 16 -20- 39.
- المنصور الذهبي: 16- 20- 39.
- المهدي بن تومرت: 03- 18.
- مولاي أحمد الإدريسي: 03.
- مولاي زيدان: 128.
- مولاي سليمان بن علي: 13.
- مولاي عبد الله الرقاني: 13.
- مولاي محمد: 14.
- مولاي هيبة: 13.

–فهرس القبائل والجماعات:

–أ –

- أبناء حمد لمين:17.
- أبناء محمود :17.
- الأدارسة:13 .
- الأشراف: 13- 15.
- الأعراب:21.
- الأفارقة:15.
- الأمازيغ: 13.
- الأمويون:15.
- أهل العبد: 83.
- أهل بودرة :14.
- أولا علوش:14.
- أولاد منصور:14.
- أولاد الحاج:.15
- أولاد المولات:83.
- أولاد بن يدير:18.
- أولاد حرز الله:14.
- أولاد حسين:18.
- أولاد خير الله:18.
- أولاد داود:14.
- أولاد دليم: 29.

- أولاد ريم:14.
- أولاد زنان:14.
- أولاد سعيد:29.
- أولاد شبل:14.
- أولاد طلحة:14.
- أولاد عبد الجليل :18.
- أولاد علي بن موسى:20- 21.
- أولاد عمر:14.
- أولاد عمران:29.
- أولاد عياش:18.
- أولاد غانم:14.
- أولاد غانم:29
- أولاد محمد:14.
- أولاد ملوك:14- 139.
- أولاد يعيش:14.
- إيموشاكن: 29.
- الأيوبيون:15.

-ب -

- البرابيش: 139.
- البرابيش:29.
- البرامكة:15-30-31.
- بنو حسان:14.

- بنو فزارة: 17.
- بنو فزارة:14.

-ج -

- الجعافرة:14.
- الجعفريون:15.
- جماعة الحراطين:120- 121.

-خ -

- الخنافسة:83.

-ذ -

- ذوي منصور: 14.
- ذوي منيع:14.

-ز -

- الزنوج:140 .
- الزوى:15.

-س -

- سفيان:21.

-ش -

- الشعابنة:140 .
- الشعابنة:15.
- شعب الديولا:33.

-ص -

- الصوصو:38.

-ط -

-الطوارق:31.

-ع -

-العبيد:122- 123- 125.

-العبيد:21.

-العرب: 13.

-علوش:140.

-ف -

-الفلّان:15- 30- 31- 115- 116- 118- 119- 120- 139.

-ق -

-قبائل البامبارا:34.

-قبائل اللمتون:18.

-قبائل الماندیج:33.

-ك -

-كلنتصر: 113- 139.

-كنتة: 14- 109- 127- 133- 139.

-ل -

-لتواج: 140.

-الماندي:38.

-المحارزة:14.

-المرابطون:15.

- الموالي :21.

- هـ -

- الهوسا:32.

- ي -

- يحمد:21.

فهرسة المحتويات

- **الإهداء**
- **شكر وتقدير**
- **المختصرات**
- **مقدمة**.....**أ– س**
- **الفصل الأول: التعريف بإقليم توات والسودان الغربي**.....**02–42**
- **المبحث الأول: التعـــريف بتوات**..... **02–22**

أ – أصل التسمية و الخصائص الجغرافية.....02-22

1 – أصل التسمية 02-05

2 – الموقع والخصائص الجغرافية.....05-11

ب – السكان.....11-16

1 – الأمازيغ 12-13

2 – العرب.....13-15

3 – الأفارقة.....15-16

ج – الخلفية التاريخية لإقليم توات. 17-22

- **المبحث الثاني: التعريف بالسودان الغربي**.....**23–42**

أ – أصل التسمية والخصائص الجغرافية. 22-28

1 – أصل التسمية.....23

2 – الموقع والخصائص الجغرافية.....23-29
ب – السكان.....11-16
1 – القبائل العربية.....29-30
2 – القبائل السودانية.....30-34
3 – القبائل الأمازيغية.....34-36
ج– الخلفية التاريخية للسودان الغربي.....36-42
1 – مملكة غانا.....36-37
2 – مملكة مالي.....37-39
3 – مملكة السنغاي.....39-40
4 – مملكة البرنو.....40-42
– الفصل الثاني: الواقع الاقتصادي لإقليم توات خلال الفترة (999 – 1317هـ / 1591 – 1900م) 44–78
– المبحث الأول: الزراعة و الرعي.....44–58
أ– استغلال المياه الجوفية.....44-48
ب – الزراعة في توات 48-55
1 – زراعة النخيل.....48-52
2 – زراعة الحبوب والخضر والفواكه.....52-54
3 – الزراعة التجارية.....44-55
ج– الرعي وتربية الحيوانات.....55-58
– المبحث الثاني: الحرف والصناعات التقليدية بتوات.....58–67
أ – صناعة السعف والليف والخشب.....58-60

1 – صناعة السعف.....58-59
2 – صناعة الليف.....59
3 – صناعة الخشب.....59-60
ب – الصناعة الطينية والحجرية والجلود.....60-64
1 – الصناعة الطينية.....60-64
2 – الصناعة الحجرية.....61-62
3 – صناعة الجلود.....62-64
ج– صناعة النسيج والحلي والحديد.....64-67
1 – الصناعة النسيجية.....64-66
2 – صناعة الحلي.....66
3 – الحدادة.....67
– **المبحث الثالث: التجارة الداخلية والخارجية لإقليم توات.....68**
أ – التجارة الداخلية.....68
1 – أسواق تيجورارين.....69
2 – أسواق توات الوسطى.....70
3 – أسواق تديكلت.....71
ب – التجارة الخارجية:.....74
1 – أسواق الشمال الجزائري.....74
2 – أسواق المقرب الأقصى.....75
3 – أسواق الطوارق.....76

4 – قوافل غدامس وغات وطرابلس الغرب..... 76

5 – أسواق السودان الغربي.....77

– الفصل الثالث: التجارة بين توات و السودان الغربي.....80–107

– المبحث الأول: المسالك التي تربط توات بالسودان الغربي والأسواق المتمركزة بها.....80–89

أ – مسالك القوافل التجارية بين توات والسودان الغربي.....80- 82

ب– أهم الصعوبات التي تواجه القوافل في المسالك بين توات والسودان الغربي.....82 - 85

1- صعوبات طبيعية.....82-83

2- صعوبات بشرية.....83-84

ج– الأسواق وأهم مراكز التبادل في السودان الغربي.....85-89

– المبحث الثاني: أهم المبادلات التجارية.....89–98

أ– واردات إقليم توات من السودان الغربي.....89-94

ب – صادرات إقليم توات إلى السودان الغربي.....94-98

– المبحث الثالث: العملة و أدوات القياس و المكايل و الموازين. 98–10

أ– العملة.....98-103

ب– المكاييل والأوزان.....104-105

ج– أدوات القياس.....106

– الفصل الرابع: الآثار الاجتماعية و الثقافية للتبادل التجاري بين توات و السودان الغربي.....109–140

- **المبحث الأول: الآثار الاجتماعية**.....**109-125**

أ - هجرة القبائل العربية 109-120

1 - قبيلة كنتة.....109-115

2 - قبيلة فلان.....115-120

ت - تنقل الزنوج الأفارقة.....120-125

1 - جماعة الحراطين.....125-130

2 - العبيد.....122-125

- **المبحث الثاني: الآثار الثقافية**. **125-140**

أ - الرحلات العلمية.....125-130

ب- التصوف في توات وبلاد السودان الغربي.....130- 160

ج - ركب الحجيج.....137-140

- **خاتمة** **142-145**

- الملاحق 148- 166

- قائمة المصادر والمراجع.....168- 185

- فهرس الأماكن 187- 196

- فهرس الأعلام.....197- 201

- فهرس القبائل والجماعات.....202- 206

- فهرس المحتويات.....207- 211

ملخص الدراسة:

هذه الدراسة توضح التواصل الاقتصادي بين إقليم توات الجزائري والسودان الغربي بعنوان:" التبادل التجاري بين إقليم توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي خلال الفترة (999- 1317هـ/ 1591م- 1900م)" فنتعرف من خلالها على إقليم توات والسودان الغربي من ناحية الموقع والخصائص الطبيعية والبشرية، إضافة إلى تتبع المحطات الأساسية التي توضح الخلفية التاريخية لكل من توات والسودان الغربي.

كما توضح الدراسة الواقع الاقتصادي لتوات؛ بذكر الزراعة والرعي واستغلال الموارد المائية المتمثلة في الفقارة ، وذكر بعض المنتوجات الزراعية، والحرف والصناعة التقليدية المتواجدة في توات، كما توضح الدراسة التجارة الخارجية والداخلية لإقليم توات؛ بذكر الأسواق والمسالك المؤدية إليها ، مع توضيح دور موقع توات الاستراتيجي في تجارة القوافل العابرة للصحراء. وتوضح الدراسة أيضا التجارة بين توات والسودان الغربي، وذلك بذكر المسالك والطرق التي تربط توات بالسودان الغربي والأسواق المتمركزة بها ، مع ذكر العملة والمقاييس والمكاييل المستعملة في التجارة بين توات والسودان الغربي.

وفي الفصل الأخير من هذه الدراسة وضحنا فيه الآثار الاجتماعية والثقافية للتبادل التجاري ؛ وذلك بالتعرف على أهم القبائل ذات الأصل المشترك، والمنتشرة بين توات والسودان الغربي مثل: قبيلة كنتة، وفلان، وكذلك التعرف على النتائج والآثار الثقافية، وذلك بفضل تنقل علماء توات إلى السودان الغربي، ومساهمتهم في إثراء الحركة العلمية؛ بتدريس العلوم الشرعية واللغة العربية وتوطيد الإسلام ونشر الطرق الصوفية خاصة القادرية.

Résumé de thèse

Cette étude expose les liens économiques entre la région du Touat algérien et le Soudan occidental sous le titre de « les échange commerciaux entre la région du Touat et le Soudan occidental durant la période entre 1591 et 1900 ».

On connaitra à travers cette étude la région du Touat et du Soudan occidental de par sa situation géographique et ses caractéristiques naturelles et humaines tout en passant en revue les évènements principaux qui jalonnent l'histoire de larégion du Touat et du Soudan de l'ouest.

L'étude explique aussi la réalitéééconomique au Touat en exposant l'agriculture ; l'irrigation et l'exploitation des ressources hydrauliques représentés dan la foggara. Elle citera les produits agricoles ; les métiers et l'artisanat présents au Touat. Elle exposera aussi du commerceintérieur et extérieur de la région du Touat en citant les marcher et les routes qui y conduisent avec explication du rôle stratégique du Touat dans le commerce des caravanes traversant le désert.

L'étude expose aussi du commerce entre le Touat et le Soudan occidental en citant les routes et le chemin reliant ces deux régions. En citant aussi monnaies, normes et mesures utilisées dans le commerce entre le Touat et le Soudan occidental.

Le dernier chapitre de cette étude traite des influences sociales et culturelles des échanges commerciaux en abordant les principales tribus aux origines communes qui se sont répandues entre Touat et le Soudan occidental comme les tribus de Kounta et de Foullane. L'étude abordera aussi les influence culturelles du au déplacement des oulémas du Touat el leur contribution à l'enrichissement du mouvement scientifique en enseignant la théologie, la langue arabe et consolidant l'islam en répandant le soufisme, particulièrement la voie (Tariqa) Qadirya.